أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحوِّلَت إلى **مجلة بيبليا**
سنة ١٩٩٨.

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوري بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأب جوزف بو رعد
الأمّ كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الإرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس الخوند
القس عيسى دياب
الأخت دولّي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخايل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نقّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف : ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس : ٠٩/٦٠٠١٠٠

في هذا العدد

الإفتتاحيّة

كاهن على مثال يسوع ______ رئيس التحرير.................٢

رسالة البابا بندكتوس إلى الكهنة بمناسبة السنة الكهنوتيّة...٩

"وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة" (خر ١٩ : ٦) ______ الأخت روز أبي عاد...........١٧

الكهنوت في الكتاب المقدّس ______ الخوري ميشال صقر..........٢٣

هارون وكهنوت بني لاوي وصولاً إلى صادوق ______ الخوري خليل حايك ٢٩

ملاخي ١ : ٦–٢ : ٩، توبيخ الكهنة على احتقارهم اسم الربّ ______ الأب أيوب شهوان...........٣٧

معالم كهنوتيّة في الرسائل الرعائيّة ______ الأب ميلاد الجاويش المخلّصيّ...٥٩

صورة الكاهن في رسالة القدّيس يعقوب ______ الخوري جورج عنتابي........٦٥

سويريوس الأنطاكيّ والكلام على الخدمة الكهنوتيّة ______ الخورأسقف بولس الفغالي.... ٧١

رتبة وضع اليد بهدف الرسالة والتنظيم الكنسيّ ______ الأب نجم شهوان.............٨٥

ثمن العدد

في لبنان : ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)

في لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
Daccache Printing House
عمشيت (لبنان)

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٦٠٠٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠
E-mail: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb

الافتتاحيّة

كاهن على مثال يسوع

"روح الربِّ عليَّ"

رئيس التحرير

مقدّمة

في مجمع الناصرة قرأ يسوع من سفر أشعيا النبيّ ما يلي: "روح الربّ عليّ، مسحني لأبشّر المساكين، وأرسلني أنادي بإطلاق الأسرى، وعودة البصر إلى العميان، وأحرّر المقهورين، وأنادي بسنة مقبولة لدى الربّ" (لو ٤: ١٨-١٩؛ رج أش ٦١: ١-٢)؛ وعلّق يسوع قائلاً: "اليوم تمّت كتابةٌ سمعتموها"، معلنًا ذاته مملوءًا من الروح القدس، ومكرّسًا بالمسحة، ليبشّر الفقراء. إنّه حقًّا المسيح، الذي سيجعل سامعيه وناظريه يكتشفون أنّه الكاهن، والنبيّ، والملك. هذه الحقيقة المُفرحة والعظيمة هي بشرى سارّة، تحتاج إلى مَن ينقلها حتّى أقاصي الأرض، إلى أناسٌ ينهجون نهج القداسة، إلى كهنة يسيرون في إثر يسوع، ويقتفون خطاه.

١ - "أعطيكم رعاة على وفق قلبي" (إر ٣: ١٥)

"وأقيم على (غنمي) رعاةً يرعونها، فلا تخاف من بعد ولا تفزع" (إر ٣٢: ٤). بهذه الكلمات من نبوءة إرميا، يَعِدُ الله شعبه ألاّ يدعه أبدًا بلا راع يجمع شمله ويهديه. يختبر شعب الله حقيقةَ هذه البشرى النبويّة، عالمًا أنّ يسوع المسيح نفسَه هو الذي يحقّق وعد الله وينجزه، من خلال تأكيده أنّه "الراعي الصالح" (يو ١٠: ١١)، "راعي النعاج العظيم" (عب ١٣: ٢٠)، الذي وَكَلَ إلى الرسل وخلفائهم أن يرعوا خراف الله (يو ٢١: ١٥-١٧؛ ١ بط ٥: ٢) من خلال الخدمة الكهنوتيّة.

٢ - هويّة الكاهن

إنّ مصدر الخدمة الكهنوتيّة هو الربُّ الذي يدعو؛ لذا تنبع هويّة الكاهن من مشاركته في كهنوت المسيح، فيضحي صورةً حقيقيّةً وشفّافةً للمسيح الكاهن، والرأس، والراعي. بذات الفعل يدخل الكاهن في شركة خاصّة ومميّزة مع الآب والابن والروح القدس، لأنّ هويّته تتجذّر في محبّة الآب، ويتّحد كهنوتُه بالابن الذي يرسله، وبفعل الروح القدس وعمله فيه. إنّ حياةَ الكاهن وخدمتَه هما استمرار لحياة المسيح وعمله. وتنبع هويّته أيضًا من خدمة الكلمة

والأسـرار المقدّسة التي لها علاقة جوهريّة بسرّ محبّة الآب (يـو ١٧: ٦–٩ و٢٤؛ ١ كو ١: ١؛ ٢ كو ١: ١)، وبطبيعة المسيح الكهنوتيّة، وبموهبـة الروح القدس (يو ٢٠: ٢١) الذي يرفد الكاهن بما يحتاجه من قـوّة ليهب الحياة لجمهور من أبناء الله المدعوّين.

وبمـا أنّ **الكاهـن هـو على مثـال يسوع**، فهـو يتذكّر على الدوام أنّ الربّ والمعلّم "لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم" (يو ١٠: ٥٤)، وأنّـه انحنى وغسل أقدام تلاميـذه (يو ١٣: ٥)، قبل أن يموت على الصليب، ويرسلهم إلى العالم كلّه (يو ٢٠: ٢١). تبيّـن لنا الرسالـة إلى أهل فيلبّي العلاقـة الوطيدة بين التجرّد وروح الخدمة الـذي ينعش المهمّة الراعويّـة؛ فيسوع "لم يعـدّ مساواته لله غنيمة، بل أخلى ذاتـه متّخذًا صورة العبد" (فـل ٢: ٦–٧). إنّ لفَقْـر يسـوع غايةً خلاصيّـة: كان غنيًّا، "فافتقـر لنغتني بفقره" (٢ كو ٨: ٩). مثـالُ يسوعَ هذا يدفعُ الكاهنَ إلـى التشبّه به في تعاطيه مع خيرات العالم وثرواته، لينجح في تولّيه رعاية الخراف.

من الطبيعيّ بالتالي أن يكون الكاهنُ مدعوًّا إلى القداسة، أي إلى كمال المحبّة، في تصرّفه كلّه: "كما أنّ الذي دعاكم هو قدّوس، فكذلك كونـوا أنتم قدّيسين في سيرتكم كلّها" (١ بط ١: ١٥). إنّ الحياة بحسب الروح هي التي تفضي إلى القداسـة (رو ٦: ٢٢؛ غل ٥: ٢٢)، وتوقـظ الرغبة بل الالتزام فـي اتّباع المسيـح، والاقتداء به. هكذا يولـد الكاهن، "لا مـن زرع فاسد، بل من غير فاسـد، بكلمة الله الحيّ الباقي" (١ بـط ١: ٢٣). يـدرك الكاهن بالتالـي أنّه أصبـح مشاركًا للابن الحبيب حين "صـار ابنًا بالتبنّي" (غل ٤: ٤–٧)، وأخًا للمسيح، فيتحقّق في حياته تدبيرُ الله الأزلّي.

٣ – الكاهن المثال، إليه يحدّق المؤمنون

على مثـال المسيح، يُظهر الكاهن للعالـم نموذجَ حياة تَفُوقُ الطبيعة. قـال ربُّنا: "كنت لكم مثالاً، فاصنعوا أنتم ما إليكم صنعت" (يو ١٣: ١٥).

الأسقف الذي يقبلُ المرشَّحَ للكهنوت، ويضع يده عليه، ويكرّسه، ويرسمه، ويـكل إليه مهمّة رعاية قطيع الربّ، في مكان وزمان محدَّدين، هـذا الأسقف تبقى **عينه على كاهنه**، يسهر عليه، يحمل همّه، يشاركه في تحمّل صليبه، يشجّعه، يحنو عليه، كي يبقى كاهنُ الربِّ مثالاً في كلّ شيء.

كذلك **المؤمنون عينهُم على كاهنهم وله**، لأنّهم يعلمون أنّه مثـالٌ لهم في خدمة المسيح وفي محبّتـه، لذا هم يسهرون عليـه، ويُعنَون به، ويحيطونه بمحبّتهم. هذا كان وضعُ أهل غلاطيـة تجاه بولس، فكتب إليهم ما يلي: "إنّي لأشهد لكم أنّكم لو أمكنكم لقلعتم عيونكم وأعطيتموني إيّاها" (غل ٤: ١٥). إنّ المؤمـن الصالح هو رجـل الثوابت؛ لذا، لا يجوز أن تتبـدّل مواقفه إذا ما أخلّ كاهنُه بالأمانة، بل يهبّ للدفاع عنـه، والوقوف إلـى جانبه، ولفـت انتباهـه، والعمل على إصلاح الأمور، لأنّه، وبكلّ بساطة، مؤمنٌ محبّ!

لمـاذا يحـدّق المؤمنـون والمحبّـون إلـى وجه الكاهـن؟ إنّ المؤمـن الفقيـر إلى الله، يحـدّق إلى وجه الكاهـن ليستمدّ منـه روح القداسـة والتقوى والسـلام، لأنّه يـرى فيه مثالاً في ذلـك؛ هذا يعني أنّـه يضع في الكاهن أمـلاً كبيرًا، وهو متأكّد بأنّه "إنْ سأله سمكة" سيحصل بالفعل على سمكة، لا على حيّة (مـتّ ٧: ١٠؛ لو ١١: ١١)! والمؤمن يفعل هذا بثقة لأنّـه مدرك أنّ **الكاهن هو بمثابـة الأب** له، "وأيّ أبٍ لا يحبّ ابنه؟"، يدعوه باسمه، كـ"الراعي الصالح الذي يسمّي خرافَه بأسمائها" (يو ١٠: ٢).

إنّ النصوص الرائعـة التـي تركها لنا نرسـاي في القرن الخامس، حـول "سرّ الكهنـوت المقدس"، وسويريوس الأنطاكـيّ حول "الخدمة الكهنوتيّة"، ويعقوب السروجيّ، في الميمر الثالـث، حول "تعزية الكهنـة"، ويوحنّا الذهبيّ الفـم، في مقالاته حـول "الكهنوت"، وغيرهـم الكثيرون، تُفهمنا سموَّ هـذه الخدمة وعظمتَها، وبالتالي واجبَ اعتناء الكاهـن بقداسة الذات للقيام بخدمتـه الكهنوتيّة كما يليق، ولإعطاء المثل الصالح والقدوة الحسنة.

في نظـر المؤمن، **الكاهن يقوم مقـام المسيح**، وهو بذلك مثالٌ له؛ لذا يعمل رَجُل الله على "اكتساب كمال ذلك الذي يمثّـل، ومداواة ضعـف الجسد البشـريّ"، بواسطة وبقوّة "قداسة مَن صار الحبـرَ القدّوس، البريء، الزكيّ، والمنزّه عن الخطأ" (عب ٧: ٢٦).

عنـد ذاك يصبـح الكاهـن كالقدّيـس إسطفانـس أوّل الشهـداء، الذي يقـول عنه كتـاب أعمال الرسـل إنّه "كان ممتلئًا إيمانًا وروحًا قدسًا" (أع ٦: ٥)، و"نعمة وقوّة" (أع ٦: ٨)؛ ويضيف في مكان آخـر: "وحدّق كلُّ مَن في المجلس إلـى إسطفانـس، فرأى في وجهه وجه مـلاك" (أع ٦: ١٥). فإذا كان محاكموه وباغضوه والصارخون مطالبين برجمه، قد رأوا في "وجهه وجهَ ملاك"، فماذا يقول عنه وفيه إخوتُه وشـركاؤه في الإيمـان ومحبّوه؟! تقول إحـدى الصلوات السريانيّة المارونيّة: "طيـف الكاهن، يا طيف الربّ"، يشعُّ وجهه كوجه موسى الذي كان يتلألأ بفضل لقائه بالربّ على جبل حوريب/سيناء (رج خر ٣٤: ٢٩–٣٥؛ ٢ كو ٣: ٧–١٨)؛ فوجهُـه هو أيقونـة انطبع عليها وجهُ يسـوع في تجلّيه وفي مجـده، إذ "تألّق وجهه كالشمس، وابيضّـت ثيابه كالنور" (مـت ١٧: ٢؛ رج لـو ٩: ٢٩)؟ هذا الإشعاع في الوجه يُنعم به الله علـى كاهنه وعلى مختاريـه، فيسطعون كالملائكة (متّ ٢٨: ٣؛ رؤ ٣: ٤؛ ٤: ٤)، فيرى العالم، ويمجّد الله.

٤ – الكاهن مثالٌ في المعرفة والحكمة

يقول القدّيس بولس في رسالته إلى طيموتاوس: "لذلك أنبّهك أن تحيي نعمة الله التي فيك" (٢ تم ١: ٦). إنّها ضرورة مرتبطة بالهبة الإلهيّة ذاتها، التي يجب على الكاهن ألاّ يكلّ عـن إحيائها ليتمكّن مـن أن يُلبّيَ دعوته تلبيـة أمينة، ويقومَ بسخاء بالمهمّـة التي تتطلّبهـا الكرامـة والمسؤوليّة اللتان وكلهمـا الله إليه في سرّ الكهنوت، ويصونَ ويُحصّنَ ويُنميَ هوّيّته ودعوتـه المميّزة، ويقدّس ذاته والآخرين في ممارسة خدمتـه. إنّ ما يهمّنا هنا هـو "**معرفة اسم الآب**" (يو ١٧: ٢٦) ومـا ينتج عنها. قال يسوع في صلاتـه لأجل الوحدة: "أيّها الآب القدّوس، قد **عرّفتُهم** اسمـك، وسأعرّف ليكون فيهم حبّك لي، وأكون أنـا فيهم" (يو ١٧: ٢٦). المقصود هنا هو أنّ يسوع، كما جاء في يو ١٧: ٦–٨، قد سبق و"أظهر اسم الآب للناس، وهم قبلوه، وأيقنـوا أنّ يسوع خرج من لدن الآب". ليـس المطلوب مـن الكاهن إذًا المعرفـة العالميّة، ولا حكمـة هذا العالم، بل **معرفة اسـم الآب**، وهذا ما ينتظره المؤمن منه.

لكي ينجح الكاهن في نقل المعرفة والعلم والحكمة إلى المؤمنيـن، لا بدّ له من **التثقّف والتعلّم باستمرار**. هذا ما تدعو إليـه التعاليم العديدة والمتنوّعة التي ورثناها ممَن سبقونا في الكنيسة؛ نورد منها على سبيل المثال:

– كتـاب **خولاجـي سيرابيون** أسقـف تاميس (+٣٥٠)؛ ففي رتبـة وضع الأيدي لرسامة الكهنة نقـرأ الصلاة التالية: "إمنحـه **الذكاء والمعرفـة**، وقلبًا نقيًّا، وليكـن الروح القدس معـه، حتّى يستطيع أن يرعى شعبـك، **ويفسّر كلامك الإلهيّ**، ويصالـح الشعب معـك، أيّها الإله غير المولـود...؛ فامنح هذا الرجل أيضًا الروح القدس، روحَ وحيدك، ليغمره بنِعَم **الحكمة والمعرفة** والإيمان المستقيم" [١].

– **كتاب عهد الربّ**: في معرض الكلام على القسم التعليميّ في القدّاس، نقرأ عـن دور الكاهن ما يلي: "**فليعظ ويُعلّم** بهذا سـرًّا أولئك الذين يحكم أنّ لهم آذانًا تسمع (مت ١٣: ١٦). وعندما يعلّم في البيعة، فليتكلّـم هكذا بحرص، كرجل يعي أنّـه يعلّم خدمةَ أبٍ الجميع، تلـك التي كُتبت بدقّة للشهادة. وليعلّـم كلّ هـذه الأمور، وليتذكّر أوّلاً كلّ هـذه الأمور التي يعرفهـا بدقّة؛ فإن كان يعرف ما يقـول، وجب عليه أن يفكّر أنّ السامعين قد عرفوا ذلك؛ فليصنع كلّ شيء بنظام ومعرفة".

(١) **خولاجي سيرابيون**، تعريب جورج نصّور ويوحنّا تابت، سلسلة النصوص الليتورجيّة، أقدم النصوص الليتورجيّة، الكسليك ١٩٧٥، ص ٩٩–١٠٠.

ويضيف **كتاب عهد الربّ**: "فليكن **حاذقًا في القراءة**، إذا أُوحي كلامٌ (من الربّ) للكاهن أو للأسقف، فليتكلّم، وإلاّ، فلا يهملنّ أو يحتقرنّ عمله. إذا أوحي للكاهن أن **يزور رعيّته ويُحدّثها بالكلمة**.

ليكن **تعليم الكاهن** ملائمًا، هادئًا، ومعتدلاً، ممزوجًا بالمخافة والرعدة. ليكن **تعليم الأسقف** نظير تعليم الكاهن، فلا يقولاَ في تعليمهما أمورًا باطلة، بل جميع الأمور التي، إذا سمعها السامعون، يحفظونها. ليصلّ لأجل السامعين كي يعطيهم الربُّ فهمَ الروح والمعرفة والحقّ"[٢].

على الكاهن إذًا، بصفته معلّمًا ومثقّفًا للإيمان، أن يُعنى بأن يحتلّ التعليم المسيحيّ مكانًا مميّزًا في التربية المسيحيّة، متذكّرًا أنّ كلماته هي كلمات الربّ: "فكلماتك كلمات حياة أبديّة" (يو ٦: ٦٨)؛ "ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني" (يو ٧: ١٦). لذا عليه أن "**يكون كاملاً بالكلمة**" (يع ١: ٢٢)، متنبّهًا إلى أنّ الحقيقة التي يعلّمها ليست من الناس، بل من الله.

٥ – الكاهن مثال في التشبّه بالمسيح المصلّي

إنّ أوّل ما توخّاه يسوع هو أن يجمع حوله رسلاً يصحبونه (مر ٣: ١٤)، أورثهم قبل كلّ شيء شهادةَ صلاته؛ فالأناجيل تورد لنا، مرّات عدّة، مشهدَ المسيح مصلّيًا: عندما كشف له الآب رسالته (لو ٣: ٣١–٣٣)، وقَبْلَ دعوة الرسل (لو ٦: ١٢)، وعندما أدّى الشكر لله قبل تكثير الخبزات (مت ١٤: ١٩؛ ١٥: ٣٦؛ مر ٦: ٤١؛ ٨: ٧؛ لو ٩: ١٦؛ يو ٦: ١١)، وأثناء التجلّي على الجبل (لو ٩: ٢٨–٢٩)، وعندما شفى الأصمّ الأبكم (٧: ٣٤)، وأقام لعازر (يو ١١: ٤١)، وقَبْلَ اعترافِ بطرس (لو ٩: ١٨)، وعندما علّم التلاميذ كيف يصلّون (لو ١١: ١)، وعندما رجع هؤلاء بعد أن أتمّوا رسالتهم (مت ١١: ٢٥؛ لو ١٠: ٢١)، وعندما بارك الأولاد (مت ١٩: ١٣)، وصلّى لأجل بطرس (لو ٢٢: ٣٢)، الخ.

لقد **كان نشاط يسوع اليوميّ نابعًا من الصلاة**، لذا كان يعتزل في القفر أو على الجبل ليصلّي (مر ١: ٣٥؛ ٦: ٤٦؛ لو ٥: ١٦؛ مت ٤: ١؛ ١٤: ٢٣)، وينهض من النوم باكرًا (مر ١: ٣٥)، ويقضي الليل كلّه في الصلاة إلى الله (مت ١٤: ٢٣ و٢٥؛ مر ٦: ٤٦ و٤٨؛ لو ٦: ١٢)، مظهرًا وحتّى آخر حياته، في العشاء الأخير (يو ١٧: ١–٢٦)، ووقت النزاع (مت ٢٦: ٣٦–٤٤)، وعلى الصليب (لو ٢٣: ٣٤ و٤٦؛ مت ٢٧: ٤٦؛ مر ١٥: ٣٤)، أنّ الصلاة هي نَبْضُ رسالته. وها هو، بعد قيامته من بين الأموات حيًّا، باقٍ يشفع لنا (عب ٧: ٢٥). فإذا شاء الكاهن أن يحذو حذو المسيح، حافظَ على أوقات الخلوة والصمت والصلاة، ورعى وعمّق صلته الوجوديّة بالربّ يسوع إلهه الحيّ.

٦ – الكاهن مثال في استلهام الروح المحيي والمُلهِم، ومعطي المواهب

يعلن يسوع أنّ روح الربّ عليه، مسحه وأرسله ليبشّر المساكين (رج لو ٤: ١٨–١٩). بهذا الكلام، يعلن، في آنٍ معًا، أنّه مملوء من الروح القدس، و"مكرَّس بالمسحة"، ليبشّر الفقراء والمساكين والمظلومين. هكذا يحلّ الروح القدس على الكاهن، ليجعله يعمل بقوّته في الكنيسة لأجل خلاص العالم، ويدفعه إلى الإعلان عن أعمال الله العظيمة؛ فبعمل الروح القدس تَدْخُلُ بشارةُ الفرح في ضمائر البشر وقلوبهم، وفي التاريخ.

إنّ إرسال يسوع لتلاميذه هو إرسال بالروح، ولوقا يربط الشهادة التي كان لا بدّ للرسل أن يؤدّوها للمسيح ربطًا محكمًا بعمل الروح الذي يجعلهم قادرين على تأدية الرسالة. وهذا ما تحقّق بالفعل، إذ "خرجوا يكرزون في كلّ مكان، وكان الربّ يعمل معهم" (مر ١٦: ٢٠)، لأنّ مجيء الروح القدس جعل منهم شهودًا وأنبياء (أع ١: ٨؛ ٢: ١٧–١٨).

(٢) **عهد الربّ**، تعريب يوحنّا تابت، سلسلة النصوص الليتورجيّة، أقدم النصوص الليتورجيّة، الكسليك ١٩٧٥، ص ٩٩–١٠٠.

إنّ انقياد الكاهن للروح يدفعه إلى تلقّي موهبتَي الشجاعة والتمييز، وهما علامتان جوهريّتان في روحانيّة الرسالة، فتكون هكذا للكاهن الجرأة لإعلان الإنجيل، وإمكانيّةُ تَبَيُّنِ طرقِ الروح الخفيّة، هذا الروح الذي "يقود إلى الحقّ كلّه" (يو ١٦: ١٣؛ رج ١ كو ١٢–١٤)؛ عندها يسير الكاهن في دروب القداسة، ويجني "ثمار الروح التي هي محبّة، وفرح، وسلام، وأناة، وطيبة، وصلاح، وأمانة، ورفق، وعفّة..." (غل ٥: ٢٢–٢٣).

٧ – الكاهن مثال في اللجوء إلى مريم أمّ الله وأمّنا

هناك علاقة جوهريّة بين مريم أمّ يسوع، وبين كهنوت خَدَمَة الابن، تنبثق من الصلة القائمة بين كهنوت المسيح وأمومة مريم الإلهيّة. من هذه العلاقة تنبع روحيّة الكاهن المريميّة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوصيّة المسيح المصلوب الذي وَكَل أمَّه إلى الرسول يوحنّا الحبيب، ومن خلاله إلى جميع الكهنة، المدعوّين إلى مواصلة عمله الخلاصيّ. فكما وَكَلَ يسوعُ أمَّه إلى يوحنا عند أقدام الصليب (يو ١٩: ٢٦–٢٧)، كذلك وَكَلَها أمًّا لكلّ كاهن بطريقة مميّزة. بقوله ليوحنّا: "ها هي أمّك"، أقامها أمًّا للكنيسة، وأمًّا لكلّ مؤمن، وخاصةً أمًّا للكاهن. ويضيف الإنجيليّ قائلاً: "ومن تلك الساعة قَبلها التلميذ في خاصّته" (١٩: ٢٧). لم يقبل يوحنّا أمَّ يسوع ليأويَها فقط، ويؤمّنَ لها المسكن والمأكل، بل خاصّةً وأيضًا كثروةٍ روحيّة.

على مثال التلميذ الحبيب، يقبل الكاهن مريمَ أمَّه، الثروةَ الروحيّةَ العظمى، كونه في عداد أحبّاء يسوع، المصلوبِ والقائم من بين الأموات. كلّ كاهن يعلم أنّ العذراء مريم، كونها أمًّا، هي أسمى مربّية للكاهن، لأنّها بوسعها أن تهذّب قلبه، وتسهر بحبّها الوالديّ على أن "ينمو في الحكمة والسنّ والنعمة، أمام الله والناس" (لو ٢: ٤٠).

٨ – الكاهن مثال في أعمال المحبّة

قال يسوع: "إنّي أشفق على هذا الجمع" (مت ١٥: ٢٢). يتميّز الكاهن بأنّه على مثال سيّده يشفق على مَن وَكَلَهم يسوعُ إليه، وخاصّة على المعوزين والبؤساء والمساكين. إنّ أعمال الرحمة إلزاميّة وليست اختياريّة. إذا لم يتحوّل قلب الكاهن إلى قلبٍ ملؤه الحنان، فباطلاً يسعى! لا يحقّ له أن يقول لمؤمن أو لأيّ إنسان يأتي إليه مستغيثًا من لسعة البَرْد: "إذهب واستدفء"، أو من الجوع: "إذهب وكُلْ"؛ لنتذكّر هنا كلام القدّيس يعقوب الرسول: "**ماذا ينفع، يا إخوتي، أن يقول أحد إنّه يؤمن، إن لم يعمل؟ أَبِوسْعِ الإيمان أن يخلّصَه؟ فإن كان فيكم أخ عريان أو أخت عريانة ينقصهما قوتُ يومِهما، وقال لهما أحدُكم: إذهبا بسلام فاستدفئا واشبعا، ولم تعطوهما ما يحتاج إليه الجسد، ماذا ينفع قولكم؟**" (يع ٢: ١٤–١٦). في هذا السياق يعلّمنا القدّيس يوحنّا الإنجيليّ ما يلي: "مَن كانت له خيرات الدنيا، ورأى في أخيه فاقة، فأغلق أحشاءه دون أخيه، فكيف تقيم محبّة الله فيه؟" (١ يو ٣: ١٧). لن يستطيع كاهنُ الربّ أبدًا أن يحبس أحشاءه عمّن هو عضوٌ ليس فقط في جسد المسيح بل أيضًا في الإنسانيّة التي يتقاسمانها.

٩ – الكاهن مثال في حَمْل بشرى الخلاص

إنّ الذين لم يعرفوا المسيح يسوع لا زالت أعدادُهم كبيرة جدًّا، والذين ينتظرون أن يعرّفهم إليه أحدٌ ما أيضًا. لكنْ كيف لهم أن يعرفوه إن لم يسمعوا البشارة، و"كيف يسمعون بلا مناد" (رو ١٠: ١٤)؟ يقول القدّيس بولس: "لنا أُعطِيَتْ هذه النعمة، وهي أن نبشّر الوثنيّين والأمم بما في المَسيح من غنىً" (أف ٣: ٨). علينا أن نغذّي فينا الشوق الرسوليّ لننقل إلى الآخَرين نورَ الإيمان وفرحَه. هذه المهمّة الرسوليّة المقدّسة، أو هذا العمل الرسوليّ يتطلّب روحانيّة مميّزة، تعني بشكل خاصّ أولئك الذين دعاهم الله لتأدية الرسالة، فيعيشون منقادين انقيادًا تامًّا للروح.

إنطلاقًا من هذا الكلام، لا بدّ لنا من إبراز أهمّيّة الاتحاد الحميم بالمسيح، العنصر الجوهريّ في روحانيّة الرسالة، بالإضافة إلى الكفر بالنفس وبكلّ ما قد يشدّ المرسَل إلى

التعلّـق بالمادّيّـات، كي يكـون بالفعل كلاًّ للـكلّ؛ فالفقر يحرّره، والتجرّد عن الأهل والأصدقاء وعن الخيرات يمكّنه مـن أن يكون أخًـا لمَن أُرسل إليهم ليحمـل إليهم البشرى: "لقـد صرت للضعفاء ضعيفًا لأربح الضعفاء، وصرتُ كُلّي للـكلّ لأخلّص البعض منهم مهما يكن الثمـن، وأفعل هذا كلّه فـي سبيل البشـارة..." (١ كـو ٩: ٢٢–٢٣). إنّ صوت الربّ يسـوع يدوّي في حياة المرسَـل قائلاً له: "لا تخف، بـل تكلّم، ولا تَسكـتْ أبدًا، فأنا معـك" (أع ١٨: ٩–١٠). هـذا الإقدام من قِبَل المرسَـل، لا بدّ وأن يجلب عليه الضيقَ الكثيـر، كما سبق وعلّمنـا ربُّنا يسوعُ عندما قـال: "يُلقون عليكم الأيدي، ويضطهدونكم، ويسلّمونكم إلى المجامع والسجـون، ويُحضرونكم أمـام الملوك والـولاة من أجل اسمـي، فيكون لكم ذلك للشهـادة...، وتكونون مُبغَضين مـن الجميع من أجل اسمي، وشعرةٌ من رؤوسكم لا تهلك، وبصبركم تقتنون نفوسَكم" (لو ٢١: ١٢–١٩). "إن أَبْغَضَكُمُ العالم، فإنّه قد سبق وأبغضني" (يو ١٥: ١٨)، ولكنّنا نعلم أنّ "يسوع قد غلب العالم" (يو ١٦: ٣٣).

خاتمة

كاهنٌ على مثال يسوع! نعم، من رأى الكاهن رأى وجهَ يسـوع الذي قال: "مَن رآني رأى وجـهَ الآب" (يو ١٤: ٩)؛ الكاهـن هو "أيقونةَ" المسيح الحيّـةَ. عندما ينظر المؤمنون إليه ينبغـي أن "يمجّدوا الآبَ الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦). فَلْتَـرْعَ عينَا الربِّ الإله كهنـةَ الكنيسة، فيكونوا رعاةً صالحين لقطيع الابن الحبيب يسوع المسيح.

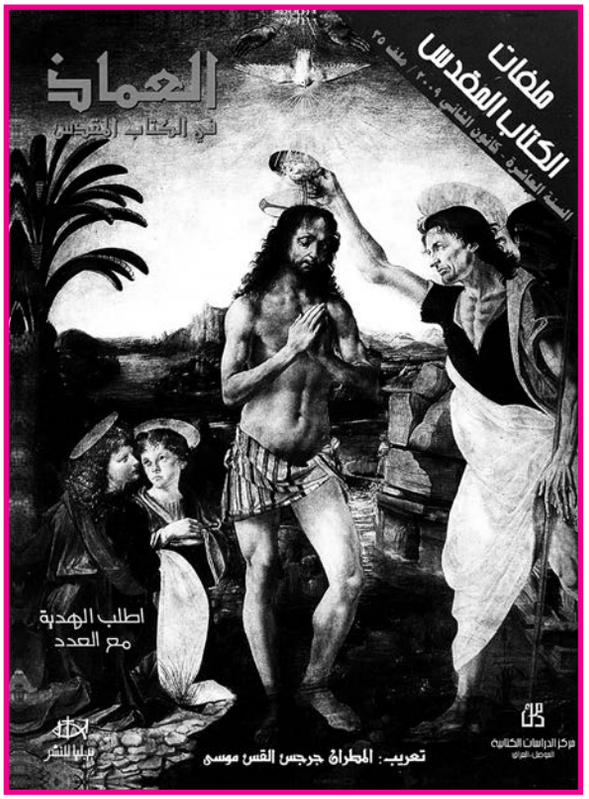

على هامش الكتاب
-١٨-

فيوض في الفكر المشرقي

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

على هامش الكتاب
-١٩-

المرقيونية و المانوية

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

رسالة البابا بنديكتوس إلى الكهنة بمناسبة السنة الكهنوتيّة

(١٩ حزيران ٢٠٠٩ - ١٩ حزيران ٢٠١٠)

إخوتي الأعزّاء في الكهنوت،

مع حلول عيد قلب يسوع الأقدس يوم الجمعة ١٩ حزيران، اليوم المكرّس للصلاة من أجل تقديس الكهنة، فكّرت في افتتاح "سنة كهنوتيّة" بمناسبة الذكرى المئة والخمسين لوفاة جان ماري فْيانّاي، شفيع جميع الكهنة في العالم [١]. هذه السنة التي من شأنها المساهمة في تعزيز الالتزام بالتجدّد الروحيّ لدى جميع الكهنة في سبيل جعل شهادتهم الإنجيليّة أكثر قوّة وفعاليّة في عالم اليوم، تختتم في العيد عينه سنة ٢٠١٠. كان كاهن آرس القدّيس يقول [٢]: "إنّ الكهنوت هو محبّة قلب يسوع". هذا التعبير المؤثر يسمح لنا أوّلاً أن نذكر بكلّ محبّة وتقدير الهبة العظيمة المتمثّلة في الكهنة، ليس فقط للكنيسة وإنّما أيضًا للبشريّة نفسها. إنّني أفكّر في جميع هؤلاء الكهنة الذين يقدّمون للمؤمنين المسيحيّين وللعالم أجمع التقدمة المتواضعة واليوميّة من كلمات المسيح وأعماله، ساعين إلى منحه اتحادهم معه من خلال أفكارهم وإرادتهم ومشاعرهم ونمط حياتهم. فكيف لنا ألاّ نُبرز جهودهم الرسوليّة، وخدمتهم الدؤوبة والخفيّة، ومحبتهم المنفتحة على العالم؟ وماذا عن الأمانة الجريئة التي يظهرها العديد من الكهنة الذين يقفون أوفياء لدعوتهم، دعوة "أصدقاء المسيح"، على الرغم من الصعاب وإساءة الفهم التي تواجههم، والذين نالوا منه دعوة خاصّة واختيروا وأُرسلوا؟

لا أزال شخصيًّا أذكر في قلبي أوّل كاهن مارست إلى جانبه خدمتي عندما كنت كاهنًا شابًّا. فقد ترك فيّ مثال تفان ثابت في خدمته الرعويّة لدرجة أنّه توفّي عندما كان يحمل الزاد الأخير لمريض في حالة خطيرة. كذلك أذكر العديد من الإخوة الذين التقيت بهم وما زلت ألتقي بهم حتّى خلال رحلاتي الرعويّة إلى مختلف البلدان، الإخوة الملتزمين جميعًا في الممارسة اليومية لخدمتهم الكهنوتيّة. ولكنّ التعبير الذي يستخدمه الكاهن القدّيس يذكّر أيضًا بقلب المسيح المطعون وبإكليل الشوك الذي يحيط به. هنا نفكّر في أوضاع المعاناة التي يعيشها العديد من الكهنة، إمّا لأنّهم يشاركون في التجربة البشريّة للألم في مختلف مظاهره، وإمّا لأنّهم يعانون من سوء فهم الأشخاص الذين يستفيدون من خدمتهم: كيف لا نتذكّر العديد من الكهنة الذين تهان كرامتهم، ويُمنَعون من إنجاز مهمّتهم، والذين كثيرًا ما يُضطَهدون حتّى الشهادة؟

مع الأسف، هناك أيضًا حالات سيّئة جدًّا تعاني فيها الكنيسة من عدم أمانة بعض خدّامها، وهذا ما يدفع العالم إلى الإستنكار والرفض. ما يفيد الكنيسة هنا ليس الكشف الدقيق عن نقاط ضعف خدّامها، وإنّما إدراك متجدّد وفرح لعظمة هبة الله التي تجسّدت في شخصيّات الرعاة الأسخياء، والرهبان الملتهبين بمحبّة الله والنفوس،

(١) هكذا أعلنه الحبر الأعظم بيّوس الحادي عشر سنة ١٩٢٩.

(٢) "الكهنوت هو محبّة قلب يسوع" (خوري آرس)؛ هذه العبارة هي مُدرَجَة أيضاً في كتاب تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ١٥٨٨. ر.ج:
Le curé d'Ars, sa pensée, son cœur, présentés par l'Abbé Bernard NODET éd. Xavier Mappus, Foi Vivante, 1966, p. 98. Par la suite : NODET.
L'expression est citée aussi dans *le Catéchisme de l'Église catholique*, n.1589.

والمرشدين الروحيّين الحكماء والصابرين. في هذا الصدد، يمكن أن تكون تعليمات القدّيس جان ماري فيانّاي وأمثلته مرجعًا مهمًّا للجميع: لقد كان كاهن آرس متواضعًا جدًّا، إلاّ أنّه كان يعلم ككاهن أنّه هبة كبيرة لشعبه: "إنّ الراعي الصالح، الراعي بحسب قلب الله، هو الكنز العظيم الذي يمكن أن يعطيه الله الصالح لرعيّة، وهو أحد أثمن هبات الرحمة الإلهية" [٣]. كان يتحدّث عن الكهنوت كما لو كان لم ينجح في إقناع ذاته بعظمة الهبة والمهمّة الموكلتَين إلى مخلوق بشريّ: "عجبًا! كم أنّ الكاهن عظيم! إن أدرك ذلك، لَمات... الله يطيعه: إنّه يقول كلمتَين، فيسمعه الله، وينحدر من السماوات، ويسكن في القربان..." [٤]. وفي سبيل تفسير أهمّيّة الأسرار للمؤمنين، كان يقول: "لو لم نحصل على سرّ الكهنوت لما نلنا ربّنا. مَن هو الذي وضعه هنا في بيت القربان؟ إنّه الكاهن. مَن هو الذي نال روحنا خلال دخوله إلى الحياة؟ إنّه الكاهن. مَن هو الذي غذاها لإعطائها القوّة على القيام برحلة حجّها؟ إنّه الكاهن. مَن الذي سيعدّها للمثول أمام الله بعد غسل هذه النفس للمرّة الأخيرة بدم يسوع المسيح؟ إنّه الكاهن، دومًا الكاهن. وإن كانت هذه النفس توشك على الهلاك (بسبب الخطيئة)، مَن الذي يعيد إحياءها ويمنحها الطمأنينة والسلام؟ إنّه الكاهن أيضًا... إنّ الكاهن هو كلّ شيء بعد الله... والكاهن لا يُفهَم جيّدًا إلاّ في السماوات" [٥]. هذه الأقوال النابعة من قلب الكاهن القدّيس الكهنوتيّ قد تبدو لنا مفرطة، إلاّ أنها تعكس لنا مدى أهمّيّة سرّ الكهنوت بالنسبة إليه. كان يغمره شعور بمسؤوليّة غير محدودة: "لو فهمنا الكاهن على الأرض بصورة جيّدة، لمتنا ليس من الخوف وإنّما من المحبّة... إنّ آلام ربّنا وموته لا تجدي نفعًا من دون الكاهن...؛ فالكاهن هو الذي يواصل عمل الفداء على الأرض... ما الفائدة من منزل ممتلئ بالذهب إن لم يوجد أحد يفتح بابه؟ إنّ الكاهن يملك مفتاح الكنوز السماويّة: هو الذي يفتح الباب، لأنّه أمين الله الصالح ومدير خيراته... فإن تركت رعيّة من دون كاهن لعشرين سنة، جرت عبادة الحيوانات... إذًا فإنّ الكاهن ليس لنفسه ...، بل لكم" [٦].

وصل إلى آرس القرية الصغيرة التي كانت تضمّ ٢٣٠ نسمة؛ كان الأسقف قد أعلمه أنّه سيجد حالة دينيّة هشّة: "ليس هناك الكثير من محبّة الله في هذه الرعيّة، لكنّكم أنتم الذين ستضعونها فيها". إذًا كان يدرك كلّيًّا واجب الذهاب إليها ليجسّد فيها وجود المسيح، مظهرًا محبّته الخلاصيّة: "إلهي، امنحني هداية رعيّتي، وأنا موافق على المعاناة ممّا تريدونه لي كلّ أيّام حياتي!"؛ بهذه الصلاة تحديدًا استهلّ رسالته [٧]. كرّس الكاهن القدّيس ذاته لهداية رعيّته بكلّ ما أوتي له من قوّة، موليًا الاهتمام الأوّل للتنشئة المسيحيّة لشعبه الذي أُوكِل إليه. إخوتي الأعزّاء في الكهنوت، فلنسأل الربّ يسوع أن يمنحنا نعمة أن نتعلّم نحن أيضًا النهج الرعويّ الذي اتّبعه القدّيس جان ماري فيانّاي! وما يجب أن نتعلّمه أوّلاً هو تطابقه مع خدمته؛ ففي يسوع يميل الشخص والرسالة إلى التطابق مع بعضهما البعض؛ فكلّ عمله الخلاصيّ كان وما يزال تعبيرًا عن "الذات البنويّة" التي تقف دومًا أمام الآب وقفة طاعة محبّة لمشيئته. ومن خلال تماثل متواضع وحقيقيّ، يجب أن يميل الكاهن بدوره إلى هذه المماثلة. وبالتأكيد هذا لا يعني نسيان أنّ فعاليّة الخدمة الجوهريّة تبقى مستقلّة

(٣) NODET, p. 101.

(٤) *Ibid.*, p. 97.

(٥) *Ibid.*, pp. 98-99.

(٦) *Ibid.*, pp. 98-100.

(٧) *Ibid.*, p. 183.

عـن قداسة الخدمـة؛ إلاّ أنّنا لا نستطيع أيضًا تجاهـل الخصوبة الاستثنائيّة التي ينتجها اللقاء بيـن القداسة الموضوعيّة للخدمة والقداسـة الذاتيّة للخادم. لقد كرّس كاهن آرس القدّيس نفسه لهذا العمل المتواضع والصبور الذي يقضي بالتوفيـق بيـن حياتـه كخـادم وقداسة خدمتـه التي أُوكِلـت إليـه، لدرجة أنّه قـرّر أن "يسكـنَ" جسديًّا فـي كنيسته الرعويّـة: "مـا إن وصـل حتّـى اختار الكنيسـة لتكـون مسكنًـا لـه... كان يدخـل إلـى الكنيسة قبـل الفجر، ولا يخـرج منهـا إلاّ بعـد صـلاة التبشيـر الملائكـيّ المسائيّـة. لا بدّ من البحث عليه هنا، إذا كنّـا بحاجة إليه"، حسبما نقرأ في سيرته الأولى [٨].

يجب ألاّ تدفعنا مغالاة مؤرّخ السير المتفانـي إلـى إهمال فكـرة أنّ الكاهن القدّيـس عرف كيفيّة "السكن" في كافّة أماكـن رعيّته بنشـاط: كان يزور جميع المرضى والعائلات، وينظّم بعثات شعبيّة وأعيـادًا شفيعيّة؛ ويجمع ويدير تبرّعات نقديّـة لأعمالـه الخيريّـة والتبشيريّـة؛ ويجمّل كنيسته بتجهيزها بأشياء مقدّسة؛ ويعتني بيتيمات "العنايـة الإلهيّة" (وهو معهد أسّسه بنفسه) وبمربّياتهنّ؛ ويهتمّ بتربية الأطفال؛ ويخلق أخويّات، ويدعو العلمانيّين إلى التعاون معه.

يدفعنـي مثالـه إلى ذكـر مجالات التعاون التي يجب أن نفتحها للمؤمنين العلمانيّيـن الذين يؤلّـف الكهنة معهم الشعب الكهنوتيّ الواحـد[٩]، والذين يتواجـد الكهنـة وسطهـم بسبـب الكهنـوت "من أجـل إرشـاد الجميع نحـو الوحـدة فـي المحبّـة، "محبّين بعضهم بعضًـا محبّة أخويّـة، مفضّلين بعضهـم على بعض فـي الكرامة" (رو ١٢: ١٠)[١٠]". فـي هـذا السيـاق، لا بـدّ أن نتذكّـر كيـف شجّـع المجمـع الفاتيكانـيّ الثانـي الكهنة علـى "إقرار وتعزيـز كرامـة العلمانيّيـن وعملهـم فـي رسالة الكنيسـة... لا بـدّ لهم من الإصغاء إلى العلمانيّين مع أخذ رغباتهم بالاعتبار، ومن خلال الإقرار بتجاربهم ومهاراتهـم فـي مختلـف مجـالات النشـاط البشـريّ لكـي يميّـزوا معهم علامات الأزمنة" [١١].

كان الكاهن القدّيـس يعلّم بخاصة أبناء رعيّته من خلال شهادة حياته. على غـراره، كان المؤمنون يتعلّمون الصلاة متوقّفيـن أمام بيت القربان لزيارة يسوع القربـان[١٢]. وكان الكاهن يشرح لهم: "لسنـا بحاجة إلى الكثير من الكلام من أجل صلاة جيّدة. إنّنا نعلم أنّ الله الصالح موجود هنا في بيت القربان المقدس؛ إنّنا نفتح قلبه ونسرّ بوجوده. هذه هي أفضل صلاة" [١٣]. وكان يحثّهم قائلاً: "تعالوا إلـى المناولة، تعالوا إلـى يسوع، تعالوا للعيش منه ولـه" [١٤]. "صحيـح أنّكم لستم أهلاً له، ولكنّكم بحاجة إليه"[١٥]. إنّ تربية المؤمنين على الحضور القربانيّ وعلـى المناولـة كانت تكتسـب فعاليّة خاصّـة عندمـا كان المؤمنـون يرونـه محتفـلاً بالقدّاس. وكان الأشخاص الذين يشاركون فـي القدّاس يقولون إنّه "كان من غير الممكـن رؤية وجه يعبّر

(٨) Alfred MONNIN, *Le Curé d'Ars.Vie de M. Jean-Baptiste Marie Vianney*, I, Charles Douniol, 1868.

(٩) Cf. *Lumen gentium*, n. 10.

(١٠) *Presbyterorum ordinis*, n. 9.

(١١) *Ibid.*

(١٢) La contemplation est regard de foi, fixé sur Jésus. "Je L'avise et Il m'avise", disait au temps de son saint Curé le paysan d'Ars en prière devant le Tabernacle » (*Catéchisme de l'Église catholique*, n. 2715).

(١٣) NODET, p. 85.

(١٤) *Ibid.*, p. 114.

(١٥) *Ibid.*, p. 119.

عن السجـود بالطريقة عينهـا...؛ فقد كان يتأمّل في القربان بمحبّة كبيرة"[١٦]. وكان يقـول: "إنّ كلّ الأعمال الصالحة لا تسـاوي ذبيحة القدّاس لأنّها أعمال بشريّـة، في حيـن أنّ القدّاس هو عمل الله"[١٧]. كان مقتنعًـا أنّ حماسـة حياة الكاهن تعتمد علـى القدّاس: "إنّ سبب فتـور الكاهن يكمن في إهمال القدّاس. مع الأسـف! يا إلهـي! كـم أنّ الكاهن جدير بالشفقة عندما يقوم بذلك كما لو كان شيئًا اعتياديًّا!"[١٨]. وكان قد اعتاد خلال الاحتفـال بالقدّاس علـى تقديم تضحية حياته: "كم مـن الجيّد أن يقدّم كاهنٌ حياتَه إلى الله في كلّ صباح"[١٩].

هذه المطابقة الشخصيّة مع تضحية الصليب كانت تقوده، من خلال حركة روحيّة واحـدة، من المذبح إلى كرسيّ الاعتراف. يجب ألاّ يرضى الكهنة أبدًا برؤية كراسي الاعتراف خالية، وبالنظر إلـى زوال محبّة المؤمنين لهـذا السرّ. في زمن الكاهن القدّيس في فرنسا، لم يكن الاعتراف أكثر سهولة وأكثر تواترًا من الزمن الحاليّ، بالنظر إلى أنّ إعصار الثـورة أخمد الممارسـة الدينيّة خلال حقبة طويلة. ولكنّه سعى بكافّة الطرق: من خلال التبشيـر والسعي إلى الإقناع من خـلال النصائـح، إلى إرشـاد أبناء رعيّته إلى إعادة اكتشاف معنى وجمال سـرّ التوبـة الذي يعتبـر شرطًـا مرتبطًا بالحضور القربانيّ. هكذا عرف كيف يعطي الحياة لحلقـة فاضلة. من خلال مكوثـه مطوّلاً فـي الكنيسـة أمام بيت القربـان، حـثّ المؤمنين علـى التشبّه بـه، والقيام بزيارة يسوع، وعلى التأكّد مـن أنّ الكاهـن موجود فـي الكنيسة ومستعـدّ للإصغـاء إليهـم ومنحهـم الغفـران. بعدهـا، أدّى توافـد حشود التائبين القادمين مـن كافّة أنحاء فرنسا إلى إبقائه فـي كرسيّ الاعتراف حوالى ست عشـرة ساعة يوميًّـا. وكان الناس يقولـون إنّ آرس أصبحـت "مستشفى النفوس الكبيـر"[٢٠]. "إنّ النعمة التي كان ينالهـا (لهدايـة الخاطئين) كانت قويّـة بحيـث أنّها كانـت تبحث عنهم ولا تعطيهم وقتًا للراحة"، حسبما يقول الكاتب الأوّل للسيرة[٢١]. هذا ما كان يعتقـده الكاهـن القدّيـس عندما كان يقول: "ليس الخاطـئ هو الذي يرجع إلـى الله لطلـب المغفرة، لا بـل أنّ الله عينه هو الذي يبحث عن الخاطئ ليردّه إليـه"[٢٢]. "هـذا المخلّص الصالـح ممتلئ بالمحبّة لنا بحيث أنّه يبحث عنّا في كلّ مكان!"[٢٣].

ككهنـة يجـب علينـا جميعًـا أن نـدرك أنّ الكلمـات التـي كان يقولهـا مـن خـلال المسيـح تعنينـا شخصيًّا: "سأكلّف خدّامي بإعلام الخاطئين أنّني مستعدّ دومًا لاستقبالهـم، وأنّ رحمتي غير متناهيـة"[٢٤]. ككهنة لا نتعلّم فقط من كاهـن آرس القدّيس الثقـة التي لا تنضـب في سرّ التوبة ووضعه في محور اهتماماتنـا الرعويّـة، وإنّما نتعلّـم أيضًا أسلوبًا من أجل "حوار الخلاص" الذي يتأسّس فيـه. كان كاهن آرس يتعامل مع الخاطئين بطرق مختلفـة؛ فالأشخاص الذين كانوا يقتربون من كرسيّ الاعتراف

(١٦) Alfred MONNIN, o.c.. II.

(١٧) NODET, p. 105.

(١٨) *Ibid*., p. 105.

(١٩) *Ibid*., p. 104.

(٢٠) Alfred MONNIN, o.c. , II.

(٢١) *Ibid* .

(٢٢) NODET, p. 128.

(٢٣) *Ibid*., p. 50.

(٢٤) *Ibid*., p. 131.

لحاجتهم المتواضعة لنيل المغفرة من الله، كانوا يجدون فيه التشجيع على الغوص في "فيض الرحمة الإلهيّة" الذي يجرف كلّ شيء معه. وإن كان أحدهم يأسف لضعفه وتبدّله، ويشعر بالخشية من معاودة الخطيئة، كان يبرز له الكاهن سرّ الله من خلال تعبير رائع ومؤثّر: "إنّ الله الصالح كلّيّ المعرفة؛ فهو يعرف مسبقًا أنّكم سترتكبون الذنوب بعد اعترافكم، ومع ذلك يغفر لكم. كم أنّ محبّة ربّنا عظيمة! فهو ينسى المستقبل ليغفر لنا!"[٢٥]. أمّا للذين كانوا يقومون بالاعتراف بفتور ولامبالاة، فقد كان يظهر لهم حجم المعاناة التي كان يسبّبها تصرّفهم "البغيض" من خلال دموعه. وكان يقول: "أبكي لأنّكم لا تبكون"[٢٦]. "ماذا لو لم يكن الله صالحًا جدًّا، ولكنّه صالح؛ فهل تجوز معاملة أب صالح بهمجيّة؟!"[٢٧]. لقد كان يخلق التوبة في قلوب الفاترين، مرغمًا إيّاهم على رؤية معاناة الله بسبب الخطايا، هذه المعاناة التي ترتسم على وجه الكاهن الذي يعرفهم. من جهة أخرى، إن كان أحدهم يأتي إليه شاعرًا برغبة في حياة روحيّة أعمق، وقادرًا على ذلك، كان يطلعه على أعماق المحبّة، موضحًا له روعة العيش في اتّحاد مع الله وفي حضوره: "كلّ شيء على مرأى من الله، كلّ شيء مع الله، كلّ شيء من أجل إرضاء الله... كم هذا رائع!"[٢٨]. وكان يعلّم هؤلاء الأشخاص أن يصلّوا قائلين: "إلهي، أعطني نعمة أن أحبّك قدر الإمكان"[٢٩].

في تلك الحقبة، كان كاهن آرس قادرًا على تبديل قلوب وحياة الكثيرين، لأنّه نجح في جعلهم يدركون محبّة الربّ الرحيمة. إنّ زماننا الحاضر بحاجة ماسّة هو أيضًا إلى إعلان مشابه عن حقيقة المحبّة وشهادة مماثلة عنها: الله محبّة (١ يو ٤ : ٨). بالاستعانة بكلمات يسوع وأسراره، تمكّن جان ماري فيانّاي من هداية شعبه، حتّى ولو أنّه كثيرًا ما كان يرتجف أمام عجزه الشخصيّ؛ وتوصّل إلى الشعور أكثر من مرّة بالرغبة في التخلّص من مسؤوليّات الخدمة الرعويّة التي كان يرى أنّه غير جدير بها. غير أنّه بقي بطاعة مثاليّة في خدمته لأنّه كان ممتلئًا بالشغف الرسوليّ لخلاص النفوس. كان يسعى إلى الالتزام كلّيًّا بدعوته ورسالته من خلال ممارسة تقشّف قاس. كان يأسف القدّيس قائلاً: "تتمثّل مصيبتنا نحن الكهنة في فتور أنفسنا"[٣٠]؛ كان يشير بذلك إلى الخطر الذي يتعرّض له الراعي، والذي يتمثّل في الاعتياد على حالة الخطيئة أو اللامبالاة التي يعيشها العديد من خرافه. كان يخضع جسده من خلال السهر والصوم لكي لا يقاوم روحه الكهنوتيّة. ولم يكن يتردّد في فرض إماتات على نفسه من أجل خير النفوس التي أُوكِلت إليه، ومن أجل المساهمة في التكفير عن الخطايا الكثيرة التي كان سمعها خلال الاعتراف. وكان يوضح لأخ في الكهنوت قائلاً له: "سأطلعك على طريقة عملي. أطلب من الخاطئين تكفيرًا ضئيلاً، وأنا أهتمّ بالباقي"[٣١]. وخارج نطاق التكفير الملموس الذي كان ينكبّ الكاهن عليه، يبقى جوهر تعليمه متوفّرًا للجميع: لقد سفك يسوع دماءه من أجل خلاص النفوس، لذا لا يستطيع الكاهن الالتزام بهذا الخلاص في حال رفض المشاركة شخصيًّا بـ"ثمن الفداء الباهظ".

في عالم اليوم، وتمامًا كما في الزمن الصعب الذي عاش فيه كاهن

(٢٥) *Ibid.*, p. 130.
(٢٦) *Ibid.*, p. 27.
(٢٧) *Ibid.*, p. 139.
(٢٨) *Ibid.*, p. 28.
(٢٩) *Ibid.*, p. 77.
(٣٠) *Ibid.*, p. 102.
(٣١) *Ibid.*, p. 189.

آرس، يجب أن يتميّز الكهنة في حياتهم وأعمالهم بقوّة شهادتهم الإنجيليّة. كان بولس السادس يقول بدقّة: "إنّ الإنسان المعاصر يصغي إلى الشهود أكثر منه إلى المعلّمين، وإن أصغى إلى المعلّمين فهذا لأنّهم شهود"[٣٢]. بغية تجنّب ظهور فراغ وجوديّ فينا، وبغية تجنّب تعريض فعاليّة خدمتنا للخطر، لا بدّ لنا من التساؤل دومًا قائلين: "هل نحن فعلاً نعيش من كلام الله؟ هل هي فعلاً الغذاء الذي يحيينا أكثر من الخبز وأمور هذا العالم؟ هل نعرفها؟ هل نحبّها؟ هل نحن ملتزمون بهذا الكلام لدرجة أنّه يترك أثرًا كبيرًا في حياتنا ويبدّل تفكيرنا؟"[٣٣]. مثلما عيّن يسوع الاثني عشر ليلازموه (مر ٣: ١٤)، وأرسلهم لاحقًا للتبشير، كذلك فإنّ الكهنة مدعوّون إلى التشبّه بـ"نمط العيش الجديد" الذي أسّسه الربّ يسوع، والذي أصبح تحديدًا نمط حياة الرسل[٣٤].

هذا الالتزام بـ"نمط العيش الجديد" هو الذي ميّز خدمة كاهن آرس؛ ففي الرسالة العامّة، **بدء كهنوتنا** "(*Sacerdotii nostri primordial*) التي كتبها البابا يوحنّا الثالث والعشرون، والتي صدرت سنة ١٩٥٩ بمناسبة الذكرى المئويّة الأولى لوفاة القدّيس جان ماري فيانّاي، ذكر البابا تقشّفه بالاستناد إلى "ثلاث مشورات إنجيليّة" اعتبر أنّها ضروريّة أيضًا للكهنة: "على الرغم من أنّ الكهنة غير ملزمين بممارسة هذه التوصيات الإنجيليّة بموجب وضعهم الكهنوتيّ، إلاّ أنّها توفّر لهم ولجميع تلاميذ المسيح الطريق الأكثر ضمانًا إلى الكمال المسيحيّ"[٣٥]. استطاع كاهن آرس أن يعيش "المشورات الإنجيليّة" بحسب الأنماط التي تتوافق مع وضعه الكهنوتيّ. لم يكن "فقره" فقر رجل راهب أو ناسك بل الفقر المطلوب من الكاهن: فيما كان يدير مبالغ طائلة من الأموال (لأن الحجّاج الأثرياء كانوا يهتمّون بأعماله الخيريّة)، كان يعلم أنّ هذه الأموال مخصّصة لكنيسته وللفقراء واليتامى وأطفال "العناية الإلهيّة"[٣٦]، وللعائلات الأكثر فقرًا. إذًا كان "غنيًّا في إعطاء الآخرين، وفقيرًا مع نفسه"[٣٧]. كان يوضح قائلاً: "سرّي بسيط، يقوم على إعطاء كلّ شيء"[٣٨]. عندما كان ينقصه المال، كان يقول للفقراء بسرور: "أنا فقير مثلكم؛ أنا اليوم واحد منكم"[٣٩]. هكذا تمكّن في نهاية حياته من القول بهدوء تامّ: "لم أعد أملك شيئًا. يستطيع الله الصالح أن يدعوني متى شاء"[٤٠]. وكانت "عفّته" العفّة المطلوبة من الكاهن في خدمته. يمكننا القول إنّها العفّة الضروريّة للشخص الذي يجب أن يلمس القربان المقدّس يوميًّا، والذي يتأمّله بقلب مضطرم، والذي يمنحه للمؤمنين بالحماسة عينها. يقال عنه إنّ "العفّة كانت تلمع في عينيه"، وإنّ المؤمنين كانوا يرونها عند نظره إلى بيت القربان بكلّ محبّة[٤١]. كذلك تجسّدت "طاعة" القدّيس جان ماري فيانّاي في التزامه بكلّ المعاناة المرتبطة بالمتطلّبات اليوميّة في الخدمة. إنّنا نعلم مدى اضطرابه بسبب اعتقاده أنّه عاجز

(٣٢) *Evangeli nuntiandi*, n . 41.

(٣٣) BenoîtXVI, Homélie de la Messe Chrismale, 9 avril 2009.

(٣٤) Cf. Benoît XVI, Discours à l'Assemblée plénière de la Congrégation pour le Clergé, 16 mars 2009.

(٣٥) Pars I.

(٣٦) C'est le nom qu'il donna à la maison où il fit recueillir et éduquer plus de 60 petites filles abandonnées. Il était prêt à tout pour la maintenir: « J'ai fait tous les commerces imaginables », disait-il en souriant (NODET, p. 214

(٣٧) NODET, p. 216.

(٣٨) *Ibid*., p. 215.

(٣٩) *Ibid*., p. 216.

(٤٠) *Ibid*., p. 214.

(٤١) Cf. *Ibid*., p. 112.

عـن تقديم الخدمـة الرعويّـة، وبسبب رغبتـه في الهرب "ليتفجّـع وحيدًا على حياته الفقيرة"[٤٢]. وهنا نجحت الطاعة إلى جانب التعطّـش إلى النفوس بإبقائه في خدمته. كان يظهر للمؤمنين ولنفسه أنّـه ما من طريقتَين جيّدتين لخدمة ربّنا، وأنّ هنـاك طريقـة واحـدة تقـوم على خدمته بحسـب مشيئتـه" [٤٣]. وكان يعتقد أنّ القاعـدة الذهبيّة لحياة الطاعة هي: "قم فقط بمـا يمكن تقديمه للربّ الصالح" [٤٤].

فـي هـذا السيـاق مـن الروحانيّـة التـي تقتات مـن ممارسـة المشورات الإنجيليّـة، أوجّـه إلى الكهنـة في هذه السنة المخصّصة لهـم دعوة قلبيّة، هي دعـوة استقبـال الربيـع الجديـد الذي يحدثه الـروح فـي الكنيسـة، بخاصّة بفضل الحركات الكنسيّة والجماعات الجديـدة. "إنّ الـروح فـي هباته يتّخذ عدّة أشـكال...، وينفخ حيثمـا يشاء، ويقـوم بذلك بصـورة غيـر متوقّعة في أماكـن غير متوقّعـة وبأشكال لا يمكن تصوّرهـا مسبقًا... كذلك يبيّـن لنا أنّه يعمل في سبيل الجسد الواحد [٤٥] وفي وحـدة الجسد الواحد" . وما ينصّ عليه مرسـوم *Presbyterorumordinis* مـا يـزال ساريًا حتّـى الآن: "فيما يختبرون الأرواح لمعرفـة إذا كانت من عند الله، يسعـى الكهنة بحسّ من الإيمـان إلى اكتشـاف هبـات العلمانيّيـن المتعدّدة أكانـت متواضعة أم بـارزة، ويقدّرونها بفـرح وينمونها بحماسـة متقنة" [٤٦]. هـذه الهبات التـي ترشـد الكثيرين إلى حيـاة روحيّة أعمـق لا تفيـد المؤمنين العلمانيّين فقط وإنّما الإكليروس أيضًا؛ فالمشاركـة بيـن الخدمـات الكهنوتيّة والهبـات تـؤدّي إلـى خلق "دفـع قيّم مـن أجل التـزام الكنيسـة المتجدّد في خدمـة إعـلان إنجيل الرجـاء والمحبّة والشهـادة له فـي جميع أنحـاء العالم" [٤٧]. أودّ أن أضيـف أيضًـا بالتناغم مع ما جاء في الإرشاد الرسوليّ **أعطيكم رعاة** (*Pastoris dabo vobis*) للبابـا يوحنّا بولـس الثانـي، أنّ الخدمـة الكهنوتيّة تتّخذ "شكلاً جماعيًّا" جذريًّا، وأنّها لا تتحقّـق إلاّ من خلال اتّحـاد الكهنة مع أسقفهم [٤٨]. ولا بدّ من أن يترجم اتّحاد الكهنة مع بعضهم البعض ومع أسقفهم، المتجـذّر في سرّ الكهنـوت والمتجلّي فـي الاحتفـال بسـرّ الإفخارستيّا، في مختلف أشكال الأخوّة الفعّالة والمؤثّرة [٤٩]. هكذا فقط يتمكّن الكهنة من عيش هبـة التبتّل، وبنـاء جماعـات مسيحيّة تتجدّد في وسطها آيـات التبشير الأوّل بالإنجيل.

تدعونا السنـة البولسيّة التي توشك علـى النهاية إلى التأمّل في رسول الأمم الـذي يُعتَبَـر مثـالاً رائعًا عـن الكاهن الملتـزم كلّيًّـا بخدمتـه. فقـد كتـب: "فـإنّ محبّة المسيح تسيطر علينا، وقد حكمنـا بهذا: مـا دام واحـد قد مات عوضًـا عن الجميـع، فمعنـى ذلك أنّ الجميع ماتوا" (٢ كو ٥: ١٤)؛ ويضيف: "وهو قد مات عوضًا عن الجميع حتّى لا يعيشـ الأحياء في ما بعـد لأنفسهم بل للذي مـات عوضًا عنهم ثم قام" (٢ كـو ٥: ١٥). هل هنـاك من منهج أفضل يُعطَـى لكاهـن يسعى إلـى التقدّم على درب الكمال المسيحيّ؟

إخوتـي الأعـزّاء، يأتـي الاحتفـال بالذكـرى المئـة والخمسيـن لوفـاة القدّيـس جان ماري فيانّـاي (١٨٥٩)

(٤٢) Cf. *Ibid.*, pp. 82-84 ; 102-103.

(٤٣) *Ibid.*, p. 75.

(٤٤) *Ibid.*, p. 76.

(٤٥) Benoît XVI, Homélie de la Vigile de Pentecôte, 3 juin 2006.

(٤٦) N. 9.

(٤٧) Benoît XVI, Discours aux Évêques amis du Mouvement des Focolari et de la Communauté de Sant'Egidio, 8 février 2007.

(٤٨) Cf. n. 17.

(٤٩) Cf. Jean-Paul II, *Exhort. Ap.Pastores dabo vobis*, n. 74.

بعد الاحتفالات بالذكرى المئة والخمسين لظهورات لورد (١٨٥٨). سنة ١٩٥٩، قال الطوباويّ البابا يوحنّا الثالث والعشرون: "قبيل انتهاء حياة كاهن آرس الطويلة والرائعة، ظهرت العذراء التي حُبِل بها بلا دنس في منطقة فرنسيّة أخرى على طفلة متواضعة وبريئة، وأعطتها رسالة صلاة وتوبة ما تزال تؤتي ثمارًا روحيّة كثيرة لغاية الآن، أي بعد انقضاء قرن. وفي الحقيقة، إنّ حياة الكاهن القدّيس الذي نحتفل بذكراه أظهرت مسبقًا الحقائق المذهلة التي عرفتها الرائية في ماسابيال! كان الكاهن متعبّدًا بشدّة للعذراء القدّيسة التي حُبِل بها بلا دنس؛ فهو الذي قام سنة ١٨٣٦ بتكريس رعيّته لمريم التي حُبِل بها بلا دنس، ورحّب بالكثير من الإيمان والفرح بهذا القرار العقائديّ الصادر سنة ١٨٥٤"[٥٠]. كان الكاهن القدّيس يذكّر المؤمنين دومًا بأنّ "يسوع المسيح الذي أعطانا كلّ ما يستطيع إعطاءنا إيّاه يريدنا أيضًا أن نرث أثمن ما يملك، أي أمّه القدّيسة"[٥١].

إنّني أعهد بهذه السنة الكهنوتيّة إلى العذراء القدّيسة سائلاً إيّاها أن تحثّ كلّ كاهن على الالتزام السخيّ والمتجدّد بمثال تقديم الذات للمسيح والكنيسة، الذي ألهم فكر كاهن آرس القدّيس وعمله. إنّ حياة الصلاة الحارّة ومحبّة يسوع المتّقدة سمحتَا لجان ماري فيانّاي أن ينمو في تقديم ذاته لله والكنيسة. فليكن مثاله مرشدًا لجميع الكهنة نحو تقديم شهادة الوحدة مع أسقفهم ومع بعضهم البعض ومع العلمانيّين، هذه الشهادة الضروريّة اليوم وفي كلّ زمان. على الرغم من وجود الشرّ في عالمنا، إلاّ أنّ الكلمات التي قالها المسيح لتلاميذه في العلّيّة ما تزال تلهمنا: "إنّكم في العالم ستقاسون الضيق، ولكن تشجّعوا، فأنا قد انتصرت على العالم" (يو ١٦: ٣٣). يمنحنا الإيمان بالربّ السماويّ القوّة على النظر إلى المستقبل بثقة. أيّها الكهنة الأعزّاء، إنّ المسيح يعتمد عليكم. على مثال كاهن آرس القدّيس، دعوه يسكن فيكم، فتكونوا في عالم اليوم رسل رجاء ومصالحة وسلام!

مع بركاتي الرسوليّة!

(٥٠) Encycl. *Sacerdotii nostri primordia*, P III.

(٥١) NODET, p. 244.

"وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة"
(خر ١٩: ٦)

الأخت روز أبي عاد
دكتورة في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمــة

يرينا خر ١٩ الشعب في سيناء، أي بعد خروجه من مصر، وقبل إبرام العهد مـع الله. لقـد سبـق وخاصـم الشعبُ الربَّ وموسى في مَسَّـة مَريبة (خر ١٧: ١-٧)، لكـنّ الربّ أظهر لهم أمانته مرّة جديـدة، وها هو الآن يعقد معهم عهدًا مجّانيًّا ليرتبط بهـم، عِلمًا أنّه ليس لهم أيّ استحقـاق بحيازتـه. إنّـه على أهبّة الاستعـداد ليغـدق عليهـم نعمـه، هو الذي لـم يفارقهم البتّة منذ هروبهم من مصـر وحتّى وصولهم إلـى سفح جبل سيناء. يرتبط الربّ بهم بطريقة خاصّة، وباحتفال مهيب. لقد حان الوقت لأن يقبـل الشعب خيـار الله بحرّيّة، فيصير خاصّته إلى الأبد. أمّا العهد فيقوم على أن يسمـع الشعـب كلام الله ويلتزم به؛ فإذا أتمّ الشروط التي يفرضها الله عليه، يمكنـه أن ينعم بالوعـد بأبعاده الثلاثة: يكون شعبًا يتمتّـع بامتيازات، ومملكة من الكهنة، وأمّة مقدّسة.

١ – مملكة من الكهنة في العهد القديم

يُقسَـم خـر ١٩ إلى ثلاثـة أقسام: آ ١–٦ هـي بمثابـة مقدّمـة يبـرز فيها كلام الله الى العبرانيّين بواسطة موسى؛ وتشكّل آ ٧–١٥ القسم الثاني، وتقوم على الاستعداد المطلوب من العبرانيّين قبـل حضورهـم أمـام الربّ فـي سبيل إقامة العهـد؛ أمّا القسم الثالث المؤلّف من آ ١٦–٢٥ فيصـف التجلّي الإلهيّ ببهائه وعظمته على جبل سيناء. الجدير بالذكـر أنّ الفصل ١٩ بأسره يبدو كأنّه تمهيـد للحـدث الكبيـر الـذي سيرد فـي الفصل التالي، والقائـم على إعطاء الوصايا العشر من الله للشعب [١].

بالعـودة إلى القسم الأوّل، فالآيات ١–٣ تكوّن الإطار التمهيديّ للخطاب الإلهيّ الذي سيوكل الله أمر إيصاله إلى موسى، ومنـه إلى الشعـب؛ وتحظى آ ٤–٦ بأهمّيّـة كبرى إذ تشكّل لبّ ما يريـده الله مـن إقامة عهد مـع الشعب. من علـى الجبل قال الله الـكلام الأكثر أهمّيّـة في العهـد القديم؛ إنّـه يعبّر عن حبّ الخالـق الذي يتعذّر على الإنسان أن يسبر غوره، ربّما يتضمّن كلّ ما يبغيه من العهـد التيوقراطيّ: "كذا تقول لآل يعقـوب وتخبر بَنـي إسرائيل: قد رأيتم ما صنعتُ بالمصريّين، وكيف حملتكم علـى أجنحة النسور وأتيـت بكم إليّ. والآن، إن سمعتـم سماعًـا لصوتـي، وحفظتـم عهدي، فإنّكـم تكونون لي خاصّـة من بيـن جميع الشّعـوب، لأنّ الأرض كلّها لـي. وأنتـم تكونون لي مملكـة من الكهنة، وأمّـة مقدّسة. هذا هو الـكلام الذي تقوله لبنـي إسرائيل" (خـر ١٩: ٣-٦). تبلغنا هـذه الكلمات عدّة حقائق، أهمّها:

– تاريـخ العبرانيّين هـو دليل على أمانـة الله لعهـده بإنقاذهـم مـن أيدي أعدائهـم، وبحرصه علـى الاعتناء بهم العنايـة الخاصّـة [٢]. يستعمـل الله هنا صـورة رائعة تعـود إلـى عنايـة النسر

(١) من هنا لا يمكننا أن نقدّر أهمّيّة الوصايا كما يجب إلاّ إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يرد في الفصل ١٩.

(٢) في الآية الرابعة يذكّر الله العبرانيّين بالتفاوت الشاسع بين مصيرهم، إذ حملهم على أجنحة النسور، ومصير المصريّين الذين هلكوا.

بفراخه [٣]، أجمل بها من صورة لعناية الربّ العطوف والشفوق بشعبه [٤].

– لقد حرّر الله شعبه قصد أن يكون خاصّته، فتكون الأمّة بأسرها ملكًا له، وتخدمه كأمّة كهنوتيّة. كان الله يهدف من توطيد شعبه إلى أن يلعب دور الوسيط، أي أن يكون نورًا للأمم من خلال مشاركتهم للدخول في إلفة معه [٥].

– بغية صيانة هذه المكانة المميّزة، كان على العبرانيّين أن يبقوا أمناء على العهد؛ فدعوتهم تتضمّن الامتياز والمسؤوليّة على حدٍّ سواء [٦]. هكذا، إذا أراد هؤلاء التمتّع بإلفة الله وخدمته بصفتهم ممثّلين لدى الأمم، كان عليهم أن يعكسوا قداسته ونقاءه، وبالتالي، أن يحظَوا بالوصايا، أي أن يتميّزوا عن الأمم، وأن يتشبّهوا بالله، لكي يتمكّن من تأدية دعوتهم الكهنوتيّة.

أن يُلقِّب الربّ شعبه بـ"المملكة" يعني أنّه يقول لهم إنّه هو الملك عليهم [٧]. هذا يعني أنّه، من ناحية، يحرّرهم من أيّ استبداد أو ظلم بشريّ، ومن ناحية ثانية، يحميهم من الانزلاق في الاضطراب الناتج عن فقدان النظام. وحدها سلطة الله تؤمِّن للشعب الحرّيّة الحقّة التي لا تعني إطلاق العنان للاستقلاليّة دون أيّ امتثال للأعراف والمسلّمات، بل، عكس ذلك، تلتمس منهم الالتزام الداخليّ، وتدعوهم إلى الاتّحاد به.

أمّا أن تتّصف هذه المملكة بـ"الكهنوتيّة" فهذا يعني أن يكون الشعب بأسره مدعوًّا للتكرّس لخدمة الله، ولتمميم المهام المتعلّقة بهذه الخدمة. ألم يكن هذا معنى الدعوة الملحّة في سفر الخروج، أن "أطلق شعبي ليعبدني" [٨]؟ فالكهنة، بصورة جوهريّة، هم موقوفون للخدمة المقدّسة، وللقيام بالمهام الليتورجيّة التي توحّدهم بالله.

يؤكّد الربّ لشعبه العزّة التي سيمنحه إيّاها، واللطف الذي سيريه إيّاه، في حال أنّه حافظ على العهد (آ ٥، ٦)، فسيكون خاصّته من بين جميع الشعوب؛ هو يعبّر عن وعده بكلّ ما يمكن أن يحتويه من السعادة أنّه "يكون لهم إلهًا، وأنّهم يكونون له أمّة"؛ فكلّ شعوب العالم أصلاً تنقاد له [٩]، ولكن لا بدّ له من أن يختار خاصّته، ويتعامل معهم بسلطة. هو يخصّص العبرانيّين لذاته، كشعب عزيز عليه، ككنز خاصّ به، علمًا أنّه ليس سبب غنى له، كما هي حال أيّ إنسان بمقتنياته، ولكنّه حَسُنَ له أن يُعطيه كرامة وتقديرًا، كما يفعل أي إنسان بكنزه، إذ قد صار كريمًا في عينيه ومجيدًا (أش ٤٣: ٤)؛ فلقد تعلّق الربّ بحبهم واختارهم

(٣) ترد الصورة بإيضاح أكبر في تثنية الاشتراع: "كالنسر الذي يغار على عشّه وعلى فراخه يرفرف. يبسط جناحيه، فيأخذه وعلى ريشه يحمله" (٣٢: ١١)؛ ما يميّز العقبان هي أنّها تحمل صغارها على أجنحتها، فتشكّل لها حماية فائقة؛ وإذا أطلق احدهم الرماية على العقاب، تطاله هو مباشرة، وتظلّ الفراخ بمنأى عن الخطر. هكذا فإنّ عمود الغمام والنار الذي يرمز إلى حضور الله بين شعبه قد شكّل خطّ دفاع لا يُخرَق بين الإسرائيليّين ومطارديهم، وحائطًا لا يمكن أن يُثقَب.

(٤) ليس هذا فحسب، فقد وفّر الله لشعبه طريقًا آمنة ورافقهم طيلة مسيرتهم. وقد تجلّت قمّة حمايته لهم حين أوصلهم ليس الى بلد من الحرّيّة والعزّة، بل إلى إقامة عهد وشراكة معهم. وهذا ما شكّل فخر خلاصهم، إذ إنّ كلّ ما كان يصبو إليه هو أن يجذبهم إليه، هم الشعب المتمرّد والعاصي، فيكونوا سبب سروره.

(٥) عندما أقام الله عهدًا مع إبراهيم، أغدق عليه البركة ووعده بأن يجعله أمّة كبيرة، لا بل ستتبارك به جميع عشائر الأرض (رج تك ١٢: ٢–٣).

(٦) "الذي أعطي الكثير يُطلب منه الكثير" (لو ١٢: ٤٨).

(٧) أكثر من مرّة وردت فكرة مُلك الله في العهد القديم؛ رج قض ٨: ٢٢–٢٣؛ ١ صم ١٢: ١٢؛ مز ٢٤: ٧–١٠؛ أش ٦: ٥؛ ٤٣: ١٥؛ إر ١٠: ١٠.

(٨) رج خر ٧: ١٦، ٢٦؛ ٨: ١٦؛ ٩: ١؛ ١٣؛ ١٠: ٣؛ نجد صدى لهذه اللازمة في أش ٤١: ٨–٩؛ ٤٢: ١٩؛ ٤٣: ١٠؛ ٤٤: ١–٢، ٢١؛ ٤٥: ٤؛ ٤٨: ٢٠؛ ٤٩: ٣؛ ٥٤: ١٧؛ إلخ.

(٩) يُشير التأكيد "الأرض كلّها لي" (خر ١٩: ٥)، إلى أن الربّ يسود ليس فقط على البشر، بل على سائر مخلوقات الطبيعة وعواملها على حدٍّ سواء.

(تث ٧: ٧)، وأحاطهم بعناية خاصّة كالكنز الذي يوضع في مكان يوحي بالأمان والطمأنينة. لقد ميّزهم بالوحي الإلهيّ، وزوّدهم بالطقوس الدينيّة، وأرسل لهم الأنبياء، وأفاض عليهم روحه، وكرّمهم فوق جميع الشعوب، ليجعل منهم شعبًا خاصًّا به (تي ٢: ١٤)، مكرَّسًا له، مؤدّيًا له الإكرام، وقائمًا على خدمته (آ ٦)، مملكة من الكهنة وأمّة مقدّسة[١٠].

قد يجوز أن تُفهَم العبارة "مملكة من الكهنة"[١١] أنّها مملكة يسوسها الكهنة. لقد عرف شعب العهد القديم هذا النوع من القيادة خلال فترة إقامته في الصحراء حيث كان موسى وهارون يعطيانه التعليمات، ولكنّ "مملكة من الكهنة" تعني أنّ الجميع، من الصغير إلى الكبير، هم كهنة. فكيف يمكن فهم هذا الكلام؟ من ميزات الكهنة اللاويّين الذين اختارهم الربّ لخدمته أنّه ليس لديهم ممتلكات في هذا العالم المادّيّ، لأنّ الربّ هو نصيبهم؛ وعليه فالمملكة الكهنوتيّة تعني أن تُنظَّم الأمّة بأسرها، وكأنّ الأرض كلّها وكلّ ما يعود إليها تكون مكرَّسة للربّ؛ فلا يعود أيٌّ فرد يعمل سوى للمحافظة على وصايا الربّ ولإرضاء احتياجات قريبه، لدرجة أنّه لن يقلق أيّ كان على ذاته. وهكذا فإنّ عبارة "مملكة من الكهنة" تتمحور حول "أحبب قريبك كنفسك"، ويُقصَد بها مملكة مكوّنة من كهنة نصيبهم الربّ، ولا يملكون أيّ أمر خاصّ من بين سائر الممتلكات المادّيّة.

"مملكة من الكهنة" تفترض أن يكون الشعب كلّه رسولاً، فيعلن للأمم عن وحدانيّة إلهه وعن عهده به. إذًا لن يعود بإمكانه أن ينغلق على ذاته، بل عليه أن يزفّ خبر العهد إلى الأمم؛ فالتصرّف الكهنوتيّ يعني أنّه عليه أن يعرّف الربّ إلى الأمم. هذا ما يقوله أشعيا عن الشعب الكهنوتيّ: "أمّا أنتم فتُدعَون كهنة الربّ، ويقال لكم خَدَمَةُ إلهنا" (٦١: ٦). يا لها من مهمّة جسيمة أمام الله وأمام البشر! فهي تقوم على عبادة الربّ باسم الجميع، ورفع الصلوات والتقادم والتسابيح والتضرّعات من أجل العالم كلّه.

"مملكة كهنوتيّة" تفترض أن يكون الشعب كلّه شاهدًا لما صنعه له الربّ (أش ٤٣: ١٠)، وبالتالي أن يكون نورًا للأمم[١٢].

"مملكة من الكهنة" تفترض أن يكون الشعب كلّه مقدّسًا، أي أن يعيش في حميميّة مع الربّ، ورسالته تكمن في إظهار هذه الحميميّة إلى الأمم؛ فالقداسة في العهد القديم تعني الوضع على حدة أو العزل بغية غاية ما، ألا وهي الاقتراب من الربّ وخدمته عن كثب، كونهم مقرَّبين إليه (مز ١٤٨: ١٤)؛ فالقرابة الحميمة تجمعهم إليه وتوحّدهم به. وعليه، فالقداسة هي هبة من الله وبركة من لدنه، وليست ميزة يكتسبها الشعب لدى تطبيق ما يفرضه العهد على أكمل وجه. هذا هو الكنز الذي على شعب العهد القديم أن يحافظ عليه، وأن يشهد له دون أن يتّخذ منه حجّة للتباهي.

"مملكة من الكهنة" تفترض أن ينتمي الشعب إلى ربّه بصورة فريدة، من خلال رباط مميّز بين الفريقين. يُعَبَّر عن هذا الرباط بتعابير التملّك. ولكن، بما أنّ الله هو المتكلّم، وانطلاقًا من كونه الحبّ بذاته، تندرج هذه التعابير في إطار لغة الحبّ التي تختصّ بالوالدين عندما يتكلّمون عن أبنائهم ويستعملون ألفاظ التملّك. هذه الكلمات التي تنساب من فم الله هي

(١٠) قد يبدو لنا أنّ فكرة الاختيار تسلّط الأضواء على الأفضليّة، ولكنّها بالحريّ تحمّل المسؤوليّة الملقاة على عاتق المدعو، إذ يُطلب منه الانخراط في مخطّط الله الخلاصيّ، وإلاّ سينزل به العقاب، وعليه أن يتكبّد نتيجة أفعاله (لا ٢٦: ١٤-٣٩).

(١١) تجدر الإشارة إلى أنّ النسخة السبعينيّة قد ترجمت العبارة "مملكة من الكهنة" بـ"كهنوت ملوكيّ"، وهكذا فعل القدّيس بطرس في رسالته الأولى (٢: ٩)، أمّا سفر الرؤيا فيتحدّث عن "مملكة وكهنة" (٥: ١٠)، في حين أنّ لدى الترجمة اللاتينيّة الشعبيّة (*Vulgata*) "مملكة كهنوتيّة".

(١٢) رج أش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦.

التي تمنح الشعب هويّته، وفيها تنجلي له دعوته ورسالته.

بالإضافة إلى صفة الكهنوت التي تميّز الشعب الذي يعقد الله معه العهد، فهو "أمّة مقدّسة". لا بدّ من التنويه أنّه ما من فرق بين كلٍّ من التعبيرين: "مملكة كهنوتيّة" و"أمّة مقدّسة"، لأنّ المعنى العاديّ للكهنوت له بُعْدٌ مقدّس؛ فالفعل العبريّ קדש (ق د ش) يفترض في الوقت عينه القداسة والتكريس، وبالتالي، من الواضح أنّ مملكةً كلُّ أبنائها كهنة هي بطبيعة الحال أمّة مقدّسة، وعليه، فإنّ تعبير "أمّة مقدّسة" يبدو بدلاً لـ"مملكة كهنوتيّة"[١٣].

٢ – مملكة من الكهنة في العهد الجديد

تصف الرسالة إلى العبرانيّين يسوعَ بأنّه عظيم الكهنة الذي يتكلّم مع الله باسم الشعب (٣: ١)؛ إذًا هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان (١ تم ٢: ٥)؛ ليس فقط هو مَن يهبنا كلام الله ويرسل كلامنا إليه، بل هو كلمة الله الحيّة والمحيية. دعوة المسيح هي حجر الأساس الذي يبني عليه كلّ مسيحيّ دعوته، المدعوّ إلى أن يتّحد بربّه لكي يصير مسيحًا آخر من خلال التّشبّه به. من هنا نفهم كلام القدّيس بطرس الذي يتوجّه الى المعمّدين المولودين حديثًا قائلاً لهم: "إقتربوا منه، فهو الحجر الحيّ الذي رذله الناس، فاختاره الله، وكان عنده كريمًا. وأنتم أيضًا، شأن الحجارة الحيّة، تُبنَون بيتًا روحيًّا، فتكونون جماعة كهنوتيّة مقدّسة، كيما تقرّبوا ذبائح روحيّة يقبلها الله عن يد يسوع المسيح... أمّا أنتم فإنّكم ذرّيّة مختارة وجماعة المَلِك الكهنوتيّة، وأمّة مقدّسة، وشعب اقتناه الله، للإشادة بآيات الذي دعاكم من الظّلمات إلى نوره العجيب" (١ بط ٢: ٤–٥، ٩). في هذه الآيات التي تتكلّم عن الجماعة الكهنوتيّة، نجد أكثر من لفظة تدلّ على ما تقوم به الجماعة الكهنوتيّة؛ فالمطلوب منها أولاً هو الاقتراب من الحجر الحيّ، الذي هو يسوع المسيح. منذ أن أعلن بطرس إيمانه بالمسيح، "يا ربّ، إلى مَن نذهب وكلام الحياة الأبديّة عندك" (يو ٦: ٦٨)، أصبح المسيحيّون يُعرَفون بأنّهم "الذين يتقرّبون بالمسيح إلى الله"[١٤]. بعدها تأتي الصورة المألوفة في الكتاب المقدّس، وهي الإشارة إلى المسيح بالحجر[١٥]، لتذكّر بمادّة البناء المستعملة في أيّام يسوع والرسل، وكانت تتميّز بالصلابة والثبات[١٦]، على أنّ الحجارة الكبيرة كانت تستعمل لوضع الأساس، أو كنقطة ارتكاز في الزاوية لتدعيم التقاطع بين الحيطان. بالرغم من أنّ العهد القديم كان يُطلق لقب "الصخرة" على الله، فالابتكار هنا يأتي عندما يُنعَت المسيح بـ"الحجر الحيّ"، ذلك أنّ الحجر يرمز عادة إلى الجماد والموت. منذ أن طبّق يسوع على ذاته نبوءة "الحجر الذي رذله البنّاؤون"[١٧]، أصبح الحجر الأكثر قيمة، والذي لا غنى عنه بين سائر الأحجار. وبما أنّ المسيحيّين يتحوّلون إلى صورة الربّ[١٨]، من الطبيعيّ أن يتّخذوا شكل الحجارة الحيّة، لكي يندمجوا في البنيان عينه، فيغدون جزءًا متمِّمًا لمشروع البناء، هم المنحوتون من الصخر والمقتلعون من المقلع[١٩]. عندما ينضمّ المعمَّدون إلى الكنيسة من خلال سرّ المعموديّة، يغدون كالحجارة في الهيكل، فيشكّلون جسدًا من الكهنة أو عائلة كهنوتيّة، فيصبحون معبدًا مكرّسًا لعبادة الله، أي جماعة عابدة

(١٣) رج تث ٧: ٦؛ ١٤: ٢.
(١٤) عب ٧: ٢٥؛ را ٤: ١٦.
(١٥) رج ١ بط ٢: ٦–٧.
(١٦) رج مت ٧: ٢٤–٢٥.
(١٧) رج مز ١١٨: ٢٢.
(١٨) رج ٢ كو ٣: ١٨.
(١٩) رج أش ١: ٥١.

بالـروح والحقّ. في هـذا المعبد يحتلّ المسيـح مكانًـا منقطع النظيـر، ويقوم بدور متفوّق وتأسيسيّ بالنسبة إلى سائر الحجـارة الحيّة التـي ترتكز عليـه. ثمّ يقـارن القدّيس بطرس الحياة المسيحيّة بالليتورجيّـا التـي تصعـد مـن الهيكل "قربانًـا وذبيحة لله طيّبـة الرائحة" (أف ٥: ٢)؛ إنّهـا شهادة اشتراك المؤمنين في كهنوت المسيح، فهم ينشرون مواهب الله، بواسطة صلاتهـم التي تتّسع لتطال احتياجـات العالـم علـى مثـال صلاة المسيح الكهنوتيّة التي سبقت آلامه.

تعني دعوة المعمّدين الكهنوتيّة جميع المؤمنين بالربّ يسوع؛ فكهنوتهم يؤهّلهم أن يقدّموا حياتهم لله، ومواهبهم وانهماكاتهم اليوميّة باتحادهم بذبيحة المسيح الفدائيّة [٢٠]. سينطلق العهد الجديد من هذه الدعوة الخاصّة ليعطيها بُعْدًا كونيًّا. كلّ معمّد قد نال مسحة زيت الميرون، قد امتثل للمسيح، وصار مسكنًا روحيًّا وكهنوتًا مقدّسًا. على مثال المسيح، يقدّم المعمَّد حياته للآب، إله الحبّ، الذي يهدف أن يُدخلنا في حميميّته لكي نتعرّف عليه ونعيش به إلى الأبد. بيسوع المسيح قد ولجنا العهد الجديد والأبديّ المختوم بدمه. إنّ قراءة ١ بط ٢: ٥، ٩ على ضوء رؤ ١: ٦؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦، تجعل من الكنيسة جماعة كهنوتيّة وملوكيّة. وعليه، فكلّ مسيحيّ هو في الوقت عينه كاهن وملك لأنّه ينتمي إلى عائلة الله، ويحقّ له أن يشاركه الكرامة، وأن يقترب بكلّ جسارة من قصر الله الملكيّ، كما يقترب الكاهن من المذبح الذي هو عرش الله.

يؤسّـس المجمـع الفاتيكانـيّ الثاني تعليمه العقائـديّ حول كهنوت العهـد الجديد على مفهـوم "التكريس والرسالـة" [٢١]؛ فالتكريس أو التقديس هـو ميـزة يتحلّى بهـا المسيـح [٢٢]، الـذي مُسـح بـروح الـربّ، بصفتـه ملـكًا وكاهنًـا ونبيًّـا [٢٣]. لقـد حقّق يسـوع الرجـاء المسيحانـيّ لإسرائيل على ثلاثة أصعـدة: الكهنوت والنبوءة والملكوت؛ فمنذ ولادته، بشّر الملاكُ الرعاةَ بولادة المسيح المنتظَر في مدينة داود (رج لـو ٢: ١١)، كما كان قد حُبل به مـن الـروح القدس، ولذلـك فهو قدّوس [٢٤]، ولهـذا طلب ملاك الربّ مـن يوسف أن يأخذ مريم إلى بيته، لأنّ الذي كُـوِّنَ فيها هو من الروح القدس، وهـو الـذي سيولـد مـن سلالـة داود الملـك [٢٥]. وفي ما بعد، بـدأ يسوع إعلان الإنجيل مـذ سمع صوت الآب يقـول له: "أنـت ابني الحبيـب" [٢٦]. كونه ابنَ الله، تقوم رسالته على الشهادة لحـبّ أبيه. لقـد أحبّه حتـى كابد آلام المـوت علـى الصليب، ولكـن عندما قام من الموت، جعلـه الله ربًّا ومسيحًا وكاهنًا الى الأبد [٢٧].

فـي قلـب المملكـة الكهنوتيّة التي يدخلها المؤمنون بالمسيح من خلال سرّ المعموديّة، نجد دعوة خاصّة لكهنوت الخدمـة، المعبَّـر عنه فـي الرسالـة إلى العبرانيّين: "فـإنّ كلّ عظيم كهنة يؤخذ من بيـن الناس، ويقـام من أجـل الناس في صلتهم بالله، ليقـرِّب قرابين وذبائح كفّـارة للخطايـا" (٥: ١). فمـن جهة، يتلقّى الكاهن النعم من الله ليوزّعها على

(٢٠) "إنّي أناشدكم إذًا، أيّها الإخوة، بحنان الله، أن تُقرّبوا أشخاصكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عند الله؛ فهذه هي عبادتكم الرّوحيّة" (رو ١٢: ١). هذا، وإنّ كلمة "ذبيحة" تفترض الألم على مثال المسيح: "أمّا وقد تألّم المسيح في جسده، فتسلّحوا أنتم بهذه العبرة، وهي أنّ من تألّم في جسده كفّ عن الخطيئة" (١ بط ٤: ١–٢)، ولكنّ الألم لا يتوقّف هنا لأنّ مَن يشارك المسيح في آلامه، يكون في فرح وابتهاج حين يتجلّى مجدُه (١ بط ٤: ١٣).

(٢١) دستور عقائديّ في الكنيسة، **نور الأمم**، ٢٨، قرار مجمعيّ في حياة الكهنة وخدمتهم ورعايتهم، "الدرجة الكهنوتيّة"، ٢.

(٢٢) "المسيح" يعني الممسوح بزيت التكريس؛ لم تصبح صفة "الممسوح" اسمًا عَلَمًا ليسوع إلاّ لأنّه قام برسالته الإلهيّة على وجه تامّ.

(٢٣) رج أش ١١: ٢؛ زك ٤: ١٤؛ ٦: ١٣؛ أش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٦–٢١.

(٢٤) رج مت ١: ٢١؛ لو ١: ٣٥.

(٢٥) رج مت ١: ١٦؛ وأيضًا رو ١: ٣؛ ٢ طيم ٢: ٨؛ رؤ ٢٢: ١٦.

(٢٦) رج مر ١: ١١–١٥.

(٢٧) أع ٢: ٣٦؛ عب ٥: ٦؛ ٧: ١٧–٢١.

المؤمنين، ومن جهة أخرى، يقدّم أمور الدنيا إلى الله ليقدّسها. وعليه، يصبح الكاهنُ الوسيطَ بين الله والبشر على مثال المسيح الوسيط، فيشكّل جسرًا بين الله والشعب؛ فهو بالتالي امتداد حيّ لدور المسيح النبع الحيّ، منه يستقي ماء الحياة ويوزّعها على الآخرين، كما أنّه يعرّض نفسه للمسيح الشمس، ليعكس نوره على العالم ويجذب الناس إليه [٢٨]. بكلمة، يصبح دور الكاهن أسراريًا، أي أنّه يصبح علامة حضور الله بين البشر.

في مملكة الكهنة التي أسّسها الربّ يسوع، يوجد تمايز أساسيّ بين كهنوت المؤمنين العامّ وكهنوت الخدمة، لكنّهما يتلاقيان الواحد بالآخَر بحيث إنّ كليهما يشترك في كهنوت المسيح الواحد. ينتج هذا التمايز الرئيسيّ بين كهنوت الخدمة والكهنوت العامّ عن غنى كهنوت المسيح عينه ووفرته المتدفّقة، هو الينبوع الوحيد الذي يستقي منه المعمّدون، كلٌّ على حسب امتيازه الخاصّ. المسيح يسوع هو الذي يضفي عليهم الصفة الكهنوتيّة، وبعيشهم لها يهبهم النموّ على مقدار قامة المسيح. تعبّر هذه الهويّة الكهنوتيّة التي يحظى بها المعمَّدون عن عظم الكرامة التي ننالها، وعن الحالة الملائمة لقبول مواهب الروح القدس باتّضاع، ولإيصال ثمار الحبّ والسلام إلى الآخرين. أن نكون "مملكة من الكهنة" يعني أن نكون خدّام المسيح ووكلاء أسرار الله. لكي نحافظ على بهاء وديعة الكهنوت، لا بدّ من الصلاة التي تعين على عدم فقدان النور الذي اجتذبنا منذ بزوغ حياتنا الكهنوتيّة، والذي يشدّنا دائمًا إلى الله، ويعيننا لنجذب الآخرين إليه.

خاتمة

هل نغالي إذا قارنّا خر ١٩ بمراسم زفاف بين الله وشعبه، بحيث لا تنقص العناصر المكوّنة لهكذا احتفال؟ أوّلاً، نجد التعهّد المطلوب من الرجل والمرأة اللذين يُعلنان ارتباطهما ببعضهما، فيدخلان في علاقة جديدة بديعة، ثمّ نجد كلّ التهيئات التي تسبق حفلة الزفاف (تنظيم، تخطيط، استحمام، تجميل، إلخ). عادة، لا يرى العريس عروسه قبل إتمام مراسيم الزفاف بغية مضاعفة إحساس الانتظار، ومن ثمّ تجري الحفلة في جوٍّ عابق بالفرح والنشوة. ألا يمكننا تبيان هذه المراحل في خر ١٩؟ ففي مرحلة أولى يفصح الربّ عن بغيته إقامة علاقة فريدة مع العبرانيّين، من خلال تمييزهم وفصلهم عن سائر الأمم؛ وفي مرحلة ثانية يعرض لنا التحضيرات المستلزَمة للمثول أمامه؛ وأخيرًا، يعبق الجو كلّه ببهاء الله وعظمته، إذ يُظهِر نفسه لشعبه على الجبل. إنّها النهاية العظمى: تجلّي الله في كلّ عظمته وقدرته وقداسته.

تجد رموز العهد القديم كمالها في المسيح يسوع، والزفاف الحقيقيّ قد أتمّه هو الكاهن والذبيح عندما جاد بنفسه من أجل عروسه الكنيسة ليقدّسها مطهِّرًا إيّاها بغسل الماء، فيزفّها إلى نفسه كنيسة سنيّة لا دنس فيها ولا تغضّن (...)، بل مقدَّسة بلا عيب (أف ٥: ٢٥-٢٧)، وبهذا جعل من الكنيسة "مملكة من الكهنة لإلهه وأبيه" (رؤ ١: ٦).

[٢٨] رج يو ٧: ٣٧-٣٨؛ ٨: ١٢؛ ٩: ٥؛ ١٢: ٣٥-٣٦؛ مت ٥: ١٤-١٦.

المراجع

المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، **الوثائق المجمعيّة**، دار الكتاب المفضّل، ١٩٨٩.

AUZOU G., *De la servitude au service*, Paris 1961.

BARSOTTI D., *La spiritualité de l'Exode*, Paris 1982.

CAZEAUX J., *L'Alliance. Tu seras mon peuple*, Paris 1985.

SPICQ C., *Les épîtres de saint Pierre*, Paris 1966.

الكهنوت في الكتاب المقدّس

الخوري ميشال صقر[1]
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

كلّ الأديان على مرّ العصور كان فيها كهنة يرفعون فيها الصلاة والدعاء من أجل شعوبهم. لكنّ الكتاب المقدس، كلمة الله الحيّة لكلّ جيل، يخبرنا أنّ الله اختار له شعبًا كهنوتيًّا وأمّة مقدّسة، وأنّه اختار أيضًا بطريقة مميّزة بعض الأشخاص (في العهد الجديد) أو العائلات (في العهد القديم) ليمارسوا طقوسًا دينيّة لا بدّ منها، مع التقيّد بشريعة المحبّة والرحمة.

في هذا المقال، نعرض تاريخيًّا تطوّر فكرة الكهنوت في الكتاب المقدّس، مشدّدين على المراحل الأساسيّة التي مرّ بها هذا الدور الدينيّ والاجتماعيّ الرفيع.

١ – كهنوت ملكيصادق

الكاهن الأوّل الذي يرد دوره في الكتاب المقدّس بطريقة سريعة وغامضة هو ملكيصادق، وكان ذا مهمّة مزدوجة: ملك وكاهن (تك ١٤: ١٧–٢٠). لا يُذكر له نسبٌ ولا ذرّيّة، وهو بذلك صورة للمسيح الملك والكاهن حسب الرسالة إلى العبرانيّين.

كان **ملك** شليم، وتأثّرًا بمزمور ٧٦: ٣ طابق آباء الكنيسة بين "شليم" و"أورشليم". وكان أيضًا **كاهنًا** لله العليّ إذ يظهر دوره بإخراج "الخبز والخمر"، ملاقاة لأبرام العائد من حرب منتصرًا على أعدائه، "مباركًا" إيّاه ومتسلّمًا منه "العشر". رأى الآباء في "الخبز والخمر" صورة لسرّ القربان؛ أمّا "البركة" و"العشر" فهما امتياز كهنوتيّ.

٢ – كهنوت اللاويّين

إذا كان الملوك في الشعوب المتمدّنة المحيطة بإسرائيل، كمصر وما بين النهرين، يتولّون أيضًا وظيفة الكهنوت، تعاونهم طغمةٌ كهنوتيّةٌ خاضعةٌ لنظام رئاسيّ ووراثيّ في أغلب الأحيان، فسيكون الأمر مختلفًا بعض الشيء بالنسبة إلى شعب البدو، غير المنظّم، الذي كان خارجًا من مصر، هاربًا من العبوديّة؛ فموسى، الذي هو من سبط لاوي، اختاره الله قائدًا لشعبه عبر الصحراء؛ فمنذ عهد موسى، بدأ سبط لاوي بتولّي الوظائف الطقسيّة، إذ أنّ الله اختاره أيضًا وباركه (تث ٣٣: ٨–١١) وكرّسه لهذه الخدمة. وكان لموسى أخٌ اسمه هارون، اختاره الله ليكون لسانَ حال موسى (خر ٤: ١٠–١٧)، وكاهنًا يقدّم الذبائح باسم الشعب. وقد أمر الله موسى أن يلبس الكهنة ثيابًا خاصّة: "لبني هارون تصنع أقمصة وزنانير، وتصنع لهم قلانس مجد وبهاء... هذه هي الثياب التي يرتدونها: صدرة، وأفود، وجبّة، وقميص مطرّز، وعمامة، وزنّار... تصنع لهم سراويلات من الكتّان لتغطّي عري أبدانهم من الحقوَين إلى الفخذَين" (خر ٢٨: ٢–٥ و٤٢).

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ موسى قد

(١) الكاتب هو من كهنة جبيل حائز على شهادة الدكتوراه في الكتاب المقدس جامعة الغريغوريانا في روما. درّس العهد الجديد في عدّة جامعات كاثوليكيّة في سان باولو، البرازيل. وحاليًّا يدرّس في لبنان في جامعات القدّيس يوسف، والحكمة، والأنطونيّة، وفي معهد القدّيس بولس. له مؤلّفات عدّة حول القراءة "البراغماتيكيّة" للكتاب المقدّس.

أشرك معه في الحكم والقضاء مجلس شيوخ مؤلَّف من ٧٠ شيخًا يمثّلون جميع الفئات والعائلات، وهم رؤوس العائلات والأسباط، يمارسون أعمالاً دينيّة ومدنيّة، ولهم حقوق وإنعامات خاصّة. فكلمة "شيخ" في اللغة العبريّة هي "زَقِنْ"، وقد تُرجمت إلى اليونانية بلفظة *presbuteros* التي أعطت في اللغة الفرنسيّة لفظتَي *prêtre* و*ancien*. وهنا علينا الانتباه إلى أنّه، في العهد القديم، ليس كلّ شيخ كاهنًا، أمّا في العهد الجديد فسنرى أنّ كلمة *presbuteros* ستعني، ممّا تعنيه، الشيخ الكاهن المساعد للرسول؛ فلكلمة "كاهن" مرادفها في العبريّة "كُهِنْ"، واليونانيّة *iereus*، لكنّ العهد الجديد سيفضّل أن يطلق على معاونيّ الرسل لفظة *presbuteros*.

في الصحراء كان الكهنةُ حَمَلَةَ تابوت العهد؛ وعندما وصلوا إلى نهر الأردنّ ليعبروه مع يشوع، أراد الله أن تكون أخامص أقدامهم موقفةً لمياه نهر الأردنّ (يش ٣: ١٣). وهكذا، عندما دخل الشعب أرض الميعاد مع يشوع، وُزّعت الحصص بالقرعة على أحد عشر سبطًا، أمّا لاوي فلم يُعطَ ميراثًا لأنّ إله إسرائيل وذبائحه هي كانت ميراثه (يش ١٣: ١٤ و٣٣).

٣ – كهنوت صادوق

بعد أن تحوّل المُلْك عن أدونيّا الابن البكر لداود، وصار من بعده لسليمان، فلكي يمتّن هذا الأخير سلطته، أمر بقتل أعداء المملكة لتصرّفاتهم المشينة في عهد أبيه. لكن بالنسبة إلى أبياتار الكاهن، أمر فقط بعزله قائلاً له: "إنصرف إلى حقولك لأنّك رجل يستوجب الموت. لكنّي لستُ أقتلك لأنّك حملتَ تابوت الربّ أمام داود أبي" (١ مل ٢: ٢٦). وبدل أبياتار أقام صادوق كرئيس للكهنة (١ مل ٢: ٣٥). فقد يكون صادوق أساسَ عقيدة الصدّوقيّين المعروفين في أيّام المسيح أنّهم متمسّكون بتوراة موسى، ورافضون الإيمان باليوم الآخر، وخلود النفس، وبعث الأجساد، والثواب والعقاب.

المعلوم أنّ سليمان بنى هيكلاً للربّ في أورشليم، وقصرًا واضعًا فيه خشبًا من أرز لبنان؛ فالكهنة هم الذين حملوا تابوت العهد في حفل إدخاله إلى الهيكل (١ مل ٢: ٣). وهكذا بدأت المفارقة بين عمل الكهنة، مقدّميّ الذبائح للربّ في الهيكل، وبين عمل اللاويّين الذين أصبحوا حرّاس الهيكل (١ أخ ٩: ١٨). وتنوّعت فئات اللاويّين بتنوّع وظائف الهيكل: فكان هناك المغنّون، والعازفون، والبوّابون، وكلّهم لاويّون غير كهنة. وقد نرى بذلك استباقًا لوظائف الشدياق في طقوسنا اليوم.

لن يكون ازدهار الحياة الليتورجيّة الدينيّة في أيّام المملكة سالمًا من مغالطات عدّة تنتج عن ربط سلطة الكهنوت بالملك، السلطة الدينيّة بالسلطة المدنيّة. لذلك سيكون للأنبياء دورٌ أساسيّ في إعادة الإيمان إلى صفائه.

٤ – تحذير الأنبياء للكهنة

بالرغم من تواجد أنبياء كثر ورد ذكرهم في أسفار صموئيل والملوك، فإنّ عاموس النبيّ (القرن الثامن ق.م.) هو الأوّل تاريخيًّا من سلالة الأنبياء الذين جرت العادة في تسميتهم "الأنبياء الكتّاب"، لأنّ صدى تدخّلاتهم حُفظ في كتب تحمل اسمهم؛ فمملكة الشمال حيث تنبّأ كانت تتمتّع في المجال السياسيّ بفترة من الراحة والاستقرار. لكنّ خطرًا جسيمًا كان يخيّم في الواقع على إسرائيل، إذ انّ جيوش آشور كانت تقترب من فلسطين اقترابًا مطّردًا. وفي المجال الدينيّ، خاصّة في بيت إيل، أكبر معابد مملكة الشمال، الذي شُيّد في زمن الانشقاق منافسة لهيكل أورشليم، أخذت العبادة تظهر في حفلات رائعة كان الشعب يفتخر بها، لكنّ عاموس كان يستنكرها استنكارًا شديدًا، إذ حذّرهم يومًا قائلاً: "لقد أبغضتُ أعيادكم، ولم تطب لي احتفالاتكم، إذا أصعدتم لي محرقات لا أرتضي بها.. أبعِدوا عنّي أناشيدكم، فلا أسمع عزف عيدانكم" (عا ٥: ٢١–٢٣).

أمّا في مرحلة السبي الكبير (القرن السادس ق.م.)، فقد برز نشاط حزقيّال **الكاهن** في بابل، الذي حافظ إلى آخر حياته على عقليّة الكاهن الخبير في

العبادة والليتورجيّات؛ فحسب رأيه، إنّ سبب خروج مجد الله من الهيكل، مبتعدًا عن أورشليم، يكمن في خطيئة عبادة الأوثان التي هي خيانة وزنى وبغاء. ووبّخ حزقيّال رعاة الشعب، أي رؤساءه الدينيّين والمدنيّين، على ذنوبهم قائلاً لهم: "ويل لرعاة إسرائيل الذين يرعون أنفسهم" (حز ٣٤: ٢). وهكذا هدّد باسترداد الربّ للقطيع الذي يسيئون معاملته، فيكون هو نفسه راعي شعبه (حز ٣٤: ١١).

وبعد السبي وإعادة بناء الهيكل، عاد فُتُورُ العزائم يُضعف الإيمان، فعادوا يقعون في الأخطاء القديمة من إهمال في الخدمات الطقسيّة، وقبول للرشوة، ومحاباة للوجوه، ترافقها أنواع كثيرة من المخالفات. كان ردّ فعل ملاخي قويًّا جدًّا، فوضع كلّ واحد، كاهنًا كان أم علمانيًّا، أمام مسؤوليّاته في علاقاته بالربّ وبالقريب. ومن أهمّ تحذيراته هي ما يلي: "إليكم هذه الوصيّة، أيّها الكهنة: إن لم تسمعوا ولم تجعلوا في قلوبكم أن تؤدّوا مجدًا لاسمي، أرسل عليكم اللعنة وألعن بركاتكم...، لأنّ شفتَي الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه يطلبون التعليم، إذ هو رسول ربّ القوّات" (ملا ٢: ١-٧).

٥ – كهنوت زكريّا

إنتقالاً إلى العهد الجديد، لا بدّ من التوقّف على بوّابة المرور بين العهدَين للتحدّث باقتضاب عن خدمة زكريّا الكهنوتيّة ، أوّل شخصيّة في إنجيل لوقا، ومرورًا بيوحنّا المعمدان نصل إلى المسيح.

يشرح لنا لوقا أنّ زكريّا الكاهن كان من فرقة أبيّا (لو ١: ٥)؛ ففرقة أبيّا هي ثامنة الفرق الأربع والعشرين التي كانت تتناوب أسبوعيًّا على خدمة هيكل أورشليم (١ أخ ٢٤: ١-١٩). ويكمل الإنجيليّ قائلاً: بأنّ القرعة أصابت زكريّا، عملاً بالعرف الكهنوتيّ، فدخل هيكل الله ليقوم بالتبخير (لو ١: ٩)؛ فرتبة التبخير هذه كانت تتمّ مرّتين في اليوم: قبل ذبيحة الصباح، وبعد ذبيحة المساء، تُجدَّد فيها النار، ويُحرق البخور أمام الحجاب (خر ٣٠: ٦-٨). وكان شرفًا لكاهن أن يقوم بتلك الرتبة، نظرًا لكثرة عدد الكهنة. لكنّ مشيئة الله حفظت البشارة بابنه لا لكاهن، بل لفتاة غير معروفة، ولا في المدينة العظمى أورشليم إنّما في مدينة متواضعة من الجليل هي الناصرة، وبذلك يبيّن لنا الله تفضيله للمساكين، إذ من خلالهم يمرّ تاريخ الخلاص. لكنّ يوحنّا المعمدان، ابن الكاهن زكريّا، كان دوره مهمًّا إذ أعدّ طريق المخلّص.

تعمّد بسوع على يد يوحنّا المعمدان ابن الكاهن في نهر الأردنّ. والتقليد السريانيّ القديم رأى أنّ يسوع المسيح هو ملك لأنّه من سلالة داود، وهو نبيّ لأنّ أقواله وتعاليمه ضاهت وفاقت بكثير تعاليم الأنبياء؛ وقيل أيضًا إنّه استمدّ كهنوته من خلال وضع يد يوحنّا المعمدان على رأسه، وذلك واضح في رتبة السيامة الكهنوتيّة في الطقس الماروني إذ يُرتَّل:

"فلننشد طيب الصلاة...
حلّ الله في سينا،
خصّ موسى بالسلطان،
موسى أعطى هارونَ،
جريًا حتّى المعمدان؛
يوحنّا أعطى الفادي،
للرسل الفادي أعطاه،
كهنوتًا للآباءِ، يبقى في بيعة الله".

ولكن، حسب تعاليم الكنيسة، لا يمكننا القول إنّ يوحنّا المعمدان أعطى الكهنوت للمسيح، إذ أنّ كهنوته فريد ومميّز؛ فكلّ ما تقدّم في العهد القديم لم يكن إلاّ تصويرات سابقة وجدت اكتمالها في المسيح (**تعليم الكنيسة الكاثوليكية**، ١٥٤٤).

٦ – كهنوت المسيح

نرى في الأناجيل الإزائيّة كيف أنّ المسيح انتقد الوظيفة الكهنوتيّة التي تبتعد عن المحبّة والرحمة؛ فإنجيل متّى يضع على فم يسوع مرّتين كلام هوشع النبيّ: "أريد رحمة لا ذبيحة" (مت ٩: ١٣؛ ١٢: ٧)، وبذلك يبيّن لنا أنّ الدور الكهنوتيّ لا يمكن أن يقتصر على إتمام فرائض وذبائح ليتورجيّة، إنّما للرحمة المكانة الفضلى. ويشير يسوع إلى ذلك بوضوح عبر مثل السامريّ الصالح (لو ١٠: ٢٥-٣٧)؛ فكان محرّمًا

على اليهوديّ عامّة (عد ١٩: ١١) وعلى الكاهن واللاويّ خاصّة (لا ٢١: ١) أن يمسّوا جثّة ميت، وإلاّ اضطرّوا إلى التطهّر وإلى الابتعاد سبعة أيام عن خدمة الهيكل؛ فالقريب، حسب يسوع، لم يكن أحد من هذين الاثنين، إنّما السامريّ الصالح المعروف بعداوته لليهوديّ إذ عامله بالرحمة.

غير أنّه، في إنجيل يوحنّا، يظهر لنا المسيح كأنّه الكاهن والذبيحة في آنٍ معًا؛ فهو عظيم أحبار، إذ توصف ثيابه، عند اقتسامها بعد الصلب، "بالقميص غير المخيط، المنسوج كلّه من أعلاه إلى أسفله" (يو ١٩: ٢٣)، وهو بذلك كالقميص الذي كان يلبسه عظيم الكهنة عند اليهود، وهذه إشارة إلى أنّ يسوع، بالنسبة إلى يوحنّا، هو الكاهن الأعظم. وفقط في يوحنّا أيضًا نجد يسوع كحمل الله في مرجعَين فريدَين: الأوّل عندما رأى يوحنّا المعمدان آتيًا نحوه (يو ١: ٢٩)، والثاني عندما جاؤوا إلى يسوع ووجدوه قد مات، فلم يكسروا ساقَيه، كالحمل الفصحيّ الذي لا يُكسر له عظم (يو ١٩: ٣٦). وبذلك أرانا يوحنّا أنّ يسوع الحمل الفصحيّ هو نفسه كان كاهنَ ذبيحته؛ ونجد لذلك صدًى في القدّاس الماروني عند رفع الكأس: "يا حملاً صار لنفسه حبرًا مقرِّبًا". وفي يوحنّا أيضًا، قبيل آلام المسيح، صلّى يسوع (يو ١٧) صلاة كهنوتيّة بامتياز، إذ جعل من نفسه وسيطًا بين تلاميذه والآب.

أمّا الكتاب الأساسيّ الذي يتحدّث عن كهنوت المسيح في العهد الجديد، فهو الرسالة إلى العبرانيّين. وباختصار، يرى كاتب الرسالة في كهنوت المسيح علاقة مثلّثة بالعهد القديم:

١) يراه **مواصلاً**، إذ يظهر قصد الله الثابت الأمين في تاريخ الخلاص (عب ٥: ١ ؛ ٧؛ ٩: ١٣-١٤).

٢) **ناقضًا** وملغيًا طقوس الكهنوت القديم، إذ جاءت مكانها ذبيحة جديدة أفضل، هي ذبيحة نفسه (عب ٩:١١-١٢؛ ٢٤-٢٦).

٣) أشرك **المؤمنين** في هذا الكهنوت، مُصَيِّرًا إيّاهم مقدَّسين بالقربان الذي قُرّب، وبالغين الكمال والمجد والخلاص (عب١٠: ١٠ و١٤).

٧ – الكهنوت في أيّام الرسل

المعلوم، حسب التقليد الكنسيّ، أنّ الأساقفة هم خلفاء الرسل؛ فالمسيح أقام اثني عشر رسولاً، وهذا العدد اثنا عشر له قيمة معنويّة ليس فقط كبدلٍ من أسباط إسرائيل الإثني عشر، إنّما للدلالة على المجمعيّة السينودسيّة (collégialité) التي يتحلّى بها الأساقفة مجتمعين مع رأسهم بطرس.

أمّا في العهد الجديد فهناك ثلاث كلمات غير واضحة المعالم في بداية الكنيسة، كما هي الحال اليوم في تراتبيّتها الهرميّة؛ فلفظة *apostolos* التي تخصّ الإثني عشر بالتحديد، نرى بولس الرسول يلقّب ذاته "رسولاً" في بداية غالبيّة رسائله. ولفظة *episcopos*، التي من المفترض أن تعني فقط المسؤول الأوّل في الكنيسة، نجدها في خطاب بولس الوداعيّ لشيوخ أفسس، عائدًا من رحلته الثالثة إلى أورشليم حيث سيُعتقل، تعني هؤلاء الشيوخ أنفسهم؛ فكاتب أعمال الرسل يقول إنّ بولس استدعى في ميليطس شيوخ (*presbuteros*) كنيسة أفسس (أع ٢٠: ١٧) وقال لهم: "تنبّهوا لأنفسكم ولجميع القطيع الذي جعلكم الروح القدس مسؤولين (*episcopos*) عنه لتسهروا على كنيسة الله" (أع ٢٠: ٢٨). وفي رسالته طلب بولس الرسول إلى تلميذه تيطس، الذي يصفه كمعاون له – لا أكثر – (٢ كور ٨: ٢٣)، أن يقيم شيوخًا (*presbuteros*) في كلّ بلدة في جزيرة كريت (تي ١: ٥).

لكن من الواضح والمؤكّد أنّ هناك فَرْقًا بين الشماس (*diakonos*) وبقيّة الخدم الكهنوتيّة؛ فمن مهمّات الشمامسة خدمة الموائد والأرامل (أع ٦: ١-٢)، أمّا من مهمّات الرسل والشيوخ، التبشير بالكلمة (أع ٦: ٢) الصلاة، العماد، الإفخارستيّا غفران الخطايا والمسح بالزيت (يع ٥: ١٤).

يبدو أنّه في أيّام الرسل كان مسموحًا للأساقفة أن يكونوا متزوّجين، والتقليد الكنسيّ ألغى هذا العرف. ومجرّد قراءة سريعة لصفات الأسقف (١ تيم

٣: ١–٧؛ تي ١: ٧–٩)، صفات الكاهن (تي ١: ٥–٦)، وصفات الشمّاس (١ تيم ٣: ٨–١٣)، نرانا في بداية تراتبيّة هرميّة تنظّمها الكنيسة في ما بعد، وتتوارثها على مدار الأجيال.

خلاصة

يضعنا الكتاب المقدّس في تطوّر ملحوظ بالنسبة إلى الكهنوت؛ فمن الكهنوت الوراثيّ إلى كهنوت المسيح الجديد والفريد، إلى الكهنوت العامّ، والكهنوت الخدميّ. لكن مع القدّيس توما الأكوينيّ نقول: "المسيح هو الكاهن الحقيقيّ الأوحد، وما الآخرون سوى خدّامه" .

كان تَنَاقُل الخدمة الكهنوتيّة في العهد القديم يتمّ من خلال سبط لاوي، وبالتحديد من خلال سبط هارون، أمّا في العهد الجديد فأصبح عبر "وضع اليد" (١ تيم ٤:١٤؛ ٢ تيم ١: ٦)، مع العلم أنّ الاختيار هو دائمًا للربّ وليس من صاحب الدعوة: "لم تختاروني أنتم بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا فتثمروا ويبقى ثمركم" (يو ١٥: ١٦).

المهمّة المثلّثة المطلوبة اليوم من الكهنة ممكن وجود جذورها في الكتاب المقدّس؛ فالتعليم هو صدى لكلام ملاخي النبيّ: "من فم الكاهن تُطلب المعرفة" (ملا ٢: ٧). والتقديس كان في العهد القديم يصير بواسطة الذبائح التي تغفر الخطايا، أمّا في العهد الجديد فقد أوكل يسوع ينابيع القداسة ومجاري النعمة إلى الرسل، وقد نظّمتها الكنيسة في ما بعد في سبعة أسرار، يجد كلّ واحد منها مصدره في حياة المسيح والرسل وتعليمهم. أمّا التدبير، وهو الصفة الملوكيّة للكهنوت، فنجدها في العهد القديم في شخصيّة ملكيصادق الملك والكاهن، ونراها أيضًا في كلّ من موسى وهارون وصادوق (الملازم للملك سليمان)، ونراها مع المسيح تأخذ منحة النظام المرتكز على المحبّة والرحمة.

إنّ المسيح، بذبيحة الصليب، هو الكاهن "الوسيط الأوحد بين الله والناس" (١ تيم ٢: ٥). بكهنوته يشترك جميع المؤمنين، إذ جُعلوا "مملكة من الكهنة لإلهه وأبيه" (رؤ ١: ٦). عسى أن يجدنا يوم مجيئه وكلاء أمينين عاقلين، نعطي الطعام في حينه (لو ١٢: ٤٢)، ونسعى جادّين في طريق القداسة.

المراجع

Collectif, *La tradition sacerdotale. Études sur le sacerdoce*, BFCThL 7, Lyon 1959.

COPPENS J., ed., *Sacerdoce et célibat. Études historiques et théologiques*, BEThL 28, Louvain 1971.

JEAN CHRYSOSTOME, *Sur le sacerdoce*, SC 272, Paris 1980.

LEON-DUFOUR, X. (éd.), *Vocabulaire de Théologie Biblique*, Paris 1962, 19712.

على هامش الكتاب
-١٥-
الحركة الغنوصيّة
في أفكارها ووثائقها
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابيّة

على هامش الكتاب
-١٦-
الأقوال السّيبليّة
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابيّة

على هامش الكتاب
-١٧-
التّيارات الدّينيّة
في
الشّرق القديم
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابيّة

هارون وكهنوت بني لاوي
وصولاً إلى صادوق

الخوري خليل الحايك
دكتور في العلوم الليتورجيّة

١ – التعريف بالكاهن وباللاوي

إنّ اللفظة المعروفة للدلالة على الكاهن في العهد القديم هي "ك ه ن"، وهي ترد حوالى ٧٥٠ مرّة. لا يعرف الكتاب المقدّس لهذه اللفظة مؤنّثًا. الكاهن هو الذي يقف أمام الله للخدمة، وهو الذي ينحني له من أجل الإكرام. أمّا "لاوي" فيدلّ، حسب الشرح التقليديّ، على الجدّ الذي أعطى اسمه للقبيلة. وهو الذي ترتبط به العائلات الكهنوتيّة في إسرائيل[١].

٢ – بداية الكهنوت في الكتاب المقدّس

في سفر التكوين، لم يكن سبط لاوي إلاّ قبيلة عاديّة لا تقوم بأيّة وظيفة مقدّسة. أمّا الكهنة المذكورون فهم غرباء: ملكيصادق، الكاهن الملك لأورشليم (تك ١٤: ١٨–٢٠)، وكهنة فرعون (تك ٤١: ٤٥؛ ٤٧: ٢٢)[٢].

في سفر الخروج، يبرز دور موسى من أصل لاوي، كونه النبيّ وقائد الشعب والمشترع. مارس وساطته حين قُطع العهد، فرشّ الشعب بدم الذبائح (خر ٢٤: ٨). في التقليد القديم، لا يحتلّ أخوه هارون سوى مكانة بسيطة، بل هو يظهر كمسؤول عن عبادة العجل الذهبيّ (خر ٣٢). وتميّزت قبيلة لاوي بأمانتها للربّ، فنالت بركة خاصّة (خر ٣٢: ٢٥–٢٩؛ تث ٣٣: ٨–١١).

في فلسطين، بدأ اللاويّون يتقدّمون كاختصاصيّين في شعائر العبادة (قض ١٧–١٨). وجاء سفر التثنية (تث ٣٣: ٨–١١) فحدّد صلاحياتهم: يسألون الربّ بالقرعة المقدّسة، يعلّمون الشريعة، يقدّمون الذبائح. وخبر الكاهن عالي في شيلو (١ صم ١–٣) يعطينا الأساس الأفضل لدراسة شعائر العبادة في زمن القضاة. ومع تأسيس الملكيّة تحوّل الوضع. ما أخذ الملوك لقب "كاهن"، ولكن كانت لهم سلطة على شعائر العبادة، فيباركون الشعب في المناسبات الكبرى (٢ صم ٦: ١٨؛ ١ مل ٨: ١٤). ونقلُ تابوتِ العهد إلى أورشليم بواسطة داود (٢ صم ٦)، دلّ على أولويّة الكهنة المرتبطين بالمعبد الجديد. ونلاحظ مع مرور الزمن نموّ دور الكاهن الرئيس في أورشليم؛ فيويادع أمر بقتل عثليا، وأشرف على تجديد العهد "بين الربّ والملك والشعب" (٢ مل ١١: ١٧)[٣].

لقد عرف العهد القديم تراتبيّة كهنوتيّة قائمة على عظيم الكهنة، والكهنة، واللاويّين. نستعرض في ما يلي دورهم ولباسهم ووضعهم الاجتماعيّ:

أ – عظيم الكهنة

يرتبط بـ"عظيم الكهنة" قائد الهيكل، رئيس القسم الأسبوعيّ،

(١) بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، ص ١٠٠٠.
(٢) "الكهنوت"، **معجم اللاهوت الكتابيّ**، ص ٦٧٩.
(٣) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ١٠٠٠.

رئيس القسم اليوميّ، مراقب الهيكل، أمين الصندوق. ونرى في التقاليد والنصوص الكتابيّة (خر ٢٠: ٢٤-٢٦؛ ١ صم ٢١: ٢؛ عد ١: ١-٤: ١٨) وظيفة عظيم الكهنة الذي حُفظ له أن يطرح الأوريم والتوميم، دون جميع اللاويّين الذين كانوا مكلّفين بها في السابق (تث ٣٣: ٨)؛ فمن أراد أن يكون عظيم كهنة، وجب عليه أن يكون من عائلة كهنوتيّة نقيّة (لم يدخلها غريب). أن يكون قد تزوّج فتاة عذراء عمرها اثنتي عشرة أو اثنتي عشرة سنة ونصف السنة، فتاة تكون هي أيضًا من سلالة كهنوتيّة أو لاويّة أو إسرائيليّة شرعيّة. في الحالات العاديّة، كانت امرأة عظيم الكهنة من كبرى العائلات الكهنوتيّة. وكانوا يهتمّون بالأنساب الحقيقيّة. وقد تعاقب عظماء الكهنة بلا انقطاع منذ هارون [٤].

ب - أسماء عظماء الكهنة

يورد لنا سفر أخبار الأيّام الأوّل (٥: ٢٧-٦: ٣٤) أسلاف عظماء الكهنة، وسلالة لاوي، والمغنّين، وسائر اللاويّين، ويختم بأبناء هارون (٦: ٣٥-٣٨). سنتوقّف فقط عند أبرز الشخصيّات انطلاقًا من هارون إلى صادوق، كما هو وارد في العنوان الكبير.

هارون: يرتبط اسم هارون بتابوت العهد، وباسم موسى.

في التقليد القديم، وحين الخروج من مصر، عيَّن يهوه هارونَ اللاوي (خر ٥: ١٤) كمتكلّم باسم موسى لدى إسرائيل ولدى فرعون. وسيُعين هارونُ موسى بكلامه ومعجزاته، ويرافقه في الحرب ضدّ بني عماليق، وعلى جبل سيناء حيث يرى الله. بعد هذا، عيّنه موسى مع حُوْر ليحلّ محلّه في المخيّم. وخطئ هارون مع موسى، فقلّ إيمانُهما عند مياه مَريبة، لهذا لم يدخلا إلى أرض الميعاد.

في التقليد اللاحق، هارون هو مع موسى ابن عمرام ويوكابد (خر ٦: ٢٠)، وهو يكبر أخاه موسى بثلاث سنين (خر ٧: ٧). ولدت له امرأته أليشابع أربعة بنين: ناداب، أبيهو، إلعازر، إيثامار. ويبدو هارون في هذا التقليد ذلك الذي يعطي اسمه لطبقة كهنوتيّة، هم "أبناء هارون" (خر ٢٨: ١)، كما يبدو أوّل عظيم كهنة في شعب إسرائيل (خر ٣٩: ١-٣١؛ لا ٨-١٠؛ عد ١٨: ١-٢٠...). وحين عارضه قورح وجماعته بسبب هذا الامتياز، ثبّته الربّ بحكم أعلنه (عد ١٦)، وبمعجزة القضيب الذي أزهر (عد ١٧: ٢٣-٢٦). ولهذا سمِّيت مجموعة الكهنة في سفر المزامير (١١٥: ٠١، ٢١؛ ١١٨: ٣) "بيت هارون" [٥].

معجزة القضيب الذي أزهر (عد ١٧: ١٦-٢٦)

وخاطَبَ الرَّبُّ موسى قائلاً: "كَلِّمْ بَني إِسْرائيلَ وخُذْ منهم فَرْعًا، فَرْعًا مِن كُلِّ بَيتِ أَبٍ مِن جَميعِ زُعمائِهم على حَسَبِ بُيوتِ آبائِهم، أَي آثنَي عَشَرَ فَرْعًا، وآكْتُبِ آسمَ كُلِّ واحِدٍ على فَرعِه. وأَمَّا آسمُ هارونَ فآكتُبْه على فَرْعِ لاوي، لأَنَّ فَرْعًا واحِدًا يَكونُ لِكُلِّ رَبٍّ مِن بُيوتِ آبائِهم. وضَعِ الفُروعَ في خَيمةِ المَوعِدِ أَمامَ الشَّهادَة، حَيثُ أَجتَمِعُ بِكم. فالرَّجُلُ الَّذي أَختارُه يُفرِخُ فَرعُه، فأَصرِفُ عَنِّي تَذَمُّراتِ بَني إِسْرائيلَ التي يَتَذَمَّرونَها علَيكما".

فكَلَّمَ موسى بَني إسرائيل، فسلَّمَه كُلٌّ مِن زُعمائِهم فَرْعًا، فَرْعًا مِن كُلِّ زَعيمٍ على حَسَبِ بُيوتِ آبائِهم، أَي آثنَي عَشَرَ فَرْعًا، وفَرعُ هارونَ في ما بَينَ فُروعِهم. فَوَضَعَ موسى الفُروعَ أَمامَ الرَّبِّ في خَيمةِ الشَّهادة. وكانَ في الغَدِ أَنَّ موسى دَخَلَ خَيمةَ الشَّهادة، فإِذا فَرْعُ هارونَ الَّذي هو لِبَيتِ لاوي قد أَفرَخَ وبَرعَمَ وأَزهَرَ وأَنضَجَ لَوزًا. فأَخرَجَ موسى جَميعَ الفُروعِ مِن أَمامِ الرَّبِّ إِلى جَميعِ بَني إِسْرائيلَ، فرأَوها وأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ فَرعَه.

فقالَ الرَّبُّ لموسى: "رُدَّ فَرْعَ هارونَ إِلى أَمامِ الشَّهادةِ لِيُحفَظَ آيةً لِلمُتَمَرِّدين،

(٤) **المرجع السابق**، ص ٨٥٦.

(٥) **المرجع السابق**، ص ١٣٣٧-١٣٣٨.

فَتُزيلَ عنِّي تَذَمُّرَهم ولا يَموتوا". فعَمِلَ موسى بِما أَمَرَه الرَّبُّ به، هكذا عَمِلَ.

أولاد هارون الأربعة[٦]

– **ناداب ابن هارون البكر**. مات من دون أولاد بسبب عقاب على خطيئة عباديّة إذ قدّم أمام الرَّبّ نارًا غير مقدّسة (لا ١٠: ١–٥؛ خر ٦: ٢٣؛ ٢٤: ١؛ ٢٨: ١؛ لا ١٦: ١؛ عد ٢٦: ٦٠–٦١؛ ١ أخ ٥: ٢٩؛ ٢٤: ١–٢).

– **أبيهو**، هو (أي الله) أب. ثاني هارون وأليشابع (خر ٦: ٢٣؛ ٢٨: ١؛ عد ٣: ٢؛ ٢٦: ٦٠؛ ١ أخ ٢٤: ١). رافق موسى على جبل سيناء (خر ٢٤: ١، ٩)، ودخل في سلك الكهنوت. مات مع أخيه ناداب، لأنّه أراد أن يقدّم للربّ نارًا غير مقدّسة (لا ١٠: ١ي؛ عد ٣: ٤؛ ٢٦: ٦١؛ ١ أخ ٢٤: ٢).

– **إلعازر**: الله أعان. كان الابن الثالث لهارون (خر ٦: ٢٣؛ ٢٨: ١) فخلف أباه في رئاسة الكهنوت (عد ٢٠: ٢٤–٢٨؛ تث ١٠: ٦)، وهو جدّ عائلة الصادوقيّين. ساعد موسى في الإحصاء (عد ٢٦: ٣)، ويشوع في تقسيم أرض كنعان (عد ٣٤: ١٧؛ يش ١٤: ١؛ ١٩: ٥١). خلفه ابنه فنحاس (خر ٦: ٢٥). بعد المنفى شدّدت الطبقة الكهنوتيّة على ارتباطها بهارون وإلعازر (١ أخ ٣: ٦ي؛ عز ٧: ١–٥).

– **إيثامار** جدّ عائلة كهنوتيّة انتمى إليها أحيمالك وأبياثار. كانت هذه العائلة من نوب. تغلّبت عليها عائلة صادوق في أيّام سليمان وعزلتها عن الكهنوت (١ صم ٢: ٢٧–٣٦). في السلسلة الكهنوتيّة إيثامار هو الابن الرابع لهارون (خر ٦: ٢٣)، هو الكاهن (خر ٢٨: ١) ومراقب العائلتَين الكهنوتيّتين، جرشون ومراري (عد ٤: ٢٨، ٣٣). في ١ أخ ٢٤: ٤–١٨ عدّت عائلة إيثامار الكهنوتيّة ثماني فرق في أيّام داود.

أمّا أولاد إلعازر فهم[٧]:

– **فنحاس بن إلعازر بن هارون**، ويعني اسمه "الأسود". كاهن بني إسرائيل في الوقت الذي كان فيه موسى يحارب المديانيّين (عد ٣١: ٦–١٢). أرسل إلى قبائل شرقيّ الأردن بسبب معبد شُيِّد قرب الأردن (يش ٢٢: ١٣) وكان أيضًا كاهن تابوت العهد في بيت إيل (قض ٢٠: ٢٨ي). يجعل منه التقليد الكهنوتيّ حفيد هارون (خر ٦: ٢٥؛ ١ أخ ٥: ٣٠؛ ٦: ٣٥؛ عز ٧: ٥). وبسبب غيرته من أجل يهوه، وعدته التوراة بكهنوت يدوم طويلاً (عد ٢٥: ٦–١٣؛ ١ مك ٢: ٢٦؛ سي ٤٥: ٢٣–٢٥).

– **أبيشوع**: "الأب (الله) يخلّص". من نسل هارون بواسطة فنحاس. خلف فنحاس كرئيس كهنة (١ أخ ٨: ٤؛ رج ٥: ٣٠؛ ٦: ٣٥؛ ٨: ٤؛ عز ٧: ٥).

– **بُقّي**: اختصار بقياهو: "مَن امتحنه يهوه". كاهن من فرع إلعازر رئيس الكهنة (١ أخ ٥: ٣١؛ عز ٧: ٤). قد يكون عاش في زمن القضاة، كما يقول المؤرِّخ يوسيفوس.

– **عزّي**: "الربّ قوّتي". والكلمة اختصار عزّيّا. كاهن من نسل هارون ومن أجداد صادوق (١ أخ ٥: ٣١–٣٢؛ ٦: ٣٦؛ عز ٧: ٤).

– زرحيا: "يهوه أشرق". كاهن من نسل هارون ومن أجداد صادوق (١ أخ ٥: ٣٢؛ ٦: ٣٧؛ عز ٧: ٤).

– **مرايوث**: حسب سلسلة الأنساب، هو أبو الكاهن الأعظم صادوق (١ أخ ٩: ١١؛ نح ١١: ١١) أو من أجداده (١ أخ ٥: ٣٢–٣٣؛ ٦: ٣٧؛ عز ٧: ٣).

– **أمريا**، أمرياه أو أمرياهو: "الربّ أمر، قال، وعد". من نسل هارون وجدّ الكاهن صادوق (١ أخ ٥: ٣٣، ٣٧؛ عز ٧: ٣).

(٦) **المرجع السابق**، ص ١٢٨٨، ٣٠، ١٣١، ٢٠٤.

(٧) **المرجع السابق**، ص ٩٣٨، ٢٨، ٢٦٩، ٦١٥، ١١٧٧، ١٤٨، ٤٣، ٧٤٢.

– **أخيطوب**: الأخ (الله) طيّب وصالح. ابن فنحاس وأبو الكاهن أخيّا أو أخيمالك (١ صم ١٤: ٣؛ ٢٢: ٩). في مكان آخر هو ابن أمريا وأبو رئيس الكهنة صادوق. أمّا ١ أخ ٩: ١١ ونح ١١: ١١ فيجعلان مرايوث بين أخيطوب وصادوق. والهدف من هذه السلسلة الثانية هو تثبيت نسب صادوق إلى هارون، وقد صار رئيس كهنة في أيّام سليمان وحلّ محلّ أبياثار.

– **صادوق**، كاهن في أيّام داود (٢ صم ٨: ١٧؛ ٢٠: ٢٥). خدم داود مع الكاهن أبياثار (٢ صم ١٥: ٢٤ي؛ ١٧: ١٥ي؛ ١٩: ١٢ي). بعد أن عزل سليمان أبياثار، صار صادوق الكاهن الأوّل في أورشليم (١ مل ١: ٣٢–٤٠). أعطى اسمه لعائلة كهنوتيّة هي عائلة الصادوقيّين التي صارت وحدها شرعيّة (حز ٤٠: ٤٦؛ ٤٤: ١٥ي؛ ٤٨: ١١؛ سي ٥١: ١٢). ولكي يكون للكاتب صادوق صفة شرعيّة، ربط نسبه بإلعازر بن هارون وصار صادوق ابن أخيطوب (١ أخ ٥: ٣٨). وقد يكون ابنه أخيمعص صهر سليمان ورئيس مقاطعة نفتالي (١ مل ٤: ١٥). كان صادوق يخدم معبد أورشليم قبل أن يأتيها العبرانيّون. وهكذا يرتبط صادوق بالإله صادق الذي عبدته أورشليم.

أمّا عائلة إيثامار الكهنوتيّة فهي[٨]:

– **أخيمالك**: أو أخي ملك. "الأخ هو ملك أو أخ ملك". ابن أخيطوب وكاهن نوب في زمن شاول. ظنّ شاول أنّه تحزّب لداود (١ صم ٢١: ١–٩)، فأمر بقتله مع كلّ عائلته، وسلب معبد نوب، ولم ينج إلا ابنه أبياثار الذي صار كاهن داود. هناك من يقرأ: أبياثار بن أخيمالك بدل التعبير أخيمالك بن أبياثار. في ١ أخ ١٨: ١٦ يجب أن نقرأ أحيمالك بدل أبيمالك، كما في العبريّة.

– **أبياثار**: "أبي يوفّر". هو ابن أحيمالك. انتمى إلى عائلة إيثامار. كان الكاهن الوحيد من كهنة نوب، الذي نجا من الموت بعد أن أمر شاول بقتل كلّ كهنة ذلك المعبد (١ صم ٢١: ١ي)، لأنّه اعتبرهم قد تواطأوا عليه وساروا مع داود. حمل الأفود وتحزّب لداود، فصار كاهنه، وظلّ أمينًا له. تقاسم الكهنوت في ما بعد مع صادوق، ظلّ كاهنًا في أيّام سليمان رغم أنّه مشى مع أدونيا. ولمّا تخلّص سليمان من أدونيا، عزل أبياثار من وظيفته، ونفاه إلى عناتوت. إنّ اللوم الموجّه ضدّ عالي في ١ صم ٢: ٢٧–٣٦، يفترض انتصار كهنوت صادوق على بيت أبياثار القديم. يرد اسم أبياثار محلّ اسم أحيمالك في ١ صم ٢١: ٢–٧. قد يكون اسم أبياثار قد ذُكر، لأنّه اشتهر ككاهن لداود (٢ صم ٢٠: ٢٥).

ج – تكريس عظيم الكهنة

عند تكريس رئيس للكهنة، يُمسح رأسه بزيت استُخلِصَ من أشجار زيتونٍ معيّنة لذلك الغرض، ويُمزج الزيت بأغلى أنواع العطور، وتُقدَّم ذبائح الشكر طوال أسبوع كامل. ويخضع رئيس الكهنة لقوانين وشرائع في غاية الصرامة؛ فلا يحقّ له الزواج بأرملةٍ أو مطلّقة أو زانية تائبة، ولا أن يأكل لحم طريدةٍ أو أيّ حيوانٍ لم يُذبح طقسيًّا، أو أن يشرب خمرًا قبل الاحتفالات الطقسيّة، ولا أن يقترب من جثّة أو يقصّ شعرةً واحدة من لحيته[٩].

د – لباس عظيم الكهنة[١٠]

يصوّر سفر الخروج (٢٨: ٤–٤٠؛ ٢٩: ٨–٩؛ ٣٩: ٢٧–٣٠) ملابس عظيم الكهنة بالتفصيل: قميص أبيض من قماش نفيس مشدود على الخصر بحزام يدور حوله ثلاث مرّات ويسقط إلى الرجلين. وفوق ذلك قميص أزرق غامق لا أكمام له مستطيل الشكل، في منتصفه فتحة لإدخال الرأس، ينسدل على الجسم من قدّام ومن وراء، في أسفله رمّانات بنفسجيّة وحمراء

(٨) **المرجع السابق**، ص ٤٤، ٢٥.

(٩) سامي حلاّق، **مجتمع يسوع تقاليده وعاداته**، ص. ٦٥.

(١٠) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ٨٥٧؛ سامي حلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٦؛ أيّوب شهوان، "اللّباس الطقسيّ في الكتاب المقدّس"، ص ٣٩.

تتناوب مع أجراس من ذهب لتنبيه الناس. وفوق هذا القميص الأزرق الغامق درع، ويضع على الدرع الأفود المصنوعة من خيوط الذهب والقرمز، تُثبَّت إلى الكتفين بكتّافيّتين ذهبيّتين يزيّنهما حجران من العقيق اليمانيّ، نُقشت عليهما أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر. ويمسك هذا الأفود حزام متعدّد الألوان، وتتعلّق على الأفود عند الصدر سلسلة ذهبيّة تتدلّى منها حقيبة قماشيّة عليها اثنا عشر حجرًا كريمًا، وفي داخلها الأوريم والتوميم (خر ٢٨: ٣ي)، وهي أحجار مقدّسة من أجل سؤال الربّ. يضع على رأسه عمامة بشكل تاج، يزيّنها رباط مع زهرة ذهبيّة حُفر عليها عبارة "مقدّس للربّ". هذا اللّباس كان يُحفظ لأيّام الأعياد ولبعض المناسبات، ولا سيّما يوم التكفير (يوسيفوس، **العاديات** ٣: ١٥٩–١٦٠؛ لا ١٦: ٤، ٢٣؛ سي ٤٥: ٨–١٢).

ويضيف إلى عمامته شريطين، أحدهما بنفسجيّ والآخر أبيض، ينسدل على الجسم. أمّا في يوم الغفران، فلا يرتدي إلاّ ثوبه الأبيض علامةً على الندامة وانسحاق القلب.

هـ – وضع عظيم الكهنة الاجتماعيّ

استخدم الرومانيّون عظيم الكهنة لصالح سياستهم. ومع ذلك، ظلّ الشعب يوقّر رئيس كهنته ويحيطه بإجلالٍ واحترامٍ قلّ مثيلهما [١١].

كان عظيم الكهنة في قلب تيوقراطيّة، فوجب عليه أن يكون في حالة قداسة (طهارة) دائمة. فعليه أن يكون دومًا جديرًا بالخدمة الدينيّة. فلا يحقّ له أن يلمس ميتًا ولو كان أحد أقاربه (امرأته، أولاده). وكان الأسبوع الذي يسبق عيد التكفير يتضمّن سلسلة من تطهيرات. فيقضي عظيم الكهنة سبع ليالٍ في قاعة من قاعات الهيكل؛ فإن لم يكن هو مستعدًّا، وجب على قائد الهيكل أن يخضع للفرائض عينها من أجل يوم كِيبُّور. وامتلك عظيم الكهنة سلطة قضائيّة وإداريّة. وحين يترك عظيم الكهنة وظيفته، فهو يبقى خاضعًا لكلّ القواعد، ويحافظ على جزء كبير من هيبته. وينعم رئيس الكهنة باعتبار كبير جدًّا؛ فهو رئيس السنهدرين الذي تصل صلاحيّاته إلى جميع اليهود في العالم. وهو كافل خزنة الهيكل. وهو الرجل الوحيد الذي يدخل إلى قدس الأقداس مرّة في السنة (خر ٢٩: ٤٢). إنّه حقًّا الوسيط بين الله والبشر (عب ٥: ١) [١٢]. وحين يُطلب من السنهدرين ممارسة حقّه في انتخاب كبار الكهنة، كان الاختيار يقع دومًا على أبناء الطبقات الغنيّة [١٣].

يعيش عظيم الكهنة من الهيكل؛ ومداخيل الكهنة هي البواكير التي يختار عظيم الكهنة أفضلها: ذبيحة عن الخطيئة، وذبيحة تعويضيّة، وجزء من تقديمات الحنطة والزيت والخمر، أربع من خبزات التقدمة الأسبوعيّة الاثنتي عشرة، جلد حيوان المحرقات. يختار عظيم الكهنة الأوّل ويختار الأفضل [١٤].

تحوّلت مجموعة كبار الكهنة إلى طبقة منغلقة على ذاتها، فخورة بنفسها وتحتقر الآخرين، ونشأت بينهم وبين سائر الكهنة عداوات وكراهية [١٥].

٢– الكاهن

تميّز الكهنة عن اللاويّين؛ فالكهنة يُحيون الرتب الدينيّة، واللاويّون يساعدونهم. ولم يكن جميع أبناء نسل هارون كهنة ذوي شأن، أو جميع اللاويّين خدّامًا للهيكل، لأنّه تألّفت جماعةٌ من هاتين السلالتين، حفظت لنفسها حقّ القيام بالدور الدينيّ،

(١١) سامي الحلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٥.
(١٢) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ٨٥٧.
(١٣) سامي الحلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٤.
(١٤) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ٨٥٧.
(١٥) سامي الحلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٤.

للاستثمار بما يُقدَّم للهيكل من أعشار وتبرّعات [١٦].

أ – تكريس الكاهن

يُشترط في الكاهن أن يكون سليم الجسم و"دون أيّ عيب جسديّ"؛ وعندما يتمّ اختيار شخصٍ للكهنوت، يعتكف في أثناء طقوسٍ دينيّة (خر ٢٩؛ لا ٨). يبدأ الطقس بأن يتوضّأ الشخص المختار، ويلبس رداءً صوفيًّا أبيض، ويُمسح بالزيت، ثمّ يقرِّب ثلاث تقادم، ثورًا وكبشَيْن، يضع يديه عليهما قبل أن يذبحهما. وبعد ذلك، يُمزج زيتٌ بدم من الحيوان الثالث ويُقدَّم للكاهن المكرَّس، فيدهن أُذُنَ المكرَّس اليمنى وإبهامه اليمنى وقدمه اليمنى، ثمّ يدهن يديه وفخذه بمزيج شحم الكبش وخبز الفطير وزهر الطحين، وتؤخذ تلك المواد بعد ذلك وتُحرق في محرقة الهيكل.

يتمتّع الكاهن بجميع حُقوق الطبقات الكهنوتيّة الأخرى، ويحقّ له أن يأكل من لحم الذبائح والخبز المقدّم. وتتمتّع زوجته وأولاده بالحقّ نفسه. وتحدّد الشريعة عقوباتٍ خاصّة شديدة الصرامة إن اقترف الكاهن إثمًا أو قام بفعلٍ نجس. وتُجلَد بناته وامرأته إن سلكن سلوكًا سيّئًا [١٧].

ب – لباس الكاهن

يرتدي الكهنة في الأيّام العاديّة ثوبًا بسيطًا أبيضًا محصورًا عند الخصر بحزام عريض يلفّه حول جسمه ثلاث لفّات، وقبّعة مخروطيّة الشكل. أمّا في الاحتفالات، فتزداد الثياب تعقيدًا؛ إذ تتألّف عندها من أربع قطع: من سروال طويل فضفاض، وثوب مصنوع من قطعة قماش واحدة، وحزام مطرّز بعرض أربع أصابع، وعمامة.

ولا تُغسل الثياب الصوفيّة الليتورجيّة التي يرتديها الكهنة، بل تُحرق في مجمرة الهيكل. وكان الكهنة يسيرون حفاةً داخل الهيكل، ويقوم اللاويّون برشّ البلاط على الدوام بماء الوضوء وماء تنظيف دم الذبائح [١٨].

ج – الفرق الكهنوتيّة

منذ أيّام الملك داود، تمّ توزيع الكهنة على أربع وعشرين فرقة (١ أخ ٢٤: ٧–١٩)، كلّ واحدة تخدم الهيكل مدّة أسبوع. ويأتي أفرادها من جميع مدن فلسطين وقراها عندما يحين دورها، فيمضون الليلة الأولى، وهي ليلة السبت عادةً، في بهو الهيكل. وفي اليوم التالي، يلقون القرعة ليحدّدوا مَن يذبح أو ينظّف أو يحضِّر أو يضع البخور أو ينفخ في البوق... وتقوم الفرقة طوال الأسبوع بمراقبة الأسوار وإدارة المال وبتّ قضايا المخالفات البسيطة داخل الهيكل. والفرقة التي يأتي دورها أيّام الأعياد تكون سعيدة الحظّ بسبب كثرة التقادم [١٩].

٣– اللاويّون

أ – اللاوي هو عضو في قبيلة لاوي الكهنوتيّة التي اختيرت (حسب تث ١٠: ٨) لتحمل تابوت العهد وتخدم الله وتبارك الشعب. لهذا سمّي أعضاؤها "اللاويّين الكهنة" (تث ١٧: ٩، ١٨؛ ١٨: ١؛ ٢١: ٥؛ ٢٤: ٨)؛ وتماهوا مع كلّ قبيلة لاوي (تث ١٨: ١). في هذا المنظار الذي هو سابق لتركيز العبادة في أيّام يوشيا، كانت المماهاة تامة بين الكهنة واللاويّين. ولكن نصّ حزقيال (٤٤: ١٠–١٣) يميّز الكهنة اللاويّين عن اللاويّين المرتبطين بالمعابد في الأماكن المشرفة. وحين أُلغيت المعابد المناطقيّة (ما عدا أورشليم) في إصلاح يوشيّا، جُرّد هؤلاء اللاويّون من وظائفهم الكهنوتيّة، فوجب عليهم أن يعيشوا من الإحسان والصدقة (تث ١٢: ١٢، ١٩–١٨؛ ١٤: ١٧، ٢٩؛ ١٦: ١١، ١٤؛ ٢٦: ١١–١٣)، أو أن يبحثوا عن عمل في هيكل أورشليم (تث ١٨:

(١٦) **المرجع السابق**، ص ٦٤.

(١٧) **المرجع السابق**، ص ٦٥.

(١٨) **المرجع السابق**، ص ٦٦؛ أيّوب شهوان، "اللّباس الطقسيّ..."، ص ٣٩.

(١٩) سامي الحلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٧.

٦–٨). ولكنّهم في أيّ حال ما عادوا يستطيعون أن يصعدوا درجات مذبح يهوه (٢ مل ٢٣: ٩)؛ فمعارضة كهنة العاصمة أورشليم، أحدرتهم إلى درجة دنيا: لا شكّ في أنّهم ضُمُّوا إلى الكهنة، ولكن فقط من أجل "خدمة الهيكل" (حز ٤٤: ١١) [٢٠].

يبدو أبناء لاوي مفروزين لممارسة الوظائف المقدّسة (عد ١: ٥؛ ٣: ٦ي)، ومقدّمين لله عن أبكار بني إسرائيل (عد ٣:١٢؛ ٨: ١٦)، وسيدلّون على غيرتهم في حادثة العجل الذهبيّ (خر ٣٢: ٢٦–٢٩؛ رج تث ٣٣: ٨–١١). هم لا يُحصون مع سائر القبائل (عد ١:٤٧–٤٩)، ولا تُعطى لهم أرضٌ، لأنّ الربّ هو حصّتهم (يش ١٣: ٣٣؛ ١٤: ٢٧، ٢٩). وينعمون بالعشور التي تُدفع لهم (عد ١٨: ٢٠–٢٤؛ رج عب ٧: ٥–١١).

في نظر الكاتب الاشتراعيّ، فُرزت قبيلة لاوي لتحمل تابوت العهد، وتخدم يهوه، وتبارك الشعب (تث ١٠: ٨؛ ٣١: ٩، ٢٥). يقدر كلّ لاوي أن يمارس الكهنوت (تث ١٨: ٦–٧). ولكنّ هذه القاعدة لم تُحتَرَم دائمًا (رج ٢ مل ٢٣: ٩). وفي نظر الكاتب الكهنوتيّ، هارون هو أوّل رئيس كهنة في إسرائيل. أبناؤه هم الكهنة الشرعيّون الوحيدون (رج خر ٢٨–٢٩، ٣٩؛ عد ١٦–١٨). أمّا سائر نسل لاوي فأعطوا لهم كمعاونين يخدمونهم ويخدمون المسكن (عد ٣: ٦–١٢؛ ٨: ٦–٢٦؛ ١٨: ١–٧).

حوالى سنة ٣٠٠ ق. م. حافظ المؤرّخ الكهنوتيّ على التمييز بين الكهنة واللاويّين، ولكنّه شدّد على مكانة اللاويّين ودورهم قرب تابوت العهد (١ أخ ١٥: ١٦)، في الهيكل (١ أخ ٢٣–٢٦). وإذ لم يعد للاويّين أن ينقلوا تابوت العهد (١ أخ ٢٣: ٢٦)، تخصّص بعضهم في الغناء (١ أخ ١٦: ٤). حينئذٍ انضمّ سائر المغنّين إلى اللاويّين [٢١].

ب – دورهم الطقسيّ

يقوم اللاويّون بالغناء والموسيقى والمحافظة على الأبواب كما يقومون بإدارة الهيكل (١ أخ ٩: ٢٦؛ ٢٦: ٢٠ي؛ ٢ أخ ٢٤: ٦، ١١؛ ٣١: ١١–١٥)، وسلخ الذبائح (٢ أخ ٢٩: ٣٤؛ ٣٥: ١١)، والقضاء (١ أخ ٢٣: ٤)، والتعليم (٢ أخ ١٧: ٨–٩؛ ٣٥: ٣؛ نح ٨: ٧، ٩) [٢٢].

يساعدون الكهنة في مهامّهم. يسلخون جلد الذبائح ويقطّعون لحمها، ويخبزون خبز التقادم، ويراقبون المستودعات، ويحرسون الأواني المقدّسة، كما يقومون بأعمال أمانة السرّ للسنهدرين وإدارة الهيكل. كانت مهامّهم تدرّ عليهم أرباحًا طائلة، لأنّهم معفيّون من الضرائب، ولهم نصيب من الأعشار والتقادم. ويقوم اللاويّ بخدمة الهيكل من سنّ الخامسة والعشرين وحتّى الخمسين. ومرتبتهم هي أدنى من مرتبة الكهنة الذين يحرصون دومًا على ألاّ يتجاوز اللاويّون حدود صلاحيّاتهم. وكان المسؤول عن الهيكل يعاملهم معاملةً قاسية؛ فإن وجد أحدهم نائمًا في أثناء مناوبته ضربه ضربًا مبرحًا، حتّى إنّه إذا سُمِعَت صرخات من الهيكل وسأل سائلٌ ما الأمر، أجابه الناس: "لا شيء؛ إنّهم يؤدّبون لاويًّا" [٢٣].

الخاتمة

لقد توسّعت الرسالة إلى العبرانيّين كنصّ وحيد في العهد الجديد في كهنوت المسيح مستندًا إلى مز ١١٠. والتوازي بين المسيح وموسى، يبيّن سموّ يسوع لأنّه "رسول وحبر اعتراف إيماننا" (٣: ١). هذا التوسّع يتضمّن وظيفة التعليم، ويقابل ٥: ١–٤ المركّز على التكفير عن الخطايا. إذا كانت الرسالة أبرزت ذبيحة المسيح الفريدة بالنظر إلى يوم التكفير (يوم كيبُّور)، فقد شدّدت أيضًا على الوجهة الإراديّة في ذبيحة يسوع (٩:

(٢٠) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ١٠٩٣، ١٠٩٤.
(٢١) **المرجع السابق**، ص ١٠٩٣.
(٢٢) **المرجع السابق**، ص ١٠٩٣.
(٢٣) سامي الحلاّق، **مجتمع يسوع**...، ص ٦٧.

١١–١٤) التي فيها قدّم نفسه متضامنًا مع إخوته البشر. وحين مجّد المسيح وجلس عن يمين الآب، مارس إلى الأبد وظيفته في الشفاعة (٧: ٢٥؛ ٩:٢٤). وقد طبّق خر ١٩: ٥–٦، الذي يسمّي إسرائيل الأمّة المقدّسة والملكوت والكهنوتيّ (الذي يوجّهه الكهنة)، على المسيحيّين في مجملهم (١ بط ٢: ٥، ٩؛ رؤ ١: ٦؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦)؛ فالمؤمنون يمارسون مجتمعين وظيفتهم الكهنوتيّة في حياتهم اليوميّة التي هي عبادتهم، وفي التسبيح بمزامير وأناشيد روحيّة[٢٤].

(٢٤) بولس الفغالي، **المحيط الجامع**...، ص ١٠٠٢.

المراجع

بـدوي عبدو، "اللباس الليتورجيّ"، **الاحتفال الليتورجـيّ**، منشورات معهد الليتورجيّا ٢٤، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٩٧.

حلاّق سامي، **مجتمع يسوع تقاليده وعاداته**، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩.

شهوان أيّوب، "اللباس الطقسيّ في الكتاب المقدّس"، **اللباس الليتورجيّ**، منشورات معهد الليتورجيّا ٤٣، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ٢٠٠٨.

الفغالي بولس، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، المكتبة البولسيّة وجمعيّة الكتاب المقدّس، ٢٠٠٣.

معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٨.

ملاخي ١: ٦-٢: ٩

توبيخ الكهنة على احتقارهم اسم الربّ

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

تنتمي نبوءة ملاخي إلى المجموعة الأخيرة من الأقوال النبويّة المتضمَّنة في كتب الأنبياء الاثني عشر. وبالرغم من تَعَوُّدنا على الكلام على ملاخي النبيّ، فإنّ المؤلِّف مجهول الهويّة، خاصّة وأنّ المفردة العبريّة מַלְאָכִי (مَلأَخي) تعني وببساطة "مُرْسَلي" [١]، وهو لَقب يظهر في ٣: ١، يُحتَمَل أن يكون قد نُقل لاحقًا إلى بداية الكتاب. وقد رأت السبعينيّة أيضًا في هذا التعبير لقبًا بسيطًا [٢]: "ها أنا أرسل ملاكي". لاحقًا أصبح بالنسبة إلى بعض الشرّاح اسمًا عَلَمًا، مع الإشارة إلى أنّنا لا نجد أيّة مرّة هذا الاسم في العهد القديم.

ماهَى الترجوم هذا النبيَّ المجهول مع عزرا، وتبع القدّيسُ إيرونيموس هذا الرأيَ. ولكن، ومع أنّ كتاب "ملاخي" يُبرز نقاطًا مشتركة مع نشاط عزرا، فإنّ التناقضات بينهما لا تنقص، كالموقف من اللاويّين، مثلاً.

من المفضَّل الإقرار بأنّنا **لا نعرف مَن كتب سفْر ملاخي**.

أمّا **تاريخ وضْع السفْر** فإنّنا قادرون على تحديده من خلال صفات الكتاب؛ فعدم اكتراث الشعب كان قد بلغ الذروة، لأنّ هذا الأخير، في الواقع، خاب أمله بسبب رؤيته أنّ الوعود القديمة لا تتحقّق، فسقط في اللامبالاة الدينيّة وفي فقدان الثقة بالله، إذ شكّ في محبّة إلهه له، وفي عدله، وفي اهتمامه بيهوذا. نتيجة لذلك بلغت العبادة والخُلُقيّة أدنى المستويات. يجعلنا هذا الوضع نوجّه أنظارنا نحو **القرن الخامس ق. م.**، أي إلى السنوات التي سبقت إصلاح نحميا وعزرا. معطيات أخرى في الكتاب تدعم هذا التأريخ:

– **فالهيكل** كان قد أُعيد بناؤه (١: ١٠)؛

– **والطقوس**، بالرغم ممّا كانت عليه، كانت تعمل (١: ٧-٩، ١٢، ١٣)؛

– **والكهنة** واللاويّون كانوا منظَّمين (٢: ٣-٩).

نحن بالتأكيد في السنوات التي تلت سنة ٥١٥ ق. م.، تاريخ تكريس الهيكل الجديد. في كلّ الأحوال، لقد مضى زمن الحماس الأوّل. بالنتيجة، من المرجَّح جدًّا أن يكون هذا النبيّ المجهول قد قام برسالته بين السنتَين ٤٨٠ و٤٥٠ ق. م.، حتّى ولو لم يكن بالإمكان استبعاد تاريخ آخرَ، هو ما بين ٤٣٣ و٤٣٠ ق. م.، الذي يتزامن مع الاضطرابات التي تلت مسيرة نحميا في سوزا. إنّ تاريخ نشاط نحميا، والإصلاح الذي أنجزه بالاشتراك مع عزرا، ما زال موضوع نقاش. يفسِّر هذا الوضعُ في تلك الحقبة، السابقة لإصلاح عزرا، تأثُّر سفْر ملاخي بسِفْر تثنية الاشتراع، وغياب تأثير مماثل للشرعة الكهنوتيّة عليه.

(١) B. GLAZIER-MCDONALD, Malachi. *The Divine Messenger*, SBLDS 98; Atlanta: Scholars Press, 1987, p. 55-61.

(٢) ἰδοὺ ἐγὼ ἐξαποστέλλω τὸν ἄγγελόν μου.

١ – ملا ١: ٦–٢: ٩: توبيخ للكهنة

١/١ – لمحة عامّة

بعد عنوان الكتاب النبويّ (١: ١)، يطلق الله نفسُه حوارًا مع إسرائيل، ويعلن عن حُبّه الذي تجلّى في البدايات، عندما اختار يهوه يعقوبَ–إسرائيلَ واستبعد عيسوَ–أدوم (آ ٢–٣). في الأسلوب الأدبيّ السامي، الفعل "أبغضتُ" שָׂנֵאתִי هو قويّ، ويشير إلى أنّ الله قد استبعدَ عيسو، وأحبّه أقلّ ممّا أحبّ يعقوب. هذا الاختيار هو نهائيّ؛ وبالرغم من صفاقة أدوم الذي يتوهّم بأنّه يتفوّق على إسرائيل (آ ٤)، فإنّ الاختيار المذكور يبقى راسخًا، ويتوجّب على إسرائيل أن يعترف بأوّليّة الربّ المطلقة على تاريخ البشريّة كلّها.

هذه المقدّمة التي تُبرز تفضيلَ الله للشعب العبريّ، تجعل الجزءَ الأوّلَ الكبيرَ من سفر ملاخي (١: ٦–٢: ٩) أكثر مرارةً؛ في الواقع، إنّه استجوابٌ قاسٍ ضدّ عبادة فاسدة، أبطالها هم الكهنة، الّذين يُخلّون بواجب الاحترام تجاه أبيهم وربّهم، من خلال تجاوزهم قواعد الطهارة الطقسيّة عندما يقرّبون تقادمهم في الهيكل (١: ٦–١٤). "مائدة الربّ" (آ ٧، ١٢)، أي المذبح الذي كانت عليه توضع الذبيحة المقرَّبة، باعتبارها وليمة مقدّسة، هي، في الواقع، منجَّسَة بحيوانات غير طاهرة، لأنّها غير كاملة، وبالتحديد عمياء، وعرجاء، وسقيمة وفي حالة سيّئة (آ ٨أ، ١٣). إنّها عطايا لا يجرؤ مقدّموها على تقديمها إلى الحاكم الفارسيّ (نحن في مرحلة ما بعد المنفى)، مع كونه إنسانًا، وبالمقابل هناك تجرُّؤٌ عندهم على تقديمها لله (آ ٨ب)!

يتوجّه ملاخي إلى الكهنة داعيًا إيّاهم إلى التوبة وإلى تبديل تصرّفهم بطريقة تهدّئ غضب الربّ (آ ٩)، وإلاّ قد يكون من الأفضل تعليق طقوس الذبائح ذاتها لأنّ الله يرذلها (آ ١٠). مقابل بُخْلِ بني إسرائيل، يرى النبيُّ أنّ الربّ يرتضي إلى حدّ كبير الذبائح والعطور التي يقرّبها الوثنيّون بقلب طاهر إلى اسمه، أي إلى شخصه بالذات، في كلّ مكان من الأرض (آ ١١). إنّها رؤية شموليّة تعتبر البابَ مفتوحًا أمام الأمم لتؤدّي عبادة للربّ بالصدق؛ بالمقابل يصعب التحديد بدقّة ما يعنيه ملاخي بهذه العبادة، وارتباطها المباشر وغير المباشر بالربّ وبإسرائيل. إنّ الكلام على الذبائح التي تُقَدَّم "في كلّ مكان"، بحسب أوامر الشريعة، يجعلنا نفهم أنّ ذبائح الوثنيّين أيضًا هي مقبولة لدى الله، الأمر الذي يعطي انطباعًا بوجود منحًى شموليّ في سِفْر ملاخي الذي يحمل هَمَّ العودة إلى نقاوة العبادة. في الواقع، لم يكن يهود الشتات يقدّمون ذبائح وفق أوامر الشريعة، بينما، في السامريّة، كانت تُمارِس عبادة انفصاليّة. طبّق الشرّاح المسيحيّون القدماء هذا النصّ على الإفخارستيّا، كونها ذبيحة العهد الجديد.

إنّه لأمرٌ واقعيّ، في كلّ حال، أنّ تكون الرقابة التي تتمّ على الكهنة وعلى تصرّفِهم المُهمِل والأنانيّ هي قاسية (آ ١٢–١٣)، إذ تمتدّ لتشمل المؤمنين أيضًا الذين يختارون حيوانات مرذولة لذبائحهم، مهينين "الملِك العظيم"، الإله العادل والرهيب (آ ١٤).

لم يعد مجال إلاّ للدينونة التي تتجلّى في الليتورجيّا بالتحديد: تتحوّل بركات الكهنة إلى لعنة عليهم بالذات وعلى المؤمنين (٢: ٢). يمكن التعبير العبريّ "بِرَكَهْ" (בְּרָכָה) أي "بركة"، أن يعني، كلَّ ما بُورِك، وإمّا فعْل المباركة، كما أيضًا المكاسب التي كان الكهنة يحصلون عليها من خدمتهم. في التقليد الدينيّ اليهوديّ في إسرائيل، ترتبط صورة الكاهن بطريقة وثيقة بطقس البركة (أنظر عد ٦: ٢٣–٢٧). وإذ يجد الكاهن نفسَه محرومًا من وظيفة المبارَكَة، يدرك أنّه صار مرذولاً من الشعب ومحتَقَرًا. سيجعل الربُّ جذريًّا خدّامَه هؤلاء الأَثَمَةَ غيرَ أطهار، مغطّيًا بالزبل وجوهَهم واحتفالاتهم (آ ٣)، ويكسر ذراعَهم (بحسب الترجمة اليونانيّة القديمة؛ يعني النصّ العبريّ، הִנְנִי גֹעֵר לָכֶם אֶת־הַזֶּרַע، "أرذلُ نسلَكم"، آ ٣)، جاعلاً إيّاهم غير أهلٍ للكهنوت. ترتبط العبارة "كسر الذراع" (٢: ٣) بالكاهن، وتعني الاستبعاد من الكهنوت. يقول النصّ العبريّ: "أرذل نسلك". في الواقع، في اللغات الساميّة، يمكن التعبير "زرَعْ" (זֶרַע) أن يعني "ذراع"، كما أيضًا "نسْل". جاء في ١ صم ٢: ٣١: "إنّها تأتي أيّام أقطع فيها ذراعَكَ وذراعَ بيتِ أبيك، فلا يبقى في بيتك شيخ كبير".

انقطع هكذا الرابط الامتيازيّ بين قبيلة لاوي الكهنوتيّة وبين الربّ (رج آ ٤؛ إر ٣٣: ١٩–٢٢). كانت رغبةُ الله تجاه الكهنوت اللاويّ غيرَ ذلك؛ فعندما كان هذا الأخير يحترم واجباته، فيعلّم الشريعة الإلهيّة، ويُبعد التجاربَ الوثنيّة ("زيف")، ويتصرّف حياتيًّا بصدْق واستقامة، كان الربُّ يفيض عليه البركات (آ ٥–٦). في الواقع، إنّ رسالةَ الكهنوت هي أن يكون معلِّمَ معرفة الله وإرادتِه، مُبرزًا ذاته على أنّه "مرسَل" إلهيّ (آ ٧)، وهذا اللقب هو محفوظ عادةً للملائكة وللأنبياء (كما يشهد على ذلك اسم "ملاخي" بالذات، מַלְאָכִי، الذي يعني "مُرْسَل يهوه"؛ ١: ١). لقد اختار الكهنوتُ الطريقَ المعاكس، مشوِّهًا بذلك كلمة الله (آ ٨). وهكذا بَطُلَ العهدُ بين لاوي، والقبيلة الكهنوتيّة، والربّ، الذي ينبذ الآن خدّامه (آ ٩).

بعد أن انتهى فصل التنديد بسبب تقهقر العبادة، يتمّ الانتقال إلى مسألة أخرى، هي مسألة الزواجات المختلطة (آ ١٠–١١)، التي كانت قد شغلت عزرا لدى إعادة بناء الجماعة اليهوديّة العائدة من المنفى (عز ٩). بعد أن احتجّ على فقدان الأمانة بين العبرانيّين، أبناء الأب والخالق ذاته، أي الربّ، يتركّز الانتباهُ تحديدًا على الزواجات من نساء أجنبيّات (ملا ٢: ١٠–١١)، الأمر الذي يُعْتَبَر انحرافًا عن الشريعة الموسويّة وتدنيسًا لها، لأنّها كانت تتضمّن خطر عبادة الأوثان. إنّ الشجب قاسٍ، ويتضمّن أيضًا رَفْضَ الربّ للذبائح؛ هم لا يستطيعون بالتالي تهدئة استيائة بسبب عدم أمانتهم الدينيّة (آ ١٢–١٧).

يركم هذا الكلام النبويّ، الأطول في نبوءة ملاخي، الاتّهامات ضدّ الكهنة، مندِّدًا بالمراءاة في العبادة التي بها يدّعون أنّهم يكرمون الربّ. هكذا يشكّل ملا ١: ٦–٢: ٩ تنديدًا بالمعاصي التي يرتكبها الكهنة في عبادتهم، ودائمًا بأسلوب الاعتراض والردّ: "إنّكم تحتقرون اسمي" (١: ٦–٢: ٩). ولكن بِمَ يُحتَقَر اسم الربّ؟ بالمخالفات الثلاث التالية: بما يُقَدَّم له، وبطريقة تقديم ما يُقَدَّم، وفي تلقين الشريعة.

يتخّذ الأنبياءُ تكرارًا مواقف تتعلّق بالعبادة، وتتكلّم عليها نصوصٌ أخرى، مثلاً: أش ١: ١٠–٢٠؛ ٥٨؛ إر ٧؛ عا ٥: ٢١–٢٥؛ زك ٧؛ مز ٥٠. تطرح هذه النصوص معضلة العلاقة بين **العبادة والعدالة الاجتماعيّة**؛ فالعبادة التي لا تقترن بالعدالة هي باطلة، لا بل هي فعْلُ تدنيس. يبقى ملاخي في إطار العبادة، ويطرح المسألة بمفردات **العلاقة الشخصيّة بالربّ**: أيّة مواقف تكشف ممارسات العبادة؟ كيف يتفاعل الشخص الذي يؤدَّى له الاحترام بهذه الطريقة؟ وأيضًا، إذا كان هذا الشخص أبًا، أو سيّدًا، أو مَلِكًا؟ يبقى راسخًا ما ورد في مز ٥٠: ٨–١٣، أنّ الله لا يُسَرّ بالذبائح[٣]، وأنّه يشعر بالإساءة عندما يعاملونه بهذه الطريقة. هناك في ما بيننا أيضًا من الهدايا ما هو دون فائدة؛ لكن أن يُهدِيَ المرءُ حليً تافهة، أو أشياء خَربة أو نفايات، فليس هذا علامة عاطفة ولا مجاملة ولا إكرام. ما يهمّ هو الإيماءة وخلفيّتها؛ هذا ما يقوله ملاخي.

منذ البداية يطرح النبيُّ المسألةَ على أرض العاطفة والسلطة؛ لذلك جاء في ملا ١: ١٤: "ملعون الماكر الذي عنده في قطيعه ذَكَرٌ، وهو ينذر ويذبح للسيّد ما هو معيب، فإنّي ملك عظيم، قال ربّ القوّات، واسمي مهيب بين الأمم". إذا فهمنا هذا الكلام النبويّ، نتساءل أيضًا: أَلَمْ يكن وَضْعُ الأنبياء التقليديّ أكثر عمقًا؟ نجد الاهتمام ذاته بالعبادة في أسفار لاحقة، كنبوءة حجّاي وسفرَي الأخبار، حيث نرى كيف وصلت العبادة إلى أن تكوّن مبدأ هويّة شعب مسكين ومنقاد، لا استقلاليّة له سياسيّة، ولا قوّة عسكريّة. في موضوع الهويّة، علاقته بالله هي مبدأه؛ فإذا كانت العلاقة مفقودة، أو إذا فسدت، فسيبقى مهدَّدًا كشعب. تعبّر العبادة عن علاقة شخصيّة كهذه وتحرّكها.

(٣) ورد في مز ٥٠: ١٠–١٣: "لا آخذ عجلاً من بيتك، ولا تيوسًا من حظائرك... وهل أنا من لحم الثيران آكل، وهل أنا لدم التيوس شارب...؟". ونقرأ في آ ١٤: "إذبح لله ذبيحة حمد، وأوفِ العليّ نذورك".

نشير إلى أنّ الأسئلة التي يطرحها الربُّ، وأجزاء الحوار، وبعض الملامح الساخرة في النصّ، تعطي كلَّ هذا الجزء من النبوءة حيويّةً لافتة ومميّزة.

٢ – بنية ملا ١: ٦–٢: ٩

يشكّل ملا ١: ٦–٢: ٩ نوعًا من **الخطبة اللاذعة الموجَّهة إلى الكهنة** غير الأمناء لرسالتهم[٤]، والتي فيها يرسم النبيُّ، وفي تعارض مقصود، لوحةً يمدح بها العبادةَ التي يؤدّيها بها الوثنيّون. سنحاول تحديد معنى أهمّ العناصر الموزّعة هنا وهناك في النصّ الذي نحن بصدده، لنستخلص بعد ذلك المضمون.

لدينا في ملا ١: ٦–٢: ٩ **ثمانية أقوال نبويّة** تُبيِّن خطيئتَي الكهنة الرئيسيّتَين:

– تقديمهم ذبائح منجّسة (١: ٦–١٤)،

– وإبطالهم دَوْرَيْهم كمعلِّمين وقادة الموكَلين إليهم (٢: ١–٩).

يمكن تحديد كلّ قول نبويّ **بالصيغة النبويّة التمهيديّة أو الختاميّة** التالية: "**يقول ربّ القوّات**"، وتواصل البنيةُ الأدبيّة أسلوبَ المناظرات.

يصف النبيُّ خطيئةَ تقديم ذبائح منجّسة في **قسمَين: ١: ٦–٩، و١٠–١٤**.

يبدأ **القسم الأوّل** (١: ٦–٩) بمقارنة العلاقات العائليّة والبيتيّة بعلاقة العهد: "الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيّده" (آ ٦أ). يسأل الربُّ عن أمانة شركائه في العهد، وتوحي نبرة الأسئلة البلاغيّة بأنّ علاقة العهد قد تدهورت: "**أين كرامتي؟ أين مهابتي؟**" (آ ٦ب؛ رج خر ٤: ٢٢؛ هو ١١: ١؛ أش ١: ٢). تأتي الصيغة النبويّة: "فإن كنت أنا أبًا، فأين كرامتي؟ وإن كنت سيّدًا، فأين مهابتي، أيّها الكهنة، الذين تحتقرون اسمي، وتقولون: كيف احتقرنا اسمك؟" (آ ٦ب). ما هو غير معتاد هنا هو الإضافة، "أيّها الكهنة، الذين تحتقرون اسمي"؛ يوحي التبديل من الضمير الغائب إلى ضمير المخاطَب بأنّ الحُكْمَ هو حُكْمُ النبيّ الذي تفوّه بكلام الربّ. إنّ تهمة احتقار اسم الربّ هي جدّيّة، كونها تعادل احتقار الربّ بالذات.

يُرَكِّز **الموضوعان التاليان** على مسائل كهنوتيّة: "**تحتقرون اسمي**، وتقولون: كيف احتقرنا اسمك؟ إحتقرتموه بأنّكم تقرّبون على مذبحي خبزًا نجسًا. وتقولون: كيف نجّسناه؟ **نجّستموه** بقولكم: مائدة الربّ محتقرة" (آ ٦ج–٧)؛ رج آ ١٢: "أمّا أنتم **فدنّستموه** بقولكم: مائدة الربّ منجّسة وثمرتها طعام منبوذ"). بالطبع، كانت هناك معايير ملائمة للتقادم الذبائحيّة (رج لا ٢٢: ١٨–٢٥؛ تث ١٥: ٢١؛ ١٧: ١).

تتمّ الإجابة على الذبيحة **بأسئلة بلاغيّة** إضافيّة يطرحها الربّ على الاختبارات الكهنوتيّة: "إذا قرّبتم الأعمى أو الأعرج أو السقيم ذبيحة لي، أفلا يكون ذلك شرًّا؟ إن قرّبتموه لحاكمكم أفيرضى عنكم أو يرفع شأنكم؟ هكذا قال الربّ القدير" (آ ٨؛ رج آ ٣–٥). تشكّل الحيوانات العمياء والعرجاء والسقيمة "طعامًا منجّسًا" (آ ٨أ). لن يقبل الحاكم بتقادم كهذه، ولن يدعو ضيوفه إلى تناولها (آ ٨ب). إنّ رَفْضَ الحاكم وموقفَه هما قياسٌ لرغبة الله في هذا المجال. ويختم سؤالٌ إضافيّ يطرحه النبيُّ الكلامَ النبويَّ بما يلي: "فالآن استعطفوا، أيّها الكهنة، وجه الله ليحنّ علينا. من أيديكم وبسببكم ما جرى لنا، فكيف يرفع الربّ القدير شأنكم" (آ ٩؛ رج زك ٧: ٢).

القسم الثاني: ١: ١٠–١٤

يتمّ توسيع جواب الربّ على التقادم المنجسّة في القسم الثاني، وبالتحديد في **١: ١٠–١٤**؛ فليكن هناك **توقّف عن كلّ ذبيحة في الهيكل** (آ ١٠أ؛ رج حز ٤٠: ٣٩–٤١). يُفَضِّل الربّ ألاّ يُقَدِّم له الكهنةُ ذبيحة: "لا مسرّة لي بكم، ولا أرضى تقدمة من أيديكم" (١: ١٠ب). سيسبّب هذا الإعلان انشغالَ بالِ الكهنة، لأنّ وظيفتهم، كما أيضًا جهود الجماعة لترميم الهيكل للعبادة، ستُضحي مهدَّدَة.

(٤) حول الوسط السياسيّ والاجتماعيّ والدينيّ الذي فيه تطوّر ملاخي، رج:
Bernard RENAUD, "Le jour du Seigneur", *Assemblée du Seigneur*, 2e série, 64 (1969) 64-66.

يواصل جوابُ الربّ **تعارضًا بين الكهنة وشعب جماعة العهد، وبين "الأمم"**. هناك تفسيرات عدّة للآية ١١. يرى البعض أنّ الآية تصف توقّعات داهمة لعصر مسيحانيّ عندما ستؤدّي الأممُ العبادةَ مع اليهود (قارن مع أش ٦٦: ١٨–٢١؛ زك ١٤: ٢١). يربط بعض المفسِّرين الآية بوضع يهود الشتات ونشاطاتهم في المجامع (الصلاة والدرس)، التي حلّت محلّ ذبيحة الهيكل، وهذا هو المرجَّح. مع هذا، مهما كان التفسير الخاصّ، يُبرز إطارُ النصّ العامُّ نموذجًا من النشاط الذي يسرّ الله.

تواصل الآيات الباقية من هذا الجزء **التعارض بين الكهنة والأمم** عبر توجيه السلوك والأفكار الكهنوتيّة.

يتضمّن **الكلام النبويّ الختاميّ لعنةً** على الكاهن الذي خيّب أمله وأمل الجماعة من خلال تقديمه "خصيّ" وإحجامه عن تقديم "ذَكَر" الحيوان: **"ملعون** (וְאָרוּר) كلّ ماكر ينذر ذَكَرًا سليمًا (זָכָר וְנִדֶּר) في قطيعه، ثمّ يذبح ما يكون فيه عيب للربّ" (١: ١٤أ؛ رج لا ٢٢: ١٨). هناك تعارض ضمنيّ بين جماعة العهد وبين "الأمم". الربّ هو "ملك عظيم، واسمه مرهوب بين الأمم" (آ ١٤ب). عبر الاتّهام بسبب الذبائح النجسة (آ ٦–١٤)، يُبرز تكرارُ كلمتَي "عظيم" (آ ٥، ١١، ١٤) و"اسم" (آ ٦، ١١، ١٤) طبيعةَ الله، وكيف يتصرّف الكهنة، بالمقابل، بشكل غير ملائم.

يشجب **الاتّهامُ الثاني فشلَ الكهنة كمعلّمين وكقادة،** لأنّهم تركوا استقامتَهم الشخصيّة (٢: ١–٩). إنّ هذا الجزء بكامله هو جواب الربّ بتعابير مرتبطة بـ**العهد**.

٣ – تفسير ملا ١: ٦–٢: ٩

(أ) ١: ٦–١٤

آ ٦: **"قال الربّ القدير: الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أبًا، فأين كرامتي؟ وإن كنت سيّدًا، فأين مهابتي، أيّها الكهنة، الذين تحتقرون اسمي، وتقولون: كيف احتقرنا اسمك؟"**.

يبدأ الكلام النبويّ بطرح أمر مفروغ منه، هو أنّه من الطبيعيّ أن يكرم ابنٌ أباه، وأن يكرم خادمٌ سيّدَه. فما القول إذًا عن الطريقة التي بها يدّعي الكهنة أنّهم يكرمون الربّ؟ إنّ استعمال التشبيه الأبويّ غير شائع؛ إذا كان الله يدعو إسرائيل غالبًا "ابنَه" (خر ٤: ٢٢؛ هو ١١: ١؛ تث ١٤: ١)، فإنّ لقب "أب" لم يُسْبَغ على الله إلاّ في زمن متأخّر في الكتاب المقدّس، وكأنّ هذا اللقب، الشائع في ديانات الشرق الأدنى، كان موضوع شبهة مع الآلهة الوثنيّين لكي يمكن تطبيقه على إله إسرائيل. إرميا هو أوّل من استعمله (إر ٣: ١٩؛ ٣١: ٩). يؤكّده ملاخي هنا وكأنّه حقيقة حاضرة. لاحقًا، سيستعمله أش الثالث لكي يضع صلاة نداء استغاثة (أش ٦٣: ١٦).

يمكن العودة هنا إلى الوصايا العشر، حيث، وعلى سبيل المثال، نقرأ في تث ٥: ١٦: "أكرم أباك وأمّك، كما أمرك الربّ إلهك، لكي تطول أيّامك، وتصيب خيرًا في الأرض التي يعطيك الربّ إلهك إيّاها"؛ لنقرأ أيضًا تث ٢١: ١٨–٢١: "إذا كان لرجل ابن متمرّد عاص، لا يطيع أمر أبيه ولا أمر أمّه، وهما يؤدّبانه فلا يسمع لهما، فليقبض عليه أبوه وأمّه، ويخرجاه إلى شيوخ مدينته وإلى باب بلدته، ويقولاَ لشيوخ مدينته: إنّ ابننا هذا متمرّد عاص، لا يطيع أمرنا، وهو أكول شرّيب، فيرجمه جميع رجال مدينته بالحجارة حتّى يموت، واقلع الشرّ من وسطك، فيسمع إسرائيل كلّه ويخاف". إنّ **إسرائيل هم ابنٌ لله**، كما نقرأ في خر ٤: ٢٢: "وتقول لفرعون: كذا قال الربّ: **إسرائيل هو ابني البكر**"؛ تث ٣٢: ١٩؛ أش ١: ٢؛ إر ٣: ٤؛ هو ١١: ١)[٥]. يُقارَن الربُّ بسيّد، يرفع عبيدُه عيونَهم إليه، كما جاء في

(٥) رج **تث ٣٢: ١٩**: "الصخر الذي **ولدك** أهملته، والإله الذي وضعك نسيته. الربّ رآه، وفي غضبه استهان **ببنيه وبناته**. أحجب وجهي عنهم، وأرى ماذا تكون آخرتهم، لأنّهم جيل متقلّب، **بنون** لا أمانة فيهم"؛ **أش ١: ٢**: "إستمعي أيّتها السماوات، وأنصتي أيّتها الأرض، فإنّ الربّ قد تكلّم. إنّي ربّيت **بنين** وكبّرتهم، لكنّهم تمرّدوا عليّ"؛ **إر ٣: ٤**: "ألست تدعينني منذ الآن: يا **أبت**، أنت رفيق صباي؟"؛ **هو ١١: ١**: "لمّا كان إسرائيل صبيًّا أحببته، ومن مصر دعوت **ابني**".

مـز ١٢٣: ٢: "كما يرفع العبيد عيونهم إلـى يد سادتهم، وكما ترفع الأمَة عينيها إلـى يد سيّدتها، كذلك عيوننا إلى الربّ إلهنـا حتّى يتحنّن علينا". ما الذي ينبغي أن يسـود: روحُ الخنـوع والخوف، أم الروح البنويّ، روح الاحترام [٦]؟

آ ٧: "**إحتقرتمـوه بأنّكـم تقرّبـون على مذبحـي خبـزًا نجسًـا، وتقولـون: كيـف نجّسنـاه؟ نجّستموه بقولكـم: مائدة الربّ محتقرة**".

تظهر العبارة "مائدة الربّ" هنا فقط في العهد القديم، بالرغم من أنّنا نجد الفكرة عينَها في أماكن اخرى (رج مز ٢٣: ٥؛ حز ٤٤: ١٦). كانت موائد نحر الذبائح موضوعة عند أبـواب ساحة الهيكل الداخليّة، ومائدة وحيدة في المقْدِس، حيث كان يُسمَح فقط للكاهن أن يدخل (رج حز ٤٠: ٣٩-٤٣).

يتعلّق الأمـر بالخبزات المقدَّمة، والتي اعتبرها الـربُّ "خبزًا نجسًا". يتكلّم خر ٣٧: ١٠-١٦ على صنْع "مائدة الخبز المقدّس"؛ ويفيد خر ٤٠: ٢٢-٢٣ أنّ مكان "مائدة الربّ" كان في خيمة الموعد، أي في المكان الأقـدس: "وجعل المائدة في خيمة الموعد في جانب المسكن، جهة الشمال، خارج الحجاب، ورتّب عليها صفَّ خبزٍ أمام الربّ، كما أمره الربّ". لهذا السببِ كان يتوجّب على الكهنة أن يكونوا مقدَّسين، لأنّهم مكلَّفون بخدمة مائدة الـربّ، كما يوصي لا ٢١: ٦: "وليكونوا مقدَّسين لإلههم، ولا يدنّسوا اسمه، فإنّهم يقرّبون الذبائح بالنّار للربّ، طعام إلههم، فيكونون قدسًا". وعن طريق المماثلة، نفهم أنّ مذبح الذبائح هو وليمة الربّ.

إنّ ما كان يحصل أيّام ملاخي النبيّ هو على نقيض ما يريده الربّ، لذلك شكّل ما كانوا يقومون به من تقريب خبز على مائدة الربّ احتقارًا له؛ لذلك قال: "نجّستموه بقولكم: مائدة الربّ محتقرة". نحن نعلم أنّ مَن يحبّ الربَّ يحفظ وصاياه وأوامـره وأحكامه، لذلك يُعتَبَر تصرُّف الكهنة هنا مخالفة مباشرة يتحمّلون تبعاتها وعواقبها.

آ ٨: "**إذا قرّبتـم الأعمـى أو الأعرج أو السقيـم ذبيحة لي، أفلا يكون ذلك شرًّا؟ إن قرّبتمـوه لحاكمكم أفيرضـى عنكم أو يرفع شأنكم؟ هكذا قال الربّ القدير**".

هنـاك تشريـع واضـح يتعلّـق بالحيوانات التي تُقَـرَّب ذبيحة للربّ، يُشَـدَّد فيهـا علـى وجـوب أن تكون سليمـة؛ في هـذا المجال نقـرأ ما جاء فـي لا ٢٢: ١٩-٢٥: "فلكـي يرضى عنكـم يجب أن يكـون ذَكَـرًا تامًّا من البقـر أو الضـأن أو المعـز. ولا تقرّبوا مـا به عيـب، فإنّه لا يرضـى به عنكم. وأيّ رجل قـرّب ذبيحة سلاميّة للربّ، وفـاء نذر أو طوعًا، مـن البقر أو الغنم، فليكن تامًّا ليكـون مرضيًّا، ولا يكن به عيب. الأعمـى والمكسـور والمبتور والمتقـرّح والأجـرب ومَن بـه القوباء لا تقرّبوهـا للـربّ، ولا تجعلـوا منها ذبيحة بالنار علـى المذبح للربّ. وأيّ ثـور أو شـاة مشوّه أو ضامـر، فلك أن تقرّبـه طوعًا، وأمّا وفـاء نذر فلا يكون مرضيًّـا. والخصيّ بالرضّ أو السحق أو القلـع أو القطع لا تقرّبوه للربّ، ولا تصنعوا شيئًا من ذلك في أرضكم. ومن يد ابـن الغريب لا تقرّبوا طعـام إلهكم مـن جميـع هـذه، لأنّ فسادهـا عيب فيهـا، فلا يرضى بها عنكـم". وفي **عد ٦: ١٤** أيضًـا: "فيقـرّب قربانه للربّ: حمـلاً حوليًّـا تامًّـا للمحرقـة، ونعجة حوليّـة تامّـة لذبيحة الخطيئـة، وكبشًا تامًّا للذبيحة السلاميّـة". وفي **عد ١٩: ٢**: "هـذه فريضة من فرائض الشريعة التي أمر الربّ بها قائلاً: مر بني إسرائيل أن يأتوك ببقرة صهباء تامّة لا عيب فيها ولم يرفع عليها نير"؛ وفي **حز ٤٥: ٢٣**: "وفـي سبعة أيّام العيد، يقرّب المحرقة للـربّ، سبعـة عجـول وسبعـة كباش صحيحة كلّ يوم من الأيّام السبعة...".

لقد راقـب ملاخي النبيُّ مـا يقوم به الكهنة عند تقريبهـم الذبائح للربّ، فإذا بهم ينتقون "الأعمى والأعرج والسقيم" لهذه الغاية، فرأى في ذلك "شرًّا". وعلى سبيل المقارنة وبهدف التوضيح، يطرح النبيُّ السؤالَ على هؤلاء الكهنة العاصين قائـلاً: "إن قرّبتمـوه لحاكمكم أفيرضى عنكم أو يرفع شأنكـم؟". ولأنّ الحاكم

(٦) رج ١ مل ٨: ١٥: "وقال: تبارك الربّ إله إسرائيل، الذي تكلّم بفمه مع داود أبي، وأتمّ بيده ما وعد به".

لن يرضى بالطبع بذبائح تعيسة كتلك، يضمّن ملاخي كلامه تهديدًا غير مباشر، فيعلن للكهنة عينهم: "هكذا قال الربّ القدير"، مستعملاً صفة الله القويّ الذي يلجأ إلى "قدرته"، كما سنرى أدناه، ليُنزل اللعنة على هؤلاء.

الكهنة متَّهمون باحتقار الربّ، وعلى الأرجح هذا يثير دَهَشَهم: ألا يحتفلون بشكل منتظم بالعبادة؟ النقد مُوَجَّه إلى قيمة الذبائح: يجري تقديم حيوانات مصابة بعاهات، لا يجرؤون على تقديمها إلى حاكم. كيف يمكن الربّ أن يشعر أنّه مكرّم؟ لذلك يتنكّر غالبًا بالطقوسيّة، لأنّه يعير أهمّيّة كبيرة لنقاوة الذبائح. هو يشدّد أيضًا على التوصيات المتعلّقة بالعشور والموجبات (٣: ٨ي). ففي حين كان الأنبياء السابقون للمنفى ينتقدون مواجهةً طقوس الذبائح، يحصر هذا النبيّ نقدَه بالتشويهات التي تُقْتَرَف ضدّ الشريعة. لكنّ همّه المركزيّ يبقى ذاتُه: المسألة تتعلّق بالكرامة الواجبة لله كأب (١: ٦). لقد أصبحت العبادة خداعًا (٣: ٨) يقع الخطأ على الكهنة الذين يقومون بهذه الاختلاسات مع إنقاذهم المظاهر.

آ ٩: **"فالآن استرضوا وجه الله ليرأف بنا، فإنّ هذا كان من يدكم، فكيف يرفع شأنكم؟، قال رب القوات".**

يلجأ ملاخي إلى أسلوب يعتمد فيه على السؤال والجواب؛ فهناك سؤالٌ يُطرَح على الشعب، يليه جوابُ هذا الأخير على السؤال؛ مثلاً: "قال الربّ: أحببتكم؛ فقلتم: بِمَ أحببتنا؟" (١: ٢). إنّنا أمام حوار دار بين النبيّ وبين الشعب، حينما راح يوجّه إليهم نبواءته داعيًا إيّاهم إلى التوبة.

جاء في ملا ٣: ١١: "وأمنع عنكم الآفة، فلا تُفسد ثمرَ أرضكم، ولا يكون لكم الكرم عَقيمًا في الحقل"؛ يمكن أن نرى هنا أنّ وباءً كان قد حلّ بالبلاد، حيث انقضّ الجراد على الحقول، فأكل كلَّ ما هو أخضر، فصرخ الكهنة إلى الربّ الذي لم يستجبهم بسبب شرّهم، كما يقول مز ٦٦: ١٨–١٩: "إن راعيتُ إثمًا في قلبي، لا يستمع لي الربّ..." (مز ٦٦: ١٩)، لأنّني لا أنظر إثمًا في قلبي. لهذا يُقدِّم لهم النبيّ النصح بأن يرجعوا إلى الله بالتوبة كي يستجيب صلواتهم وطلباتهم، عن أنفسهم كما عن الشعب.

"هذا كان من يدكم"، بمعنى أنّ الله يودّ أن يسمع لصلوات كهنته عن شعبه، لكن بسبب إثمهم لا يسمع لهم حتّى يرجعوا إليه.

آ ١٠: **"يقول: ليت فيكم من يغلق أبواب هيكلي حتّى لا توقدوا نار مذبحي عبثًا. لا مسرّة لي بكم، ولا أرضى تقدمة من أيديكم".**

نحن أمام تقاعس الكهنة عن القيام بواجبهم في الهيكل، حتّى ولو كان عملاً صغيرًا، مثل غلق أبواب الهيكل، إن لم يأخذوا أجرهم على ذلك. هم يقدّمون الذبائح لأنّهم كانوا يحصلون على نصيب من ذلك، وليس بدافع إكرام الله، فإذا بهم يصبّون اهتمامهم على المكاسب المادّيّة ليس إلاّ. لذلك، لم يعد للربّ مسرّة بهم، ولا يقبل تقدمة من أيديهم، لأنّه يسرّ ليس بالتقدمة بل بنقاوة قلب مقدِّمها؛ فهو نظر إلى هابيل وتقدمته وقبل قربانه (رج تك٤: ٤)، ولم يرتضِ بما قدّمه قايين لأنّ زِيفًا كان في قلبه.

نقرأ في هذا السياق ما كتبه أشعيا النبيّ في القرن الثامن ق. م.، واصفًا وضعًا مماثلاً لما كان يحصل في أيّام ملاخي: "يقول الربّ: ما فائدتي من كثرة ذبائحكم؟ شبعتُ من محرقات الكباش وشحم المسمّنات. دم العجول والكباش والتيوس ما عاد يرضيني. حين تجيئون لتعبدوني، مَن يطلب ذلك منكم؟ لا تدوسوا بيتي بعد اليوم، وبتقدماتكم الباطلة لا تجيئوا إليّ، فرائحة ذبائحكم مَعيبةٌ عندي. شعائر رأس الشهر والسبت، والدعوة إلى الصلاة لا أطيقها، ولا أطيق مواسمكم واحتفالاتكم. رؤوسُ شهوركم وأعيادُكم كرهتها نفسي. صارت ثقلاً عليّ وسئمت احتمالاتها" (أش ١: ١١–١٤).

آ ١١: **"فمن مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم في الأمم، وفي كلّ مكان يحرق لاسمي البخور، وتُقرَّب تقدمة طاهرة، لأنّ اسمي عظيم في الأمم، أنا الربّ القدير".**

أن يكون اسمُ الربِّ معروفًا ومكرَّمًا ومرهوبًا خارج إسرائيل ليس فكرةً غريبةً

عن الأنبياء، وهي مُفتَرَضة في بعض النصوص الروائيّة[٧]، كما نقرأ في يش ٥: ١: "ولمّا سمع جميع ملوك الأموريّين الذين في عبر الأردن، جهة الغرب، وجميع ملوك الكنعانيّين الذين على البحر، بأنّ الربّ جفّف مياه الأردن قدّام بني إسرائيل حتّى عبروا، ذابت قلوبهم، ولم يبق فيهم روح أمام بني إسرائيل". ونجد الفكرة عينها أيضًا في بعض المزامير، مثل ٧٦: ١١–١٣؛ ٨٣: ١٩؛ ٨٦: ٩ي؛ ٩٦: ٧–١٠؛ ٩٩: ١، وهي تتكرّر في الأسكاتولوجيّات النبويّة. بدلاً من ذلك، يدعو إلى العجب جدًّا أن يُسمَع أنّه "في كلّ مكان" تُقَرَّب "ذبائح طاهرة" إلى الربّ، وأنّه يقبلها. قد يبدو هذا وكأنّه النقيض الأقصى لشريعة مركزيّة العبادة التي يشدّد عليها تث ١٢. يُقال شيء مماثل فقط عن مصر في أش ١٩: ١٩: "في ذلك اليوم، يكون مذبح للربّ في داخل أرض مصر، ونصب بجانب حدودها للربّ". لم يكن يهود الشتات يقرّبون ذبائح مشروعة في أماكن إقامتهم؛ في السامرة وفي إِلِفَنْتِينَ (مصر) كانت هناك ممارسات على ما يبدو انفصاليّة.

تقلّل الآية التي نحن بصددها من أهمّيّة قيمة هيكل أورشليم ومذبحه، وتدعنا نفهم أنّ ذبائح وثنيّة عديدة هي مقبولة من الله. إنّ هذه النزعة الشموليّة هي مثيرة للدهشة في سفر ملاخي الذي يهتمّ إلى هذا الحدّ بطهارة العبادة، ممّا دفع بالبعض إلى اعتبار هذه الآية إضافة.

لكي يُفحم النبيُّ ضمير الكهنة، يشبّه عبادتهم بالعبادة التي تقوم بها الأمم الوثنيّة. هل يلمّح بكلامه إلى العبادة التي يقوم بها اليهود المشتَّتون بين الأمم؟ هذا غير مُرَجَّح، لأنّه، في ذاك العصر، لم يكن ممكنًا أن تجري العبادة الأصيلة إلاّ في أورشليم؛ ولا التأكيد أيضًا أنّ لكلّ العبادات القيمة ذاتها؛ سيذكّر ملاخي أنّ الله قد أقام عهدًا خاصًّا مع كهنوت لاوي (٢: ٤). هذا بالأحرى التأكيد أنّ الونيّين هم جدّيّون أكثر في عبادتهم من كهنة أورشليم؛ في هذا، تقادمهم هي إكرام يؤدَّى لله في العالم كلّه. بالنسبة إلى الكهنة، يتّهمهم ملاخي بأنّهم لا يحترمون مذبح الذبائح، مع كونه "مائدة الربّ". هم يخدعون الربّ، لكنّه لا ينخدع؛ ففي حين أنّ العالم كلّه يحترم اسمه، فإنّ كرامته مهانة في أورشليم.

آ ١٢ أمّا أنتم فدنّستموه بقولكم: مائدة الربّ منجّسة، وثمرتها طعام منبوذ".

لقد احتقر الكهنة العائدَ المادّيَّ من خدمتهم، وقارنوا أنفسَهم بالأغنياء من حيث المأكل والأطايب؛ لذلك احتقروا الطقوس، مدّعين أنّ العائد منها لا يساوي تعبهم، متّهمين المؤمنين بأنّهم يقصّرون في واجب تقديم الأفضل للربّ، ويقدّمون المنبوذ، منجّسين بذلك مائدة الربّ. في الواقع، لم يقدّر الكهنة ما لخدمة الربّ من صدق وأمانة وتجرُّد وكرامة، لذلك جاءت تصريحاتُهم ادّعاءاتٍ كاذبة ليغطّوا بها مراءاتهم.

آ ١٣: وقال الربّ القدير: "تقولون: تعبنا من هذا كلّه، وتتأفّفون عليّ. تجيئون بالمغتصب والأعرج والسقيم وتقرّبونه تقدمة لي؛ أفأرضى بهذا من أيديكم، أنا الربّ؟

يعبّر الكهنة عن أنّهم باتوا في حالة سأم وضجر، لا بل في استياء من قيامهم بواجبهم، واضعين ذاتهم في مصافّ الموظّفين الذين ينالون أجرهم المادّيّ، ومتناسين أنّهم أُفرِزوا ليكونوا خدّام الله، وأنّ ذلك كرامة خصّهم بها؛ من الطبيعيّ بالتالي أن يعتبروا ذواتهم في تعب ومشقّة، وأن يتأفّفوا على الربّ ويتذمّروا عليه، وفي هذا إهانة بالتأكيد له. والنتيجة هي أنّهم أضحوا أشخاصًا غير مرغوب فيهم، وصارت خدمتهم شجبًا ودينونةً لهم.

(٧) لنقرأ في هذا السياق ما جاء في يش ٢: ٩–١٢: "وأمّا هما، فقبل أن يضّجعَا، صعدت إليهما إلى السطح، وقالت لهما: قد علمت أنّ الربّ أعطاكم هذه الأرض، وقد حلّ بنا رعبكم، وجميع سكّان هذه الأرض قد انحلّوا أمامكم، لأنّنا قد سمعنا كيف جفّف الربّ مياه بحر القصب قدّامكم، عند خروجكم من مصر، وما صنعتم بملكي الأموريّين اللذين في عبر الأردن، سيحون وعوج، اللذين حرمتموهما. سمعنا فذابت قلوبنا، ولم يبق في أحد روح أمامكم، لأنّ الربّ إلهكم هو إله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل...".

آ ١٤: ملعون كلّ ماكر ينذر ذكرًا سليمًا في قطيعه للربّ، ويذبح له ما يكون فيه عيب، فأنا الربّ القدير ملك عظيم، واسمي مهيب بين الأمم".

"اسم الربّ يُكْرَم بين الأمم
וּשְׁמִי נוֹרָא בַגּוֹיִם (آ ١٤ب)

المفروض أن يقرِّب المؤمنُ عادةً أفضلَ ما عنده لله، فكم بالأحرى عندما يلتزم بنذرٍ يتضمّن تقديمَ ذَكَرٍ سليم من قطيعه للربّ؟ إنّ ما يحصل في الممارسة هو في الواقع المكر بالربّ، إذ لا يتمّ إيفاء النذر حسب الوعد الذي يتضمّنه النذر، فيُقَرَّب ما فيه عيب، وكأنّ خداعَ الربّ لن يُكشَف، ويمرّ بالتالي دون حساب، لأنّ هذا الماكر ينسى أنّ الربّ هو فاحص الكلى والقلوب، ولا يخفاه شيء. في الحقيقة، يُنزل الله اللعنةَ على الماكر الذي يكذب عليه، أي الذي يظنّ أنه يستطيع أن يخدعه كما يخدع أيّ إنسان، وهكذا تستقرّ اللعنة عليه عوضًا عن البركة.

ويأتي الإعلان الإلهيّ الحازم: "أنا الربّ القدير ملك عظيم، واسمي مهيب بين الأمم (וּשְׁמִי נוֹרָא בַגּוֹיִם)"، وكأنّه يتضمّن التحذير والتهديد؛ في الحقيقة، لقد عرّفَ الله إسرائيلَ اسمَه، وبيّن له، عبر مخلوقاته وصنائعه ومعجزاته ومبادراته في التاريخ، أنّه كلّيّ القدرة، فكيف لا يدرك بنو إسرائيل ولا كهنتهم ذلك؟! ونشير إلى أنّه، إذا كان اللقب الإلهيّ "مَلِكٌ" شائعًا (رج، مثلاً، أش ٣٣: ٢٢؛ صف ٣: ١٥؛ مز ٢٤: ٧)، فإنّ اللقب "مَلِكٌ عظيم" هو ليس كذلك.

لدينا في آ ١٤ب صيغةُ "كَشْف عن الذات"، تبيّن في آنٍ معًا سموَّ الله، وسيادتَه الشاملة، ومبادرتَه المطلقة في إبلاغ سرّه: "لأنّي أنا ملكٌ عظيم" כִּי מֶלֶךְ גָּדוֹל אָנִי. قد يكون هذا التعبير متجذّرًا في تنصيب الملك الأشوريّ: "الملك الكبير، ملك أشور" הַמֶּלֶךְ הַגָּדוֹל מֶלֶךְ אַשּׁוּר؛ ٢ مل ١٨: ١٩)؛ وفي أيّام ملاخي، كان يُطلَق على الله، في إطار إسكاتولوجيّ، كما في مز ٤٧: ٣: "لأنّ الربّ عليٌّ رهيب، ملكٌ عظيم (מֶלֶךְ גָּדוֹל) على كلّ الأرض"؛ "لأنّ الربّ إلهٌ عظيمٌ وملكٌ عظيمٌ (מֶלֶךְ גָּדוֹל) على جميع الآلهة" (٩٥: ٣)؛ ويلتقي هكذا مع هتاف النصر: "الربّ مَلَكَ" (יְהוָה מָלָךְ)، كما في مز ٩٣: ١؛ "اللّه ملك الأرض كلّها" (כִּי מֶלֶךְ כָּל־הָאָרֶץ אֱלֹהִים)، كما في مز ٤٧: ٨؛ "الربّ يملك (יְהוָה מָלָךְ) فلتبتهج الأرض"، كما في مز ٩٧: ١؛ "نادوا في الأمم، يملك الربّ (יְהוָה מָלָךְ)"، كما في مز ٩٦: ١٠؛ أو أيضًا: "تعالوا نرنّم للربّ، ونهتف للخالق مخلّصنا" (٩٥: ١)؛ الخ. وإذا كان هذا التعبير يشير إلى سيادة حاليّة على إسرائيل وعلى العالم (كما في ملا ١: ٥: "الربّ عظيم ما وراء تخوم إسرائيل")، فإنّه يهدف في الوقت عينه إلى حقيقة ديناميكيّة تسير باتّجاه التتميم الإسكاتولوجيّ.

وكون مُلْك الله هذا مسيحانيًّا، فهو إذًا كونيّ. تَعتبر مزاميرُ الملْك أنّه على إسرائيل واجب أن يحمل رسالة هذا الملْك إلى الأمم، كما في مز ٩٦: ١٠: "نادوا في الأمم: الربّ يملك (יְהוָה מָלָךְ)" (رج أيضًا مز ٤٧: ٨–٩؛ أش ٦٦: ١٩). أكثر من ذلك، لدى دعوة شعب إسرائيل إلى العبادة، وخاصّة كهنته، الذين يطلقون الدعوة (مز ٤٧؛ ٩٦؛ ٦٧: ٤–٦؛ ٩٧: ١؛ ٩٨: ٤)، يجب أن "ينضمّ الوثنيّون إلى شعب إله إبراهيم" (مز ٤٧: ١٠)، ليشاركوا الخلائق في التسبيح الكونيّ (مز ١٠٢: ٢٣)، ويصفّقوا لإله كلّ الأرض، كما في مز ٤٧: ٣: "الربّ العليّ مرهوب، ملك عظيم في كلّ الأرض" (رج ٦٦: ٢–٣؛ ٩٦: ٤). هذا هو مدح "اسمه العظيم والمرهوب": "الربّ عظيم في صهيون، متعال على جميع الشعوب" (مز ٩٩: ٢؛ رج مز ٩٦: ٢، ٤، ٨؛ ٩٩: ٣؛ ١١١: ٩؛ خر ١٥: ٩). هكذا، في آخر الأزمنة، "ستخاف الأمم اسم الربّ، وملوك الأرض مجده" (مز ١٠٢: ١٦؛ رج مز ٩٨: ٢–٣؛ ٢٢: ٢٨–٣٠).

وكصدى لكلّ هذه الأناشيد، يُسمِعُ ملاخي صرخةَ الله، صرخةَ الانتصار، التالية: "اسمي مرهوب بين الأمم (וּשְׁמִי נוֹרָא בַגּוֹיִם)" (ملا ١: ١٤ب). تستعيد هذه الآية، وعن قصد، بعضَ مفردات ملا ١: ١١: "من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم (גָּדוֹל שְׁמִי בַּגּוֹיִם)، وفي كلّ مكان يُحرَق لاسمي البخور (מְקֻטָּר מֻגָּשׁ לִשְׁמִי)، وتُقرَّب تقدمة طاهرة، لأنّ اسمي عظيم في الأمم

(כִּי־גָדוֹל שְׁמִי בַּגּוֹיִם)[٨]. في هذا النصّ اللغز، من المحتمل أن يكون النبيّ قد التقط من الطقوس الفارسيّة عبارة "إله السماء"، تمهيدًا لاهتداء الأمم الإسكاتولوجيّ؛ نحن أمام ليتورجيّا عظيمة لاسم الربّ لدى شعوب الأرض كلّها، كما نقرأ في زك ١٤: ٩: "ويكون الربّ مَلِكًا على الأرض كلّها (וְהָיָה יְהוָה לְמֶלֶךְ עַל־כָּל־הָאָרֶץ)، فيكون ربّ واحد، واسمه واحد (וּשְׁמוֹ אֶחָד)".

عند هذه المرحلة من الوحي، يكدِّسُ اسمُ الربّ في ذاته كلَّ قدرة الكائن الإلهيّ وديناميّته. "استنادًا إلى المفهوم القديم، لم يكن الاسم مجرَّدَ صوت، بعضًا من دخان، بل كانت بينه وبين حامله علاقة جوهريّة متينة. حاملُ الاسم موجودٌ في اسمه بالذات، وبالتالي يتضمّن الاسمُ تأكيدًا على جوهر حامله، أو شيئًا من قدرته"[٩]. يَرِد التعبير مرّات عدّة[١٠] في **حوار ملا ١: ٦-٢: ٩**، وهذه علامة على أنّ خدمة الكهنة الطقسيّة تنتظم حوله[١١] (إعطاء البركة؛ رج ٢: ٢). في سفر تثنية الاشتراع يبدو الاسم كصنو الجوهرِ الإلهيّ، ضامنًا بتمييزه بالذات السموَّ في قلب حضور الله الملازم والخلاصيّ لشعبه: الله يقيم في السماء، واسمه يسكن في الهيكل؛ مع خراب هذا الأخير، زال هذا التمييز اللاهوتيّ، ولكنّ الاسم الإلهيّ احتفظ بارتباط متين بالعبادة، وإليه، هو الذي أضحى البديلَ والمعادلَ لشخص الله بالذات، يتوجّه التسبيح، والشكران، والإكرام، والمحبّة... إنّه هو الذي يواصل الحضور الإلهيّ.

هكذا، **يعني إكرام الربّ "مخافة اسمه"**. لقد أصبحت الصيغة سارية الاستعمال بعد المنفى، وتتضمّن بدون شكّ صدًى ليتورجيًّا (رج ٢: ٥). يمكننا أن نقارن هذا الأمر مع مز ١٠٢: ١٦: "تخاف الأممُ اسمَ الربّ"؛ ومز ١٠٢: ٢٣: "تؤدّي الشعوب والممالك عبادةً لله" (رج أيضًا ٢ مل ١٧: ٢٤-٤١). يصلح هذا خاصّة بالنسبة إلى ملاخي الذي نعرف اهتماماته الطقسيّة، والذي يريد أن يُبرز جسامة التقهقر الكهنوتيّ، واضعًا مقابلَ وضع الليتورجيّا الأورشليميّة الحزين في زمانه (١: ٦-١٠، ١٢-١٣) نقاوةَ العبادة التي تؤدّيها الأمم: "**اسمي عظيم في الأمم**" (١: ١١). مع ذلك، قد يكون من الخطأ والظلم حَصْرُ ملاخي في طقوسيّة شكليّة؛ على العكس، هو ينـدّد، وباسم إيمانٍ حيٍّ وشخصيّ، بعدم الانتظام الطقسيّ. إنّ نظرته إلى الله هي نظرة سامية وكاملة جدًّا، حتّى يتمكّن من أن يحتمل إهمال المتطلّبات الإلهيّة: "إذا قرّبتم الأعمى أو الأعرج أو السقيم ذبيحة لي، أفلا يكون ذلك شرًّا؟ إن قرّبتموه لحاكمكم أفيرضى عنكم أو يرفع شأنكم؟ هكذا قال الربّ القدير" (١: ٨). لذا ينبغي هنا أن نماهي بين مخافة الاسم الإلهيّ وبين الديانة.

ونودّ أن نشير إلى أنّ عبارة "ربّ الجنود يقولُ" (אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת) تَرِدُ ٢٠ مرة في نبوءة ملاخي (١: ٤، ٦، ٨، ٩، ١١، ١٣، ١٤؛ ٢: ٢، ٨، ١٦؛ ٣: ١، ١٢، ١٧، ١٩)، لأنّ الله هو الذي يتحدّث في هذا الكتاب، لذلك يختفي المتحدّثُ باسمه. ووفقًا لسفر التكوين ٢: ١، تتوافق عبارة "السماوات وجيشها" مع مجموع الخلق والمخلوقات السماويّة. ليس "ربُّ الجنود" إذًا إلهَ الحرب، بل الخالق سيّد الجميع؛ إنّه السلطة العليا، ويجب أن يؤخَذ هذا الأمر على محمل الجدّ.

(٨) M. REHM, "Das Opfer der Völker nach Mal 1,11", in H. GROß and F. MUßNER (eds.), Lex tua veritas (*Festschrift* H. Junker, Trier, Paulinus, 1961) 193-208; J. SWETNAM, "Malachi 1,11: An Interpretation", *CBQ* 31 (1969) 200-9, J.G. BALDWIN, "Malachi 1:11 and the Worship of the Nations in the Old Testament", *TynB* 23 (1972) 117-24; R.L. SMITH, *Micah-Malachi* (WBC 32; Word Books: Waco, 1984) 312-6;

(٩) G. von RAD, Théologie de l'AT, I, 1957, p. 161.

(١٠) "فأين مهابتي، أيّها الكهنة، الذين **تحتقرون اسمي**؟" (ملا ١: ٦)؛ فمن مشرق الشمس إلى مغربها **اسمي عظيم** في الأمم، وفي كلّ مكان **يحرق لاسمي البخور** وتقرّب تقدمة طاهرة، لأنّ **اسمي عظيم في الأمم**، أنا الربّ القدير" (١: ١١)؛ "أنا الربّ القدير ملك عظيم، **واسمي مهيب بين الأمم**" (١: ١٤)؛ "إن كنتم لا تسمعون ولا تبالون أن **تعطوا مجدًا لاسمي**..." (٢: ٢)؛ "**فخافني وهاب اسمي**" (٢: ٥).

(١١) Cf. E.M. MEYERS, "Priestly Language in the Book of Malachi", *HAR* 10 (1987) 225-37.

إنّ ملاخي مطبوع في العمق، حتّى في أسلوبه، بسِفر تثنية الاشتراع؛ فـ"مخافة الله" في هذا السِفر هي تعبير من التعابير العديدة للوصيّة الأساسيّة، وصيّة خدمة الله، وطاعة وصاياه، أي محبّة الله بالذات. هي وصيّة أساسيّة، ليس فقط بمعنى أنّها الأولى من حيث التدرّج في الأهمّيّة، بل أيضًا بمعنى أنّها وصيّة مبدأ، تعطي معنى لباقي الأوامر، ولهذه الأخيرة مضمونها ومعناها الحقيقيَّين [١٢]. في ما يتعلّق بالقرابة بين ملاخي وتثنية الاشتراع، نشير خاصّةً إلى ما ورد في هذا الأخير: "وإن لم تحفظوا جميع كلمات هذه الشريعة المكتوبة في هذا السفر لتعملوا بها، وتخافوا اسم إلهكم المجيد الرهيب، يرسل الربّ عليكم وعلى نسلكم ضربات عظيمة ومذهلة..." (تث ٢٨: ٥٨–٥٩أ).

تحدّد مخافةُ اسم الربّ في ملاخي، كما مخافةُ الله في تثنية الاشتراع، الموقفَ الدينيَّ الإجماليَّ، معبِّرةً في آن معًا عن ارتعاش كلِّ الكيان أمام تجلّي القداسة، والاحترام أمام السموّ، ووعي الصغر أمام العظمة، وأخيرًا الالتزام التامّ تجاه الإرادة الإلهيّة المتجلّية. يجد هذا الموقف بالتأكيد تعبيرَه الأسمى في مختلف مظاهر العبادة، ولكن أبعد من ذلك، هو يختصر بكلمة واحدة "الديانة المثاليّة" التي تعيشها الأمم (جُويِيْمْ) في الأزمنة الإسكاتولوجيّة. هو يبيّن بوضوح أنّه عند ذلك تُدمَج الأمم حقيقةً في شعب العهد.

(ب) ٢: ١–٩

تطال النبوءة السابقة (١: ٦–١٤)، من خلال الكهنة، يهودًا كثيرين كانوا يحملون تقادمهم إلى الربّ. تواصل هذه النبوءة الجديدة (٢: ١–٩) مخاطبة الكهنة، مستعرضةً وظيفتَهم، أي **المباركة والتعليم**. وكما كان سلوكهم قبلاً يوضَع مقابل سلوك الأمم، كذلك الآن يوضع سلوكهم مقابل أسلافهم العِظام. يُدعى الكلام النبويّ الجديد "وصيّة" (מִצְוָה): "والآن إليكم من الربّ هذه الوصية، أيها الكهنة" (٢: ١).

بعد التنديد، تأتي تهديدات الشَجْب: ستتبدّل البركة التي ينبغي أن تنشّط العبادة إلى لعنة. سيُضرَب الكهنة في ما يشكّل هويّتهم، أي في نسلهم، لتأمين تواصل خدمتهم، ووجودهم بعيدًا عن النجاسات. سيُرمَون خارج الهيكل مع نفايات الحيوانات المقدّمة ذبائح (رج خر ٢٩: ١٤).

مع هذا لا يسحب الربّ الالتزام الذي التزمه تجاه لاوي عندما أوكل إليه الكهنوت. على العكس، هو يريد أن يردّ إلى هذا "العهد" فاعليّته التي هي ينبوع حياة وسعادة. فإنّ لاوي كان يقوم بمهمّته ضمن احترام تامّ للربّ. في هذا الوصف للكاهن الكامل، نلاحظ أنّ لا شيء يقال على الذبائح؛ الدور الأوّل للكاهن لا يقوم على تقديم الذبائح، بل على أن يعلّم الشعب ويقوده في "المعرفة". الكاهن هو قبل كلّ شيء معلّم إيمان يُبلِغ الشعب إرادة الربّ (رج تث ٣٣: ٩ب–١٠). هذا "العهد" بالذات الذي نقضه الكهنة من خلال اقتيادهم الشعب خارج طريق الشريعة [١٣].

آ ١: "والآن إليكم من الربّ هذه الوصية، أيها الكهنة".

"الوصيّة" (מִצְוָה) هي "من الربّ"، ولا يمكن أن يكون حفظها استنسابيًّا، بل واجب لا تقاعس فيه. لقد شدّد الأنبياء على حفظ الوصيّة، أي على العيش بسلوك إيمانيّ وخُلُقيّ يتوافق مع مشيئته القدّوسة، ومن بينهم: هو ٤: ١–٣؛ ٦: ٤–٧؛ إر ٢: ٨؛ الخ. هذا ما سيشدّد عليه يوحنّا في رسالته الأولى بقوله: "إذا عملنا بوصاياه كنّا على يقين أنّنا نعرفه؛ ومَن قال إنّني أعرفه وما عمل بوصاياه كان كاذبًا لا حقَّ فيه" (١ يو ٢: ١–٤). لا يوصي الله إلاّ بما هو خير للإنسان، فلماذا مخالفة وصيّته؟ الخاسر لن يكون الله بل الإنسان المخالف.

نتبيّن في كلام ملاخي وجود إساءتين إلى الوصيّة، وبالتالي إلى

(١٢) J. L'HOUR, *La morale de l'alliance*, Cahiers de la Revue Biblique, n. 5, Paris 1966, p. 55.

(١٣) بولس الغفالي، "إليكم هذه الوصيّة أيّها الكهنة. ملا ٢: ١–١٠"، **وكانت إليّ كلمة الربّ - II - الأنبياء الإثنا عشر**، سلسلة القراءة الربّيّة ٢٤، لبنان ٢٠٠٥، ص١٧٧–١٩٢.

الله: سوء الخدمة الكهنوتيّة وتدنيسها بالمكر والخداع، من جهة، وعدم الثبات على العهد في الزواج عبر الطلاق والاقتران بنساء وثنيّات، من جهة أخرى. بالتأكيد لن تمرّ مخالفة الوصيّة دون عقاب.

آ ٢: "إن كنتم لا تسمعون ولا تبالون أن تعطوا مجدًا لاسمي، أنا الربّ القدير، أرسل عليكم اللعنة، وأجعل بركتكم لعنة، بل إنّي لعنتها لأنّكم لم تبالوا بوصيّتي".

يشكّل "السماع" ليس فقط التقاطَ أصوات وحسب، بل فعل طاعة وخضوع للربّ [١٤]؛ الفعل هنا هو في صيغة الشرط: "إن كنتم لا تسمعون" (אִם־לֹא תִשְׁמְעוּ)، ممّا يعني أنّ عدم السماع، والتقاعس عن التوبة، سيتبعهما عقابٌ يبلغ الحدَّ الأقصى، أي "اللعنة" (הַמְאֵרָה)؛ أكثر من ذلك، تتحوّل "البركةُ لعنةً" (וְאָרוֹתִי אֶת־בִּרְכוֹתֵיכֶם)؛ في الواقع، لقد أنزل الربُّ اللعنةَ (אֲרוֹתִיהָ)، لأنّ الكهنة كانوا "غير مبالين" (אֵינְכֶם שָׂמִים עַל־לֵב) بوصيّته؛ فهم لم يسلكوا كما ينبغي "ليعطوا مجدًا لاسمه" (לָתֵת כָּבוֹד לִשְׁמִי)، لا بل فعلوا على عكس ذلك، واستهانوا بوصيّته؛ فلو سمعوا صوت الربّ، وأصغوا إلى توبيخه، وخجلوا من خطاياهم، واستجابوا لندائه، وتابوا عن طريقهه الشرّير، لكانوا بذات الفعل أدّوا مجدًا لله ولاسمه القدّوس. إنّ اللعنة هي النتيجة الحتميّة لهذه المعاصي؛ فعوضًا عن أن يكون الكهنة بركةً يُضحُون لعنة، وبالتالي باطلة هي خدمتهم، وباطل تكريسهم لخدمة الله والمؤمنين.

استنادًا إلى عد ٦: ٢٢–٢٧، المباركة هي عمل اللاويّ؛ واستنادًا إلى ملاخي، يبقى الكهنة غير قادرين على المباركة، لأنّ الربّ يقلب بركاتهم لعنةً. جاء في عد ٢٣: ٢٧: "أنا أباركم"؛ أمّا ملاخي فيقول: "أنا ألعنهم"، وهذا على خلاف ما حصل مع بلعام (عد ٢٣: ١١ي، ٢٥ي؛ ٢٤: ١٠–١٣)، وعلى نقيض ما ورد في تث ٢٣: ٦: لقد "بدّل الربُّ إلهُك اللعنةَ إلى بركة". بالنتيجة، وكما يقول ملاخي، لن يلجأ الشعب من بَعْدُ إلى الكهنة، بل سيدير ظهره لهم ويحتقرهم. سيُلْعَن الكهنةُ إذا لم يلتفتوا إلى تحذير الربّ (آ ٢؛ رج تث ٢٧: ١٤–٢٨: ٦٨).

آ ٣: ها أنا أمنع عنكم الزرع، وأرمي وجوهكم بالزبل، زبل ذبائح أعيادكم، وأبعدكم عني".

قد نكون أمام تنفيذ للعنات التي جرى الكلام عليها في الآية السابقة، أو أقلّه إبلغ بما سيحصل لهذه الغاية. هناك تفسيران للجملة العبريّة הִנְנִי גֹעֵר לָכֶם אֶת־הַזֶּרַע، "ها أنا أمنع عنكم الزرع": إمّا لن يكون لكم نسل، وإمّا يُصاب الزرع بالأمراض، أو تشحّ المياه، فتندر المحاصيل الزراعيّة، وتقلّ العشور ومعها نصيب الكهنة.

وهناك لعنة أخرى: يرفض الله تقدمات الكهنة وخدمتهم؛ فكما احتقروا الربّ، سيحتقرهم هو ويبغضهم، وهذا نستنتجه من قوله: "وأرمي وجوهكم بالزبل" (וְזֵרִיתִי פֶּרֶשׁ עַל־פְּנֵיכֶם)، الذي هو الروث الذي في أحشاء الذبيحة، الأمر الذي كان يُعتَبَر نجاسة، ومصيره بالتالي المزبلة. الزبل المذكور هنا هو ما يبقى من الذبائح، والذي يُحرَق في الخارج (خر ٢٩: ١٤). فإذا كانت الاستعدادات على هذا المستوى، فالذبيحة تصبح نجسة كالزبل المتبقّي من الحيوان.

وبدلاً من أن يفرح الله بالذبائح التي كانوا يقدّمها الكهنة في الأعياد، فإنّه سيحتقرهم بسببها، لا بل بسبب معاصيهم، إلى حدّ أنّه سيلقي "زبل أعيادهم (פֶּרֶשׁ חַגֵּיכֶם) في وجوههم"، وكأنّي بهم يلقون مصير الزبل بالذات.

تُفَسَّر كلمة הַזֶּרַע بأنّها "الكتف"، أي أنّها، حرفيًّا، الجزء المنتقى من الذبائح الحيوانيّة ليُعطَى للكهنة (رج تث ١٨: ٣). ترى بعض الترجمات أنّ الكلمة تعني "النسل" ("الذرّيّة") [١٥]،

(١٤) رج تث ٦: ٤ي: "إسمع يا إسرائيل"؛ أم ١: ٨: "يا بُنيّ، إسمع تعليم أبيك..."؛ الخ.

(١٥) *Revised Standard Version* (RSV).

وليس "الكتف"، ممّا يعني بالتالي أنّ النسل الكهنوتيّ بمجمله سيصبح بلا خلفاء؛ وترى أخرى أنّها تعني "ذراع"(١٦)، موحيةً بذلك أنّ الكهنة سيكونون عاجزين عن القيام بخدمة المذبح لا بل ممنوعين من ذلك.

يبدو أنّ التعبير זֶרַע هو مأخوذ من الممارسة الليتورجيّة. يرد ذكر "ذراع" الحيوان الذي يُقَدَّم ذبيحة أو فخذه، في عد ٦: ١٩، وفي تث ١٨: ٣، والإمعاء مع البراز، في لا ٤: ١١؛ ٨: ١٧؛ ١٦: ٢٧؛ عد ١٩: ٥. شكّل المَسُّوريّون كلمة זֶרַע لتعني "الزرع" أو الذرّيّة.

قد يكون مَرَدّ عبارة "زبل" (أو وَسَخ) أعيادكم" إلى يد متأخّرة. يقول عا ٥: ٢١ ببساطة: "أبغض أعيادَكم"؛ ويستعمل أش ١: ١٠ي تعابير قوّيّة، لكنّها ليست كتعبير ملاخي.

هناك تفسير آخَر يدور حول ذراع الكهنة التي يقتلعها الربّ. الترجمة العاديّة: "أمنع عنكم الزرع"؛ هذا إذا قرأنا الفعل العبريّ גער (ج ع ر)؛ ولكن إن قرأنا גדע (ج ع د) مع اليونانيّ، يعني النصّ "أجدعُ (أقطعُ) لكم الذراع"؛ فالكاهن الذي تُقطع يده يُمنَع من ممارسة الكهنوت. لدينا في أي ٣١: ٢٢ صورة مشابهة هي التالية:

"فلتسقط كتفي من كاهلي، ولتنكسر من مفصلها ذراعي (וְאֶזְרֹעִי)".

إنّ آخرَ الآية غير مفهوم: וְנָשָׂא אֶתְכֶם אֵלָיו، "يأخذكم إليه"؛ إلاّ إذا أخذنا אֶל، كأداة إزالة، فيصبح المعنى: "يُبعِدكم عن ذاته".

آ ٤: فتعلمون أنّي أرسلت إليكم هذه الوصيّة ليكون عهدي مع لاوي.

في حين أنّ العهد مع لاوي (آ ٤) غير مذكور في العهد القديم، فإنّه مفترض ضمنًا في نصوص أخرى، مثلاً، إر ٣٣: ٢٠–٢١: "هكذا قال الربّ: إن أمكن أن تنقضوا **عهدي** مع النهار وعهدي مع الليل، حتّى لا يكون الليل ولا النهار في أوانهما، أمكن أيضًا أن ينقض عهدي مع داود عبدي، حتّى لا يكون له ابن مالك على عرشه، **ومع اللاويّين الكهنة خدّامي**". ونقرأ في عد ٢٥: ١١–١٣ أيضًا: "إنّ فنحاس ابن ألعازار بن هارون الكاهن قد صرف سخطي عن بني إسرائيل بغيرة كغيرتي في ما بينهم، حتّى لا أفني بني إسرائيل بغيرتي؛ فلذلك قل: هاءنذا **معطيه عهد سلامي**، فيكون له ولنسله من بعده **عهد كهنوت أبديّ** جزاء غيرته لإلهه وتكفيره عن بني إسرائيل".

يقدّم الله علامةً إلى الكهنة بأنّ الوصيّة هي موجّهة إليهم. إنّه "**العهد مع لاوي**" (آ ٤)، حيث تُقَدَّم "الحياة والسلام" (آ ٥). استجاب لاوي من خلال خوفه لله، ومن خلال وقفة رهبة أمام اسم الله. إنّ مخافة الاسم في ملاخي، شأنها شأن مخافة الربّ في التثنية، تحدّد الموقفَ الدينيّ الإجماليّ الذي يعبّر عن تحرّك الإنسان بكلّيّته أمام وحي القداسة، والاحترام أمام التسامي، ووعي حقارتنا أمام عظمة الله، والالتزام التامّ تجاه مشيئة الله

"فتعلمون أنّي أرسلت إليكم هذه الوصيّة (הַמִּצְוָה)"؛ ولكن كيف يعلمون ذلك؟ أبقوّة الروح العامل في الكلمة، أم بقوّة الكلمة القادرة على تغييرهم إن أطاعوا وخضعوا، أم أيضًا بإنزال اللعنات عليهم في حالة رفضهم الاستجابة لنداء الله، وإظهار قدرته الفاعلة والحاسمة؟ هو ما زال يرسل إليهم وصيّته(שִׁלַּחְתִּי אֲלֵיכֶם הַמִּצְוָה)، لأنّه تعهّد بأن يكون عهده مع لاوي (בְּרִיתִי אֶת־לֵוִי) أبيهم، بالتالي "هم أحبّاء من أجل الآباء"، كما سيكتب بولس في رو ١١: ٢٨. يمكن العودة إلى الوعد لفنحاس: "أهبه عهدَ سلام: يكون الكهنوت له ولنسله كميثاق أبديّ، مقابل غيرته لله، ولأنّه كفّر لبني إسرائيل" (عد ٢٥: ١٢ي).

آ ٥: "كان عهدي معه للحياة والسلام، فأعطيتهما له ليخافني، فخافني وهاب اسمي".

تبيّن من خلال هذه الآية موقف لاوي المنصاع لإرادة الله، والسالك في مخافته، والذي يهاب اسمه القدّوس. لقد جاد الله على لاوي

(١٦) "Arm" , *in New England Bible (NEB).*

بالحيـاة والسلام من خلال العهد الذي بتّه معه، ففهـم أبعاد هذه العطيّة، وسار في الصدق والأمانة.

آ ٦: "**شريعـة الحـق كانـت فـي فمـه، ولا جـور فـي شفتيـه. سـار معـي بالسلام والاستقامة، وردّ كثيرًا من الناس عن الإثم**".

يُصـاغ جـزءَا العهـد، أي مـا يَعِدُ بـه الله، مـن جهة، وما يطلبـه من شعبه بالمقابـل، مـن جهـة ثانيـة، بصيغـة روائيّـة وبتعابير إيجابيّة. كان باستطاعة التـوراة (הַתּוֹרָה) أن تكون أجوبة على استشـارات (١ صـم ١: ١٧)، أو حلولاً لحـالات شرعيّـة (تـث ١٧: ٨ي؛ ١٩: ١٧ي). "علـى شفتَيـه" (رج أش ٥٣: ٩؛ ١ بـط ٢: ٢٢). لا يَرِدُ ذكـرُ وظيفةِ الردِّ عـن الضلال فـي نصوص أخرى، مع أنّها يمكن أن تكون متضمَّنة في وظيفة تعليم الشريعة.

لقـد نطـق لاوي بصـدق بـ"شريعة الحـقّ" (תּוֹרַת אֱמֶת)، "ولم يكن جور في شفتيه"، لذلـك كان من الطبيعيّ أن يسير مع الـربّ "بالسلام والاستقامة"، وأن يكون علّـة "ارتـداد الكثيرين عن الإثـم". لنقـرأ مـا جـاء في تـث ٣١: ٩–١٣: "وكتب موسى هذه الشريعة، وسلّمهـا إلـى الكهنـة بنـي لاوي...، وأمرهـم موسى قائـلاً: ...حيـن يأتي إسرائيل كلّـه ليحضر أمام الربّ إلهك، في المـكان الـذي يختاره، تقـرأ هذه الشريعـة علـى مسمـع مـن إسرائيـل كلّه...، لكي يسمعـوا ويتعلّموا ويتّقوا الـربّ إلهكـم، ويتنبّهـوا أن يعملـوا بجميع كلمات هـذه الشريعة، ويسمع بنوهم الذين لم يعلموا، فيتعلّموا مخافة الربّ إلهكم...".

آ ٧: "**شفتَـا الكاهن تحفظـان المعرفة، ومن فمه تُطلَـب الشريعة، لأنّه رسول الربّ القدير**".

يجعـل ملاخي من الكاهن قبل كلّ شيء، خـادم الكلمـة؛ فالكاهن أُودِعَ معرفـةَ الله، فصار رجـل التعليم. نحن هنـا أمام مبـدأ عامّ، حيـث "للمعرفة" فـي هذا المجال قيمـة واسعة المدى، انطلاقًـا مـن أنّـه يمكـن أن يكـون موضوعُهـا الله أو إرادتَه (هو ٤: ١–٦؛ ٦: ٦؛ أش ١١: ١٠). إذا كانت "معرفة" من هذا النـوع تعنـي بالدرجة الأولى وظيفـة التعليم، فإنّها فـي سياق النصّ الـذي نحـن بصدده هـي واسعة، كما يشير اللقـب غير العاديّ الـذي يتلقّاه الكاهن ويُطَبَّق على حجّاي النبيّ (حج ١: ١٣). يمكـن أن يقال إنّه، في عصر المؤلِّـف، كانـت النبوءة قـد توقّفت، وحلّ الكاهن محلّ النبيّ في مهمّاتـه.

العهد مع لاوي هو نموذج للكاهن الـذي عليه أن يكون متمتّعًا **بالمعرفة** في مجـال الشريعـة، وأن **يعلّـم** الجماعة: "شفتَـا الكاهن تحفظان المعرفة، ومن فمه تطلب الشريعة" (آ ٧)؛

"واذهـب إلـى الكهنـة اللاويّين، وإلـى القاضـي الذي يكـون في تلك الأيّـام، فتستشيـر ويبلغونـك قـرار الحكـم"(تـث١٧:٩)؛

"يعلّمـون يعقـوب أحكامـك وإسرائيل شريعتك" (٣٣: ١٠).

على الكاهن أن يكـون أمينًا للعهد "لأنّه **مرسَل** الربّ القدير" (ملا ٢: ٧ب). هذه الآية هي الوحيدة في العهد القديم التي فيها يُعطَـى الكاهن لقب "مُرْسَل" (מַלְאַךְ)، اللقـب الـذي كان يُقـرَن بشخص النبـيّ. قد يكـون نقْل اللقب والوظيفة من نبيّ إلـى كاهن إشارة إلى ظروف اختبار ملاخي التاريخيّة.

آ ٨: "**وقـال الـربّ القديـر: "أمّـا أنتم فحدتم الآن عن الطريـق، وجعلتم كثيرًا من الناس يرتابـون في الشريعـة، ونقضتم عهد لاوي أبيكم، أيّها الكهنة**".

"لقد نقضتم عهدَ لاوي" (ملا ٢: ٨)

"والآن إليكم هذه الوصيّة، أيّها الكهنة" (ملا ٢: ١؛ أنظر لا ٢: ١–٢ب: ٩). يستعمل النبيُّ المصطلح العبريّ ذاتَه، הַמִּצְוָה ("الوصيّة") الذي يستعمله سفر الخروج عند الكلام على وصايا الله للدلالة على مصدر ما يتفوّه به وعلى أهمّيّته الكبيرة. في الواقع، تصوغ هذه "الوصيّةُ" حكمًا بالشجب (٢: ١–٩)، يلي القولَ النبويَّ التوبيخيَّ في ١: ٦–١٤. إنّنا إذًا أمام تعارض واضح؛ فعلى خلفيّة هذه اللوحة المثاليّة لعبادة كاملة تؤدّيها الأمم لله، تتكشّف خيانة "الكهنة" (הַכֹּהֲנִים، ٢: ١) بوضوح أكبر. من الحكم الذي يطلقه الربُّ على لسان النبيّ بصيغة شرطيّة في ٢: ٢، ٩، والذي يقول فيه: "إنْ كنتم لا تسمعون ولا

تبالون أن تُعطوا مجدًا لاسمي[١٧]، أنا الربّ القدير (צְבָאוֹת)، أرسل عليكم اللعنة (וְשִׁלַּחְתִּי בָכֶם אֶת־הַמְּאֵרָה)، وألعن بركاتكم (וְאָרוֹתִי אֶת־בִּרְכוֹתֵיכֶם)..." (٢: ٢)، ينتقل مباشرةً إلى صيغة التأكيد: "بل أنا لعنتُها" (וְגַם אָרוֹתִיהָ)، كما لو كان الربَّ يريد أن يُبرز التصلّب في الخطيئة، وطابعَ الحكم الذي لا عودة عنه، والذي أضحى حقيقةً في قصد الله. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى استعمال الصفة "القدير" (צְבָאוֹת) للدلالة على تدخُّل الله القويّ إلى حدّ إنزال اللعنة على الكهنة. مع ذلك، قد ينبغي أن نرى هنا أسلوبًا خطابيًّا، يتضمّن إثارة تهدف إلى إرغام الكهنة على القيام بردّة فعل تؤدّي بهم إلى الارتداد. بالتأكيد، "اللعنة" هي العقاب الأقصى، كونها توازي الموت، على عكس "البركة" التي توازي الحياة (رج اللعنة في تك ٣: ١٥ي).

لكن بِمَ هؤلاء الكهنة هم مذنبون؟ بأنّهم أهملوا ما يشكّل قلبَ الخدمة الكهنوتيّة بالذات، أي تسبيح الله، وهذا أمرٌ مشكّك جدًّا في عينَي النبيّ؛ ففي حين أنّ الأمم تقدّم إلى الربّ عبادةً كاملة (١: ١١: "من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم في الأمم")، لم يقم الكهنة بما كانوا مكلَّفين به، أي بجذب الأمم إلى تعظيم اسم الله عبر خدمتهم، أي بتسبيح الله، لذلك أطلق الله على لسان ملاخي التهمة الكبيرة: "أمّا أنتم فدنّستموه (וְאַתֶּם מְחַלְּלִים אוֹתוֹ)" (١: ١٢). إنّ للفعل "دنّس" (חלל) وقعًا غير مستحبّ على الإطلاق في الأدب الكهنوتيّ، لأنّه يعبّر عمّا يتنافى مع القداسة التي يُفترَض أن يتحلّى بها الكهنة. ولكنّ هذا الشجب هو، في الوقت عينه، نداء أخير للإقرار بالخطأ، والاعتراف بالذنْب، والعودة إلى الله، ومن ثَمّ تمجيده فعلاً لا قولاً.

إنّ شكوى ملاخي الحقيقيّة ضدّ الكهنة، هي أنّهم لم يقوموا بمهمّتهم التي أسندها إليهم التقليدُ المتوارَث منذ القديم، لذلك كانت التهمة الجسيمة التي صاغها ملاخي كما يلي: "نقضتم عهدَ لاوي (שִׁחַתֶּם בְּרִית הַלֵּוִי)" (٢: ٨)[١٨]. كان ينبغي أن يحفظوا العهد ويسيروا بمقتضى ما نصّ عليه، كما يقول ملاخي: "فتعلمون أنّي أرسلت إليكم بهذه **الوصيّة** (הַמִּצְוָה) ليثبت **عهدي** (בְּרִיתִי) مع لاوي أبيكم. كان عهدي معه للحياة والسلام، فأعطيتهما له ليخافني (מוֹרָא)، **فخافني** (וַיִּירָאֵנִי) **وهاب اسمي** (וּמִפְּנֵי שְׁמִי נִחַת הוּא)" (١: ٤-٥). لا يمكن حفظ شريعة الربّ التي أعطاها لشعبه، ولا الثبات على العهد الذي بتّه مع لاوي، ولا **مهابة اسمه**، من دون مخافته والخضوع له.

"كانت شريعة الحقّ (תּוֹרַת אֱמֶת) في فمه، ولا جور في شفتيه" (ملا ١: ٦أ)، أي أنّ الحقّ كان على شفتيه اللتين تنطقان بما في القلب؛ "فلقد سار معي بالسلام والاستقامة، وردّ كثيرًا من الناس عن الإثم (עָוֹן)" (٢: ٦ب). هي المرّة الأولى في العهد القديم التي يجري الكلام فيها على عهد صريح مع لاوي. من دون شكّ، هذه الصياغة هي شاهد على ترقية قبيلة لاوي إلى الوظائف الكهنوتيّة في زمن العودة من المنفى (رج إر ٣٣: ٢٠-٢٦؛ مز ١٠٦: ٣٠ي[١٩]، ولكنّ التقاليد الأقدم تدعم هي أيضًا هذه الفكرة، وتُبرز الوضع المميَّز للاوي، والرباطَ الخاصَّ جدًّا الذي يجمع هذه القبيلة بالربّ[٢٠]. ولكنّ تث ٣٣: ٨-١١ خاصّة هو

(١٧) إنّ للفعلَين "لا تسمعون ولا تبالون" (לֹא תִשְׁמְעוּ و לֹא תָשִׂימוּ עַל־לֵב) دورًا بارزًا في إبراز المعصيَتَين اللتين يرتكبهما الكهنة تجاه اسم الله.

(١٨) "نقضتم عهدَ لاوي" (שִׁחַתֶּם בְּרִית הַלֵּוִי): للفعل "نقضتم" (שִׁחַתֶּם) مضمون سيّء جدًّا يتعارض تمامًا مع ما يُفترَض أن يكون سلوك الكهنة، أي "حفظ العهد"، ممّا يعني إدارة الظهر لمن بتّ العهد مع لاوي ومن ثَمَّ معهم.
Cf. S.L. McKENZIE and H.WALLACE, "Covenant Themes in Malachi", *Catholic Biblical Quarterly* 45 (1983) 549-63.

(١٩) Cf. J.M. O'BRIEN, *Priest and Levite in Malachi*, Scholars Press, 1990.

(٢٠) **تث ١٨: ١-٨**: "لا يكون للكهنة اللاويّين، أي لكلّ **سبط لاوي**، نصيب ولا ملْك مع بني إسرائيل؛ فهم يأكلون من الذبائح المحرقة وغيرها ممّا يقدّسه بنو إسرائيل للربّ. ولا يكون لهم ما يملكونه في ما بين إخوتهم بني قومهم، لأنّ الربّ هو مصدر كلّ ملْك لهم. وهذا يكون حقّ الكهنة من الشعب...،

الـذي يقـدّم التوضيـح الأكبر في هذا المجـال؛ فالوظيفـة الأولى للاوي هي أن "يحفـظ الكلمـة (שָׁמְרוּ אִמְרָתֶךָ)، ويتمسّك بالعهد (וּבְרִיתְךָ יִנְצֹרוּ)"، أن "يعلّم العادات (יוֹרוּ מִשְׁפָּטֶיךָ) ليعقوب، والشرائـع (וְתוֹרָתְךָ) لإسرائيـل" (تـث ٣٣: ١٠).

نصـل هنـا إلـى اهتمامـات **ملاخي الذي يرى فـي الكاهن خادمًـا للكلمة** قبل أيّ شيء آخَر؛ فالكاهن هو مؤتَمن على "معرفـة الله"، وهو رجُـل العقيدة (٢: ٦–٧).

مـن دون شـكّ، كان مضمون هذه "الشريعة"/"التـوراة" طقوسيًّـا بنـوع خاصّ، كمـا تُبَيِّـنُ ذلـك اهتمامـاتُ ملاخـي الثابتـة، ولكـن قد يكـون من الخطـأ حصرها بهذا المجـال المحدّد دون سـواه، لأنّ النبيّ، كما رأينا أعلاه، مهتـمّ أيضًـا بالخُلُقيّـة وبالديانـة؛ لـذا يجب أن يقابلَ العبادةَ الخارجيّةَ موقفٌ داخليّ. ولكن نحـن أمام عثار، لأنّ مَن كان يتوجّـب عليه أن "يردّ عـددًا كبيرًا عـن الإثـم (עָוֹן)" (٢: ٦)، يُضحـي هو ذاتُـه، بإبعاده الناس عـن الطريق الحقّ، مَـن يسبّب التعثّـر في العقيـدة: "وقال الـربّ القدير: أمّا أنتـم فحدتم الآن عن الطريق (הַדֶּרֶךְ) وجعلتم كثيرًا من الناس يرتابون في الشريعة (בַּתּוֹרָה)، ونقضتم عهد (בְּרִית) لاوي أبيكم، أيّها الكهنة، فأنا أيضًا أجعلكـم منبوذين سافلين عند جميـع الشعب، بقـدر ما لـم تحفظوا طرقـي (דְּרָכַי)، وحابيتم/ورفعتم وجهًا "(בַּתּוֹרָה) بالشريعة" (٢: ٨–٩).

لا بـدّ من أن نركّز، ولـو بالإيجاز، علـى معانـي المصطلحـات الخاصّـة بهاتَيـن الآيتَيـن، نظـرًا لتجذّرهما في نصوص أخرى مـن العهد القديم، كما في أقوال الأنبياء؛

– **فالأفعـال** المستعملـة فـي هاتين الآيتيَن هـي أفعال تقنيّة، وهـي التالية: "حدتم" (סַרְתֶּם)[٢١]؛ "جعلتم (الناس) يرتابـون" (הִכְשַׁלְתֶּם)[٢٢]؛ "نقضتـم" (שִׁחַתֶּם)[٢٣]؛ "أجعلكـم منبوذيـن" (נָתַתִּי אֶתְכֶם נִבְזִים)[٢٤]، و"سافلين" (וּשְׁפָלִים)[٢٥]؛ "لـم تحـفـظـوا"

لأنّ الربّ إلهكم اختار الكهنة اللاويّين من جميع أسباط بني إسرائيل ليقفوا للخدمة باسم الربّ، هم وبنوهم كلّ الأيّام. وإذا جاء لاويّ نازل في إحدى مدنكم التي في كلّ إسرائيل إلى الموضع الذي يختاره الربّ، وجاء بكلّ قلبه من رغبة، وخدم باسم الربّ إلهه كسائر إخوته اللاويّين والواقفين هناك أمام الربّ، فعليهم أن يقتسموا الطعام بالتساوي، على أن يحتفظ اللاوي النزيل لنفسه بما يعود إليه في موضع آبائه الذي جاء منه".
أنظر أيضًا: **تث ١٠: ٨–٩**: "في ذلك الوقت خصّ الربّ **سبط لاوي** بحمل تابوت عهد الربّ والوقوف أمامه ليخدموه ويباركوا باسمه كما هي حالهم إلى هذا اليوم. لذلك لم يكن للاويّين نصيب وملْك مع إخوتهم بني قومهم، وإنّما الربّ مصدر كلّ ملْك لهم، كما كلّمهم الربّ إلههم". ونقرأ في **خر ٣٢: ٢٥**: "ولمّا رأى موسى أنّ الشعب خرجوا على هرون، تركهم يمعنون في غيّهم"؛ وفي **عد ٢٥: ٧**: "فلمّا رآه فنحاس بن ألعازار بن هرون الكاهن، قام من وسط الجماعة وأخذ رمحًا في يده".

(٢١) يعني الفعل סור "حاد" أو "مال" عن الطريق: "قال موسى: أميل وأنظر"، וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אָסֻרָה־נָּא וְאֶרְאֶה (خر ٣: ٣ي).
.Cf. F. BROWN, « סור », *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, Clarendon Press, Oxford 1979, p. 693-694

(٢٢) يعني الفعل כשל سبّب السقوط، هدّ: "هدّت عزيمتي": הִכְשִׁיל כֹּחִי (مرا ١: ١٤)؛ رج Cf. F. BROWN, «כשל», *op. cit*.، p. 505-506

(٢٣) للفعل שׁחת معاني عدّة، منها: "لأزيل كلّ جسد" (تك ٦: ١٧)؛ أفسد الكرْم (إر ١٢: ١٠)، أو أفسد إنسانًا (٢ صم ١: ١٤)، أو أتلف العين (خر ٢١: ٢٦)؛ أطفأ الرحمة (عا ١: ١١)؛ أفسد أو أساء استعمال الحكمة (حز ٢٨: ١٧)؛ جلب الخراب على أحد ما (عد ٣٢: ١٥)؛ تصرّف بطريقة مدمّرة، سبّب الاضطراب (٢ صم ١٤: ١١)؛ رج Cf. F. BROWN, "שׁחת", *op. cit*., p. 1007-1008

(٢٤) يعني الفعل בָּזָה "استخفّ"، "استهان"، "احتقر"، الخ: "واستخفّ (וַיִּבֶז) يعقوب بالبكريّة" (تك ٢٥: ٣٤)؛ "ولمّا دخل التابوت أورشليم نظرت ميكال ابنة شاول من الطاقة، ورأت الملك داود يقفز ويرقص أمام الرب، فاحتقرته (וַתִּבֶז) في قلبها، حين رأته يرقص" (٢ صم ٦: ١٦)؛ محتقر (נִבְזֶה) منبوذ من الناس" (أش ٥٣: ٣أ)؛ "يعيّرني (וּבְזוּי) البشر وينبذني الشعب" (مز ٢٢: ٧)؛ رج Cf. F. BROWN, «בָּזָה», *op. cit*.، p. 102

(٢٥) تعني الصفة שָׁפָל "عميق" (أي دونَ سطح مساحة ما)، كما في لا ١٣: ٢٠: "فإنْ كان منظرها أعمق من (שָׁפָל מִן) الجلد"؛ قصير ومحدود الطول: "وصار كرمةً منتشرةً متواضعةَ (שִׁפְלַת) القامة" (حز ١٧: ٦)؛ "متواضع": "أسكن في العلاء وفي القدس، ومع المنسحق والمتواضع الروح (וּשְׁפַל־רוּחַ)" (أش ٥٧: ١٥)؛ ويعني الفعل שׁפל "واضع": "أنا الربّ وَاضَعْتُ (הִשְׁפַּלְתִּי) الشجرَ المرتفع" (حز ١٧: ٢٤)؛ كما يشير إلى وضع في المجتمع: "ولقد أتصاغر دون ذلك وأكون دنيًّا (שָׁפָל) في عيني نفسي" (٢ صم ٦: ٢٢)؛ "متواضع": "أسكن في العلاء وفي القدس ومع المنسحق والمتواضع الروح (וּשְׁפַל־רוּחַ)" (أش ٥٧: ١٥)؛ رج Cf. F. BROWN, «שׁמר», *op. cit*., p. 1050

(אֵינְכֶם֙ שֹׁמְרִים)[٢٦]؛ "وحابيتم" في (וְנֹשְׂאִ֥ים פָּנִ֖ים בַּ)[٢٧].

– كذلك **الأسماء**: "الطريق" (הַדֶּ֑רֶךְ)؛ "الشريعة" (הַתּוֹרָ֑ה)؛" عهد" (בְּרִית)؛ "طرقي" (דְּרָכַ֔י) (٢: ٨–٩).

في **الأفعال** نتبيّن ما هو متعلّق بسلوك الكهنة الشخصيّ، "حدتم"، "نقضتم"، "لم تحفظوا"؛ وما هو مرتبط بعلاقتهم بالآخَرين: "حابيتم"، "جعلتم الناس يرتابون"؛ ثمّ نتيجة ذلك كلّه: "أجعلكم منبوذين" و"سافلين"؛ فمَن "يحيد" عن الطريق، يحيد بذات الفعل عن المسار الدينيّ والخُلُقيّ الذي رسمه الربّ؛ ومَن "ينقض" عهدَ الربّ يعرّض ذاته لما تتضمّنه بنود العهد من عقاب يبلغ حدّ اللعنة، مع ما يستتبع ذلك من انحرافات في العقيدة والسلوك والواجبات، وبالتالي من تسبيب عثار وتضليل ومظالم، ومن نتائج وخيمة يسبّب لمن هم تحت مسؤوليّته ورعايته.

أمّا **الأسماء**، "الطريق"، "الشريعة"، "العهد"، "الطرق"، "الأحكام"، فمرتبطة بوضوح بكلّ يأمر به الربّ شعبه، خاصّة عندما بتّ العهد مع شعبه عبرَ موسى كليمه (رج خر ١٩–٢٤؛ تث).

إنطلاقًا ممّا تقدّم نستطيع أن نفهم كلام ملاخي النبيّ الذي كان يرى كهنة الربّ وقد فقدوا كلّ صدق ومثاليّة، فيتألّم في صمته، ولكن، عندما كانت الساعة تأتي، كان يُرعِدُ بصوته موبِّخًا ومقرِّعًا ومهدِّدًا؛ هكذا كان على تواصلٍ نبويّ مع روحيّة تثنية الاشتراع، ولكنْ أيضًا مع الأنبياء الذي سبقوه؛ فالنبيّ **هوشع** كان قد أطلق قبل بضعة قرون تهمة قويّة مماثلة هي التالية:

"ومع ذلك، فلا يرفع أحد دعوى (אַל־יָרֵ֔ב)، ولا يوبّخ (וְאַל־יוֹכַ֖ח) أحد، فخصومتي (כִּמְרִיבֵ֥י) معكم، أيّها الكاهن (כֹהֵֽן). تسقط في النهار وفي الليل، ويسقط الأنبياء أيضًا معك، فأنت علّة دمار شعبك. لقد دُمِّر شعبي لعدم المعرفة (מִבְּלִ֣י הַדָּ֑עַת)، فبما أنّك نبذت المعرفة (הַדַּ֣עַת מָאַ֗סְתָּ)، فأنا أنبذك (וְאֶמְאָֽסְאךָ֙) عن كهنوتي (לִ֔י מִכַּהֵ֖ן)، وبما أنّك نسيت تعليم إلهك (וַתִּשְׁכַּח֙ תּוֹרַ֣ת אֱלֹהֶ֔יךָ)، فأنا أيضًا أنسى (אֶשְׁכַּ֥ח) أبناءك. على حسب كثرتهم خطئوا إليّ (חָֽטְאוּ־לִ֑י)، فسأبدّل مجدهم هوانًا. خطيئة شعبي يأكلون، وبذنبه يطمعون، فيصير مثل الشعب مثل الكاهن، فأعاقبه على طرقه، وأردّ عليه أعماله، فيأكلون ولا يشبعون، ويزنون ولا يتكاثرون، لأنّهم تركوا الربّ (כִּֽי־אֶת־יְהוָ֥ה עָזְב֖וּ)..." (هو ٤: ٤–١٠). إنّهم في حالة سقوط متواصل، "ليل نهار"؛ فبدلاً من أن يكونوا علّة حياة لشعبهم، أضحوا "علّة دماره" وهلاكه. هناك إذًا "تهمة"، لذلك نحن أمام "دعوى"، ومحاكمة، وحكْم يقضي بـ"النبذ" و"النسيان"، وبـ"تبديل المجد بالهوان"، وبـ"عدم الشبع"، وبـ"عدم التكاثر"، وعلّة ذلك كلّه أنّهم "تركوا الربّ" ولم يحفظوا أوامره.

وكذلك فعل إرميا الذي أطلق تهمه ضدّ مَن يُفترَض فيهم أن يكونوا قادةً للخير، فقال:

"فلا الكهنة (הַכֹּהֲנִ֗ים) قالوا: أين الربّ (לֹ֤א אָֽמְרוּ֙ אַיֵּ֣ה יְהוָ֔ה)،

ولا معلّمو الشريعة (וְתֹפְשֵׂ֤י הַתּוֹרָה֙) عرفوني (יְדָע֔וּנִי)،

والحكّام (וְהָרֹעִ֖ים) أنفسهم عصوني (פָּ֣שְׁעוּ בִ֑י)،

والأنبياء (הַנְּבִיאִים) تنبّأوا باسم البعل، ووراء إله لا نفع فيه ذهبوا (וְאַחֲרֵ֥י הָלָֽכוּ)" (إر ٢: ٨).

(٢٦) يرد الفعل שָׁמַר ٤٢٠ مرّة في العهد القديم، ممّا يدلّ على أهمّيّته ودوره، ويعني "راقب"، "نظر"، "حرس"، "سلك في"، الخ: "وأخذ الربّ الإله آدم وأسكنه في جنّة عدن ليفلحها ويحرسها (וּלְשָׁמְרָֽהּ)" (تك ٢: ١٥)؛ "وأوكل الغنم إلى مَن يحرسها (עַל־שֹׁמֵ֔ר)" (١ صم ١٧: ٢٠)؛ "حافظ الثياب (שֹׁמֵ֣ר הַבְּגָדִ֔ים) في الهيكل" (٢ مل ٢٢: ١٤)؛ "يحرسك (יִשְׁמָרְךָ֣) الربّ من كلّ سوء، يحرس (יִשְׁמֹ֗ר) الربّ نفسك" (مز ١٢١: ٧)؛ "أنا اخترته ليوصي بنيه وأهل بيته من بعده بأن يسلكوا في طرق الربّ (וְשָׁמְרוּ֙ דֶּ֣רֶךְ יְהוָ֔ה)" (تك ١٨: ١٩)؛ Cf. F. BROWN, «שָׁמַר», *op. cit.*, p. 1036-1037.

(٢٧) Cf. F. BROWN, « שַׁחַת », *op. cit.*, p. 1008 s.

لدينا هنا فئات المسؤولين كلّهم في الشعب، أي "الكهنة"، و"معلّمو الشريعة"، و"الحكّام"، و"الأنبياء"، الذين، بدلاً من أن يقوموا بواجباتهم التي أوكلها الربّ إليهم، يعصون أوامره، ويسيرون وراء آلهة أخرى كاذبة، ولا يفعلون ما يرضيه وما يفيد الشعب، وذلك كلّه لأنّهم لم يطلبوا الربّ، و"لم يقولوا: أين هو؟". ونشير إلى أنّ هناك استعمالاً متقاربًا للمفردات عند ملاخي وهوشع وإرميا.

لذلك يرى ملاخي أنّ الحكمَ ينزل على الكاهن غير الأمين، لأنّه بسبب إهماله المذنب، لا بل بسبب فساده المتعَمَّد (هذا هو معنى الفعل שׁחת[٢٨]، أي "جرّ إلى الخراب المادّيّ والروحيّ في آنٍ معًا"، سينبذ الربّ قبيلة لاوي من كهنوته، و"سيرسل عليهم اللعنة" (٢: ٢؛ عبارة مستلّة، على ما يبدو، من تث ٢٨: ٢٠)، التي هي بمثابة قدرة خطرة تضرب "بغتة" المذنب. تحلّ هذه اللعنة بالكاهن في قلب رسالته بالذات، أي في ما هو لأجله هو كاهن، لأنّ وظيفته هي أن "يبارك". إنّ التباين بين ما ينبغي أن يقوم الكاهن به وبين ما صار عليه لَمذهل: "ألعنُ[٢٩] بركاتكم" (וְאָרוֹתִי אֶת־בִּרְכוֹתֵיכֶם؛ ٢: ٢)؛ تصبح بركة الكاهن بالذات موضوعَ لعنة. نشير إلى أنّه، بكلمة "بركة"، المقصود هو، ليس الوظيفة الليتورجيّة، بل الحقيقة الموضوعيّة للخيرات الممنوحة للكهنوت، نتيجةً لعهد لاوي؛ فلعجز الكاهن عن أن يقوم بخدمته (٢: ٣)، يصبح بذات الفعل خزيًا وهزءًا في عينَي الشعب، وهذه نتيجة طبيعيّة لما أصبح الكاهن عليه. بالنتيجة، تُطَبَّق هنا شريعة العين بالعين والسنّ بالسنّ (خر ٢١: ٢٤؛ لا ٢٤: ٢٠؛ تث ١٩: ٢١؛ مت ٥: ٣٨)، لأنّ الكهنة احتقروا اسمَ الربّ (١: ٦، ٨، ٩؛ ٢: ١٢)؛ "قال الربّ القدير: الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيده؛ فإن كنت أنا أبًا، فأين كرامتي؟ وإن كنت سيّدًا، فأين مهابتي، أيّها الكهنة الذين تحتقرون اسمي؟ وتقولون: كيف احتقرنا اسمك؟" (١: ٦)؛

"إذا قرّبتم الأعمى أو الأعرج أو السقيم ذبيحة لي، أفلا يكون ذلك شرًّا؟ إن قرّبتموه لحاكمكم أفيرضى عنكم أو يرفع شأنكم؟ هكذا قال الربّ القدير" (١: ٨)؛

"أمّا أنتم فدنّستموه بقولكم: مائدة الربّ منجسّة وثمرتها طعام منبوذ" (١: ١٢)؛

لهذا السبب سيكونون مرذولين ومحتَقَرين لدى الربّ: "فأنا أيضا أجعلكم منبوذين سافلين عند جميع الشعب" (٢: ٩).

إذا كان هذا الحكم يعكس حالة الكهنة في زمن نحميا وملاخي، فإنّه هنا حاسم ونهيويّ، كما يبدو من إطار النصّ بمجمله.

إنّ النموذج الشامل للعهد مع لاوي، والدور الإضافيّ كـ"مرسَل رب القوّات"، هما أساس دينونة الكهنة (آ ٨-٩)، لأنّهم لم يكونوا أمناء تجاه متطلّبات العهد، ولا تجاه دورهم كمعلّمين وكقادة (آ ٨).

التهمة التي تُوَجَّه إلى الكهنة هي أنّهم لم يكونوا أمناء على المهمّة التي تسلّموها منذ القديم القديم: "نقضوا عهد لاوي". من وجب عليه أن "يردّ الكثيرين عن الشرّ" (٢: ٦) صار ذاك الذي يجعل الناس "يرتابون في الشريعة" (آ ٨)، فيبتعدون عن الطريق الحقّ. ذاك هو الاتّهام الذي أطلقه هوشع (٤: ٤-٦) قبل ملاخي ببضعة أجيال: "ولكن لا يخاصم أحدٌ شعبي ولا يوبّخه، فخصومتي معكم أنتم، أيّها الكهنة! تسقطون في النهار وفي

(٢٨) للفعل שׁחת معاني عدّة، منها: أزال: "لأزيل كلّ جسد" (تك ٦: ١٧)؛ "أفسد" الكرْم (إر ١٢: ١٠)، أو إنسانًا (٢ صم ١: ١٤)، أو "أتلف" العين (خر ٢١: ٢٦)؛ "أطفأ" الرحمة (عا ١: ١١)؛ أفسد أو أساء استعمال الحكمة (حز ٢٨: ١٧)؛ جلب الخراب على أحد ما (عد ٣٢: ١٥)؛ تصرّف بطريقة مدمّرة، سبّب الاضطراب (٢ صم ١٤: ١١). (Cf. F. BROWN, "שׁחת", *op. cit.*, p. 1007-1008)

(٢٩) بدأ الله بإنزال اللعنات منذ اللحظة التي بدأ فيها الإنسان يرفض أن يستمرّ في الحياة التي شاءها خالقُه له منذ البدء، فكانت اللعنة من أجل وضْع حدٍّ لكلّ ما يعرقل المشروع الإلهيّ الحياتيّ، حتّى ولو بلغ الأمر إلى حدّ، ليس فقط لعن الأرض بسبب الإنسان، بل إلى لعن هذا الأخير بالذات (رج تك ٣ و٤).

الليل، ويسقط الأنبياء أيضًا معكم، فأنتم علّة دمار شعبكم. لحق الدمار بشعبي لأنّهم لا يعرفوني، وبما أنّكم رفضتُم أن تعرفوني، فأنا أرفضكم، فلا تكونون لي كهنة. وبما أنّكم نسيتم شريعة إلهكم، فأنا أيضًا أنسى بنيكم".

لقد رأى بعض المفسِّرين أنّ وصف العهد مع لاوي وسلطانه قد يكون إشارة إلى التعارض بين الكهنة الصادوقيّين (العائدين من المنفى البابليّ) وبين اللاويّين. إلى هؤلاء أُوكِلَت مهمّات وضيعة في خدمة الهيكل، بينما كان الكهنة موظّفين ذوي أهمّيّة. تدلّ عبارة "عهد أبديّ مع لاوي"، في زمن العودة من المنفى، على ترفيع قبيلة لاوي إلى الوظائف الكهنوتيّة. نقرأ في مز ١٠٦: ٣٠-٣١: "قام فنحاس وسيطًا لهم، فكفّ الوباء عن الفتك بهم، فحُسب له ذلك الفضلُ، جيلاً بعد جيل إلى الأبد". وقال سي ٤٥: ٢٣-٢٤: "والثالث في المجد بعد موسى وهارون، كان فنحاس بن أليعازار، وهذا جزاء له على غيرته وتقواه، والوقوف بجرأة وعناد إلى جانب الربّ، عند ارتداد الشعب عليه، فكفَّر عن بني إسرائيل، لذلك عاهده الربّ، أن يتولّى دون سواه، أمر المكان المقدّس، وأن يُبقي له ولنسله منصب الكاهن الأعلى إلى الأبد".

إنّ الابتعاد عن الطريق هو صيغة نموذجيّة (تث ٩: ١٢، ١٦؛ ١١: ٢٨؛ ٣١: ٢٩؛ إلخ) للتعبير عن "جَعْل أحد ما يعثر" أو تشكيكه، وهذا نقيض لـ"جَعَلَ أحد ما يتوب"، أو لاقتياده في الطريق الصالح. يشبه الوضعُ هنا وضْعَ الأنبياء الكَذَبة الذي يتكلّم عليه إرميا.

آ ٩: **"فأنا أيضا أجعلكم منبوذين سافلين عند جميع الشعب، بقدر ما لم تحفظوا طرقي، وحابيتم هذا وذاك في أحكامكم"**.

أبطل الكهنةُ عهدَ لاوي، فجرّدهم الربّ من منزلتهم، فأصبحوا "منبوذين وسافلين عند جميع الشعب"، لأنّهم رفضوا أن يحفظوا عهدَ الربّ وطرقه، ولم يعلّموا الجماعة واجباتها، وزادوا على ذلك المحاباة في الأحكام. لا يستطيع الكاهن بعدُ أن يقوم بخدمته (٢: ٣)، فيصبح عارًا للشعب وأضحوكة؛ لقد احتقر الكهنةُ اسمَ الربّ (١: ٦، ٨، ١٢)، فجعلهم الربُّ محتقَرين ومنبوذين (٢: ٩).

٤ – نبوءة ملاخي والعهد الجديد

هذا السِفْر هو من بين الأسفار التي **يستشهد بها العهد الجديد** أكثر ما يكون. النصّان اللذان كان لهما التأثير الأكبر هما ٣: ١، و٣: ٢٣ي، اللذان يتكلّمان على المُرْسَل:

النصّ الأوّل، **ملا٣: ١، في مر ١: ٢؛ لو ١: ١٧، ٧٦؛ ٧: ٢٧؛ يو ٣: ٢٨؛** النصّ الثاني، **ملا٣: ٢٣ي، في مت ١١: ١٠؛ مر ٩: ١١-١٢؛ لو ١: ١٧**.

في كلّ هذه الحالات، يتماهى المرسَل مع يوحنّا المعمدان، لأنّ إيليّا لن يعود، أيًّا كان ما يعتقده الأنبياء المجهولو الاسم، والكتبة أو الشعب. السابق الوحيد بالتالي هو يوحنّا المعمدان.

تتستشهد **رو ٩: ١٣ بـ ملا ١: ٢-٣** لكي تُبرز حرّيّة الله في أن يحبّ يعقوب أكثر من عيسو.

هناك موازيات أخرى ليست استشهادات مباشرة، لكنّها تلتقي في العمق. إنّ ما وجّهه ملاخي من توبيخ للكهنة، وجّهه الربُّ يسوع للكهنة والفرّيسيّين.

في مت ٢٣: ١-١٢ يوجّه يسوع إلى الفريّسيّين والكتبة شكاوى مماثلة لتلك التي كان ملاخي قد صاغها[٣٠]. قد يكون **ملا ١: ١٤-٢: ١٠** أحد مصادر مت ٢٣: ١-٢[٣١]، إذ لدينا الرسالة ذاتُها عند الاثنين؛ فالتوبيخ الذي يوجّهه ملاخي إلى الكهنة، يوجّهه يسوع أيضًا إلى الكتبة والفرّيسيّين. لا هذا ولا ذاك ينكر على محاوريه السلطانَ في مسألة العقيدة والتربية على الإيمان، كما يوضح يسوع ذلك بقوله: "فمهما قالوا لكم، فاعملوا به واحفظوه" (مت ٢٣: ٣)؛ لكنّ خطأهم هو أنّهم يضعون

(٣٠) مت ٢٣: ١-١٢: يسوع يحذر من معلّميّ الشريعة والفريسيّين.
(٣١) مت ٢٣: ١-٢: "وخاطب يسوع الجموع وتلاميذه، قال: "معلّمو الشريعة والفرّيسيّون على كرسي موسى جالسون".

على مناكب الناس أحمالاً ثقيلة جدًّا (مت ٢٣: ٤)، تجعلهم، كما الكهنة أيّام ملاخي، يعثرون (ملا ٢: ٨). وبعيدًا عن أن يكونوا مدرِّبين في الجهد نحو القداسة (مت ٢٣ : ٢: "يقولون ولا يفعلون")، يدنّسون هم أنفسُهم اسمَ الله: "قال الربّ القدير: ... أين كرامتي...، وأين مهابتي، أيّها الكهنة، الذين تحتقرون اسمي؟ وتقولون: كيف احتقرنا اسمك...؟" (ملا ١: ٦-٧).

بعملهم هذا، هم يُنكرون أبوّةَ الله الذي يحافظ على روابط فردية كلّيًّا مع مختاريه. إذا لم يكن هناك سوى أبٍ واحد (ملا ٢: ١٠؛ مت ٢٣: ٩)، فالكلّ هم إخوة، وكلّ رئاسة محتقرة أو ساحقة ينبغي أن تُزَال: "الأكبر بينكم يكون لكم خادمًا" (مت ٢٣: ١١؛ رج ملا ١: ٦). إذا لم يكن هناك سوى أبٍ واحد، فالجميع، بدءًا بقادة الشعب، ملزَمون بأن يشعروا أنّهم مسؤولون عن مصير إخوتهم، ويساعدوهم على أن يعيشوا في الإيمان (ملا ٢: ٨-١٠).

خاتمة

تتطلّب الخدمة الكهنوتيّة مستوًى عاليًا في الفكر والسلوك والتعامل مع الناس، لكن كان هناك دائمًا كهنة دون مستوى المهمّة الموكلة إليهم، الأمر الذي دفع الأنبياء إلى التنديد بهم وتوجيه اللوم والتوبيخ إليهم على تراخيهم؛ فلقد أفسد الكهنةُ عبادةَ الرب بإدخال عادات كنعانيّة في معابد إسرائيل المحلّيّة (هو ٤: ٤-١١؛ ٥: ١-٧؛ ٦: ٩)، والمزج بين اليهوديّة والوثنيّة في أورشليم (إر ٢: ٢٦-٢٨؛ ٢٣: ١١؛ حز ٨)، والتعدّي على شريعة الربّ (صف ٣: ٤؛ إر ٢: ٨؛ حز ٢٢: ٢٦)، ومقاومة الأنبياء مرسليّ الربّ (عا ٧: ١٠-١٧؛ إش ٢٨: ٧-١٣؛ إر ٢٠: ١-٦؛ ٢٣: ٣٣-٣٤؛ ٢٦)، وتقديم مصالحهم الخاصّة على الخير العامّ (مي ٣: ١١؛ رج ١ صم ٢: ١٢-١٧؛ ٢ مل ١٢: ٥-٩)، الخ. لذا عمل الكهنة، الذين دوّنوا تثنية الاشتراع وشريعة القداسة، على إصلاح مصافّ الكهنة من خلال مدوّناتهم.

في هذا السياق يمكن أن نُدرج أقوال ملاخي النبويّة الموجَّهَة إلى كهنة زمانه، موبِّخًا إيّاهم على تقاعسهم وفتورهم في عبادة الربّ، وخاصّةً على فراغ هذه العبادة من أيّ مضمون روحيّ صادق (رج ملا ٢: ١-٩).

"في فترة خالية من البلبلة الخارجيّة، يمنعنا صوت ملاخي من الخلود إلى النوم في تساهل مع الضمير في تقوى روتينيّة تتمسّك بالشكليّات، ويقيمنا من سباتنا لانتظار شمس العدل" [٣٢].

المراجع

بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، بيروت ٢٠٠٣.

بولس الغفالي، "إليكم هذه الوصيّة أيّها الكهنة. ملا ٢: ١-١٠"، **وكانت إليّ كلمة الرب**، سلسلة القراءة الربية ٢، لبنان ٢٠٠٥.

BALDWIN J.G., 'Malachi 1:11 and the Worship of the Nations in the Old Testament', *TynB* 23 (1972) 117-24.

BROWN Francis, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, Clarendon Press, Oxford 1979.

(٣٢) Cf. Jacques GLOAGUEN, *Le livre du prophète Malachie*, éd. Foi et victoire, 2004.

CAZELLES Henri (sous la direction), *L'Ancien Testament. Introduction historique et critique*, t. II, Desclée, Paris 1973.

CHARY Th., Sources bibliques, Paris 1969.

DEVESCOVI V., « L'alleanza con Levi (Mal 2, 1-9) », *Bor* 4(1962) 205-218.

GLAZIER-McDONALD B., *Malachi. The Divine Messenger*, SBLDS 98, Atlanta, Scholars Press, 1987, p. 55-61.

GLOAGUEN Jacques, *Le livre du prophète Malachie*, éd. Foi et victoire, 2004.

HUGENBERGER Gordon P., *Marriage as a Covenant*: *Biblical Law and Ethics as Developed from Malachi. Leiden*: Brill, 1993.

L'HOUR Jean, *La morale de l'alliance*, Cahiers de la Revue Biblique, n. 5, Paris 1966.

McKENZIE S.L. and WALLACE H., "Covenant Themes in Malachi", *Catholic Biblical Quarterly* 45 (1983) 549-63.

MEYERS E.M. "Priestly Language in the book of Malachi", *HAR* 10 (1987) 225-37.

New England Bible (NEB).

O'Brien J.M., *Priest and Levite in Malachi,* Scholars Press, 1990.

Revised Standard Version (RSV).

REHM M., 'Das Opfer der Völker nach Mal 1,11' in H. Groß and F. Mußner (eds.), *Lex tua veritas* (*Festschrift* H. Junker; Trier: Paulinus, 1961) 193-208.

RENAUD Bernard, "Le jour du Seigneur", *Assemblée du Seigneur*, 2e série, 64 (1969) 64-66.

SHIELDS M.A., "Syncretism and Divorce in Malachi 2, 10-16", *ZAW* 111 (1999) 68-86.

SMITH R.L., *Micah-Malachi* (WBC 32; Word Books: Waco, 1984) 312-6.

SWETNAM J., 'Malachi 1,11: An Interpretation', *CBQ* 31 (1969) 200-9.

TESTA E., *Il messaggio della salvezza*, 4. *Il profetismo e i profeti*, Torino 1977.

von RAD G., *Théologie de* l'AT, I, 1957.

مَنشورَات جَامعَة الـرّوح القـُدس - الكَسْليك

سلسلة ربّي، املأني منك

قراءة النصوص الإنجيليّة اليوميّة وشرحها

تهدف سلسلة «ربّي، املأني منك» إلى مساعدتك، يا أخي القارئ، على أن تلتقي بالسيّد المسيح يوميًّا، بقراءتك لنصّ إنجيل كلّ يوم من أيّام السنة الطقسيّة؛ إذن، لديك طريقة تمكّنك من أن تترافق مع السيّد المسيح المخلّص في هذه الحياة، عربون التقائك به، بعد هذه الحياة، في حياةٍ أبديّة. لذلك، فلتكن قراءتك للنصّ الإنجيليّ استفهامًا وإصغاءً: إقرأ النصّ، كلمة كلمة، عبارة عبارة، مستفهمًا عمّا يعلّمك الربّ في كلّ كلمة وفي كلّ عبارة وفي النصّ ككلّ؛ ثمّ اقرأ الشرح وما فيه من توضيحات واستنتاجات وإيحاءات...؛ وبعدها إلجأ إلى الإصغاء: قد يقول لك الربّ شيئًا من سرّه! وهذا هو المقصود والمنشود! فكما يخبرنا هذا الكون عن اللّه الخالق، يخبرنا الإنجيل، كذلك، عن اللّه المتجسّد والمخلّص؛ ولكن هذا الخبر، هنا وهناك، ليس إلاّ «كوّة» قد تتيح لنا رؤية ما للّه في ملكوته!

الأب توما مهنّا

PUSEK

(تـابـع ص ٧٠)

معالم كهنوتيّة في الرسائل الرعائيّة

الأب ميلاد الجاويش المخلّصيّ
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمــة

يصحّ القول إنّ الرسائل الرعائيّة (١ و٢ تيموثاوس وتيطس) ترسم معالم لاهوت بولسيّ في الكهنوت، وذلك لسببَين رئيسيَّين: الأوّل هو أنّ كلمة "بِرِسْبِيتِرُوس" (πρεσβυτε′ρος) اليونانيّة، والتي تُترجَم عادةً بكلمة "شيخ"، ومنها كلمة *presbyter* اللاّتينيّة، أي "كاهن"، لا تَرِد عند بولس إلاّ في الرسائل الرعائيّة، وبالتحديد في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس وفي الرسالة إلى تيطس، مع العلم أنّ بولس لم يستعمل أبدًا، في رسائله كلّها، الكلمة التقنيّة للكاهن ιερευς،ولا ιερατεια، ولا مرادفتها ιερατευμα ("كهنوت")، ولا الفعل ιερατευω ("يكهن")؛ والسبب الثاني هو أنّ الشخصَين اللّذين تُرسَل إليهما الرسائل الثلاث، أي تيموثاوس وتيطس، إنّما كانَا راعيَين في الكنائس الأولى، وبالتالي توسُّعًا من شيوخها. فما يُقال في/ولـ تيموثاوس وتيطس يصحّ قوله في/ولـ كلّ رسول وشيخ في كلّ زمان ومكان. ليس هذا فقط، بل ما يقوله بولس، "الشيخ" (فلم [1]، وما ينقله من خبرات شخصيّة، يصلح لأن يكون نموذجًا لكلّ رسول وشيخ في الكنيسة. ينتج عن ذلك أنّ النصوص جميعها، تلك التي ترد فيها كلمة "شيخ" أو "أسقف"، أو تلك التي تحوي على مجرّد إرشادات لتيموثاوس وتيطس، تصلح كلّها لرسم معالم لاهوت كهنوتيّ بولسيّ في الرسائل الرعائيّة.

١ – "شيخ" (πρεσβυτερος، "بِرِسْبِيتِرُوس")

ولكي نبدأ من مكان، نحاول أوّلاً أن نعالج النصوص التي ترد فيها مشتقّات كلمة "بِرِسْبِيس" (πρεσβυς)، وهي الجذر اليونانيّ الذي تشتقّ منه كلمة "بِرِسْبِيتِرُوس".

تَرِدُ كلمة πρεσβυς بمشتقّاتها ٨ مرّات في الرسائل الرعائيّة، وبمعانٍ مختلفة:

– في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، نقع أوّلاً، ولمرّة واحدة، على الاسم "بِرِسْبِيتِرْيُون" (πρεσβυτεριον)، وهو يعني الشيوخ كجماعة ومجلس: "لا تُهمِل الموهبةَ التي فيك، تلك التي نلتَها بنبوّة مع وضع جماعة الشيوخ أيديَهم عليك" (١ تم ٤: ١٤).

– ثمّ يستعمل بولس لخمس مرّات التعبير πρεσβυτερος بمعنيَين اثنين: إمّا للدلالة على الكبار في السنّ، رجالاً (١ تم ٥: ١)، ونساءً (١ تم ٥: ٢)، وإمّا للدلالة على "الشيخ" بالمعنى التقنيّ للكلمة، أي الشخص

(١) في فلم ٩، يُطلِق بولسُ على نفسه لقب "شيخ" (πρεσβυτης). صحيح أنّ هذه اللفظة تعني "المتقدّم في السنّ"، لكنّ الرسل الأوائل كانوا يعتبرون أنفسهم شيوخًا كباقي الشيوخ. بطرس، مثلاً، لقّب نفسه بـ"الشيخ المعادل" (συμπρεσβυτερος) للشيوخ الذين يكتب إليهم (١ بط ٥: ١).

المخوَّل إدارة الجماعة ورعايتها (١ تم ٥: ١٧، ١٩؛ تي ١: ٥).

– وفي المرّتَين الأُخريَين المتبقّيتَين، يستعمل بولس πρεσβυτης (تي ٢: ٢) و πρεσβυτις (تي ٢: ٣) للدلالة أيضًا على كبار السنّ من الجنسَين.

يتبيّن لنا من خلال هذا الإحصاء أنّ πρεσβυτερος تأخذ معاني عدّة[٢]:

– المعنى الأوّل المباشر هو المتقدّم في السنّ، أي العجوز، الذي يقابل الحديث السنّ والشابّ (νεανισκος). وقد وردت كثيرًا في الكتاب المقدّس بهذا المعنى [٣].

– المعنى الثاني هو "الشيخ"، أي مَن كانت له في الجماعة المسيحيّة الأولى مهمّة الرعاية والإدارة والتدبير، ومجموعهم يؤلّف "جماعة الشيوخ" أو "مجلس الشيوخ"، وهو تنظيم ورثته الجماعات المسيحيّة من اليهوديّة التي كان يتشكّل شيوخها ضمن مجلس كان يُدعى "مجلس الشيوخ" (لو ٢٢: ٦٦؛ أع ٢٢: ٥)، أو السنهدريم (مر ١٥: ١). أوّل ما يرد ذكر هذا المجلس المشيخيّ المسيحيّ في العهد الجديد هو في أعمال الرسل، عندما أرسلت جماعة أنطاكيا مع برنابا وشاول معونة إلى كنيسة أورشليم الجائعة: "فأرسلوا معونتهم إلى الشيوخ" (أع ١١: ٣٠). هؤلاء سيكون لهم دور إلى جانب الرسل في انعقاد مجمع أورشليم الأوّل (أع ٢١: ١٨). لا شكّ في أنّ تنظيم "جماعة الشيوخ" هو تنظيم متأخّر أخذ بالظهور مع نموّ جماعة أورشليم ومع اختفاء حلقة الرسل، خصوصًا مع غياب بطرس عن أورشليم وتحلّق الشيوخ حول يعقوب وجماعته المتهوّدة المحافظة.

وممّا يجدر ملاحظته هو أنّ في الرسائل البولسيّة التي لا شكّ في أصالتها، لا يُحكى أبدًا عن "شيوخ"[٤]، مع أنّ الجماعات البولسيّة لم تكن تفتقر إلى هيكليّة داخليّة، بل كانت شديدة التنظيم، إذ كانت كلّ جماعة تحوي أشخاصًا يتمتّعون بمواهب مختلفة، يُعرَف كلّ منهم باسم الموهبة التي كان يمارسها ضمن الجماعة: فقد كان هناك الرئيس والمتنبّئ والخادم والمعلّم والواعظ والمتكلّم بالألسنة... (رج رو ١٢: ٢–٨؛ ١ كو ١٢: ٢٨؛ ١ تس ٥: ١٢). أمّا لقب "شيخ"، فإنّ أكثر ما يرد ذكره هو في الرسائل المتأخّرة، وبالتحديد في أعمال الرسل ورسالتَي يعقوب وبطرس الأولى، وبالأخصّ في الرسائل الرعائيّة. ففي هذه الكتابات، يظهر الشيوخ كجسم أصبح له كينونته الخاصّة، إذ يتمّ تعيينهم بالصلاة والصوم ووضع اليد (أع ١٤: ٢٣؛ تي ١: ٥)، وبهم تُناط مهمّة حراسة القطيع، والحفاظ على تقليد الرسل وحمايته من كلّ خطر داخليّ أو خارجيّ (أع ٢٠: ٢٨؛ ١ بط ٥: ١)، ويؤازرون الجماعة بالصلاة ومنح الأسرار (يع ٥: ١٤).

٢– ملامح الشيخ في الرسائل الرعائيّة

أ– مَن مُنح نعمة وضع اليد

الشيخ أوّلاً هو مَن تمّ "وضع اليد" عليه. ووضع اليد حركة قديمة العهد، كثيرة المعاني ومتعدّدة الاستعمالات، وفي جميعها تحمل معنى الانتقال، ومن بينها انتقال السلطة والوظائف من شخص إلى آخر [٥]. إنّها أيضًا حركة استدعاء للروح القدس (أع ٨: ١٧؛ ١٩: ٥–٦؛ عب ٦: ٢). بوضع اليد تنتقل السلطة الرسوليّة من بولس إلى تلاميذه، ومنهم إلى آخرين، على حسب التوصية التي يودعها بولس تلميذَه: "استودع ما سمعتَه منّي بمحضر كثير من الشهود

(٢) رج G. BORNKAMM, "πρεσβυς", *Grande Lessico del Nuovo Testamento* XI, pp. ٨١–١٦٤.

(٣) رج تك ١٨: ١١؛ ١٩: ٤، ٣١، ٣٤؛ ٢٤: ١؛ ٣٥: ٢٩؛ يوء ٣: ١؛ يو ٨: ٩؛ أع ٢: ١٧؛ ١ بط ٥: ٥؛ إلخ. قد تعني "برسبيتروس" أيضًا الأكبر بين شخصَين، كما في لو ١٥: ٢٥ ("الابن الأكبر")، والأقدم جيلاً ("الأقدمون"، عب ١١: ٢). من هنا تعني، توسّعًا، أولئك الأشخاص الأجلاّء المحترمين المعتَبرين الذين يتفوّهون بالحكمة (لا ١٩: ٣٢؛ أم ٢٠: ٢٩؛ حك ٢: ١٠). وقد تأخذ معنى تنظيميًّا، أي رئيس جماعة أو قبيلة (خر ٣: ١٦؛ ٤: ٢٩؛ ١٢: ٢١؛ إلخ).

(٤) لا يستعمل بولس كلمة πρεσβυτης خارج الرسائل الرعائيّة إلاّ في الرسالة إلى فيلمون، عندما ينعت نفسه بـ"الشيخ" (فلم ٩)، وقصده المتقدّم في السنّ.

(٥) راجع في المعنى نفسه: عد ٨: ١٠؛ ٢٧: ١٨، ٢٣؛ تث ٣٤: ٩؛ أع ٦: ٦؛ ١٣: ٣؛ ١٤: ٢٣؛ إلخ.

أناسًا أمناء جديرين بأن يعلّموا غيرهم" (٢ تم ٢: ٢). تيموثاوس نفسه وُضعت يد الشيوخ عليه (١ تم ٤: ١٤)، ومن بينها يد بولس (٢ تم ١: ٦)، لكن من غير أن يُسمَّى شيخًا. وهو أيضًا له السلطة أن يضع يده على غيره (١ تم ٥: ٢٢). كذلك تيطس له السلطة أن "يقيم" شيوخًا (مع فعل καθιστημι، تي ١: ٥). من هنا ضرورة التمييز والحذر وعدم الاستعجال في اختيار مَن تتمّ وضع اليد عليهم، لأنّ المسؤوليّة الملقاة على الشيوخ عظيمة: "لا تعجل في وضع يدك على أحد" (١ تم ٥: ٢٢). وضع اليد عمل كنسيّ بامتياز، ترافقه الصلاة والصوم، ومن شأنه أن يربط الشخص المرتسم بجسم الكنيسة، إذ لا رتبة إفراديّة في الكنيسة، بل هي دائمًا في خدمة الجماعة.

ب- مَن مُنحَ "موهبة الله" و"الوديعة الكريمة"

ومِن وَضع اليد، يكتسب المرتسم "الموهبةَ" (χαρισμα)، وهي "موهبة الله" (٢ تم ١: ٦)، أي أنّ الله مصدرها والمنعم بها (من الجذر نفسه لكلمة χαρις، "نعمة"). لهذا كان رجاء بولس لتلميذه ألاّ يهملها (١ تم ٤: ١٤)؛ وإن هي خفتت من جرّاء الكسل والتراخي ومرور الزمن، فمن واجبه أن يضرم نارها من جديد (مع فعل αναζωπυρεω، ٢ تم ١: ٦). هكذا تتفاعل نعمة الله مع عمل الإنسان.

ولأنّ هذه الموهبة من الله، فهي "وديعة" (παραθηκη)، "ووديعة كريمة" (καλη παραθηκη)، وهي من المفردات التي تتميّز بها الرسائل الرعائيّة دون غيرها (١ تم ٦: ٢٠؛ ٢ تم ١: ١٢، ١٤). الوديعة هي مُلك الله، هي وديعة البشارة والإيمان الحقّ والتعليم السليم، والمرتسِم مؤتَمن عليها (١ تم ١: ١١؛ تي ١: ٣). لذلك يجب عليه أن "يحفظها" بعناية (دائمًا مع فعل φυλα′σσω) بواسطة الروح القدس وفعله. نحن إذًا أمام موهبة لم تُعطَ للجميع، بل لفئة من الناس ولهدف معيّن. ما هو هذا الهدف؟

ج- مَن يرئس ويدير؟

نقرأ في ١ تم ٥: ١٧-٢٢ أُولى اللوائح الخاصّة بالشيوخ حصرًا: "والشيوخ الذين يحسنون الإدارة يستحقّون كرامة مضاعفة" (آ١٧). هم موكلون بالرئاسة والإدارة كونهم جُعلوا على رأس الكلّ (ι-στημι-προ). والإدارة تعني التدبير والسهر والرعاية. لا شكّ أنّ المسؤوليّة الملقاة على هؤلاء الشيوخ حسّاسة ومتعبة: هم "يتعبون في إلقاء الكلمة والتعليم" (آ١٨). لا يتعبون فحسب، بل يجاهدون إلى حدّ النزاع (مع فعل αγωνιζομαι، ١ تم ٤: ١٠؛ ٦: ١٢؛ ٢ تم ٤: ٧). لذلك يحقّ لهم أن يأكلوا من جنى أتعابهم، لأنّ العامل يستحقّ أجرته (آ١٨)، والحارث أن يكون أوّل من ينال نصيبه من الغلّة (٢ تم ٢: ٦). هذا المبدأ، الذي طالما شدّد عليه بولس في رسائله (١ كور ٩: ١٤؛ ٢ تس ٢: ٧) داعمًا رأيه بنصّ كتابيّ (تث ٢٥: ٤)، نادى به الربّ يسوع نفسه (لو ١٠: ٧). ليس هذا فقط، بل مَن يحسن الخدمة، تليق به كرامة مضاعفة، شيخًا كان أم شمّاسًا (١ تم ٣: ١٣). غير أنّ بعضهم قد يسيء التصرّف، فإن صدف أن كان لإنسان شكاية على أحدهم، فلا بدّ من أن تُعرَض بوجود شاهدَين أو ثلاثة، كما كان الأمر عليه في الشريعة اليهوديّة (تث ١٧: ٦؛ ١٩: ١٥). ولا يتأخّر بولس في أن يوصي تلميذه بتوبيخ المذنبين منهم بمحضر من الجماعة، كي يتعلّم الباقون ويهابوا من جسامة المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم (آ٢٠).

فضيلة الإدارة هذه، مع الفعل نفسه (ι-στημι-προ)، تُقال في "الأسقف" الذي يدور الكلام عليه في ١ تم ٣: ١-٧. فهو لكي يُعنى بكنيسة الله، التي هي "بيت الله" (١ تم ٣: ١٥)، يجب عليه أوّلاً أن "يحسن إدارة بيته الخاصّ" (آ ٤، ٥). هذا شرطٌ يوضع أيضًا على الشمامسة (١ تم ٣: ١٢). الأسقف، في اليونانيّة εωπισκοπος، يعني الساهر على الجماعة والرقيب المتيقّظ. وردت هذه الكلمة في السبعينيّة (أش ٦٠: ١٧)، ومرّة واحدة في أعمال الرسل (أع ٢٠: ٢٨، حيث لا يفرّق لوقا بين الشيخ والأسقف)، ومرّة وحيدة في رسائل بولس الرئيسيّة (في ١: ١). أمّا

في الرسائل الرعائيّة، فترد مرّتين (١ تم ٣: ٢؛ تي ١: ٧)، وترد كلمة "أسقفيّة" (επισκοπη) مرّة واحدة (١ تم ٣: ١). تُطرح هنا مسألة طالما أثارت جدلاً: **هل "الشيوخ" هم أنفسهم "الأساقفة"؟** في التقليد اللاّحق ثُبِّت الفرق، لكن في نصّ الرسائل لا يُحدَّد الفرق القانونيّ بين الرتبتَين، ولا تُذكَر نوعيّة الرابط بين هؤلاء وأولئك؛ ففي الرسالة إلى تيطس (تي ١: ٥–٩)، مثلاً، يدمج بولس الاثنين في مقطع واحد: يتكلّم أوّلاً على الشيوخ (بالجمع)، ومن ثمّ ينتقل إلى الكلام على الأسقف (بالمفرد)، وكأنّه لا يزال يتكلّم على الفئة نفسها. ففي آ ٧، نجد أداة الربط هذه: "لأنّه يجب على الأسقف أن يكون...". أضف إلى ذلك أنّ بولس يشترط على الأساقفة ما يشترطه على الشيوخ. فكلاهما يرئس ويدير ويعلّم ويرعى، وعليه أن يكون زوج امرأة واحدة، لا يناله لوم لا من داخل الجماعة ولا من خارجها، مضيافًا، رزينًا، قنوعًا، تقيًّا، غير محبّ للمال... وغيرها من الصفات الأخلاقيّة والاجتماعيّة والقياديّة (قارن ١ تم ٣: ٢–٧ مع تي ١: ٥–٩).

د– مَن يعلّم؟

تكمن القيادة خصوصًا في "التعب في إلقاء الكلمة والتعليم" (١ تم ٥: ١٧). يبقى التعليم، مع ما يعنيه من وعظ وتبشير وإعلان لكلمة الله، المهمّة الأساس عند الجميع، رسلاً كانوا أم أساقفة أم شيوخًا. لذلك تحتلّ كلمة "ذيذاسكاليّا" (διδασκαλια) مكانة خاصّة في الرسائل الرعائيّة، إذ ترد فيها ١٥ مرّة من أصل ٢١ مرّة في كلّ العهد الجديد؛ فبولس ذاتُه يعرّف عن نفسه بثلاث صفات: هو "مبشّر ورسول ومعلّم" (١ تم ٢: ٧؛ ٢ تم ١: ١١)، وتيموثاوس أيضًا، الذي تربّى على الإيمان وتغذّى من التعليم الحسن (١ تم ٤: ٦) وتبع بولس في التعليم (٢ تم ٣: ١٠)، هو مدعوّ دائمًا أن يواظب على "القراءة والوعظ والتعليم" (١ تم ٤: ١٣؛ رج ٣: ١١، ١٦؛ ٦: ٢)، وأن يعلن كلمة الله، ويلحّ عليها بوقتها وبغير وقتها (٢ تم ٤: ٢)، لأنّ أزمنة ستأتي لا يحتمل الناس فيها التعليم الصحيح ويكدّسون معلّمين لهم على حسب هواهم (٢ تم ٤: ٣–٤). في الواقع، تجتاح الرسائلَ الرعائيّة أفعالُ الأمر التي يوصي بولس تلميذَيه بها، والتي تشدّد على طابع التعليم الذي أُلقي على عاتقهما وعلى عاتق كلّ من يتسلّم القيادة في الجماعة: "عَلِّم" (διδασκω)، "وَصِّ" (παραγγειλλω)، "أَعلِنْ" (κηρυσσω)، "عِظْ" (παρακαλεω)، "تكلَّمْ" (λαλεω)، "وبِّتتخْ" (εωπιτιμαω)، "أَنذِرْ" (εωλεγχω)، "أَلِحَّ" (εφιστημι)، "ذَكِّرْ" (υπομιμνησκω) [٦]. ومن التعابير التي لا ترد إلاّ في الرسائل الرعائيّة، هناك واحد يجب على الأسقف أن يتحلّى به، وهو أن يكون "قادرًا على التعليم" (διδασκτικος، ١ تم ٣: ٢؛ ٢ تم ٢: ٢٤)، أي ذا موهبة في إيصال كلمة الله إلى الآخَرين. هذه المهامّ كلّها لم يكن للمرتسم أن يمارسها لو لم يُعطَ الأمر والسلطان من فوق: "هكذا تكلّمْ وعِظ بما لك من سلطان تامّ" (تي ٢: ١٥). لهذا لا يحقّ لأحد أن يستخفّ به، حتّى لو كان شابًّا نظير تيموثاوس وتيطس (١ تم ٤: ١٢؛ تي ٢: ١٥).

هـ– "ابن في الإيمان"، "خادم صالح"، "رجل الله"، "جنديّ صالح"، "عبد الربّ"...

كثيرة ألقاب الرسول في الرسائل الرعائيّة، إذ يُطلق بولس على تلميذَيه تيموثاوس وتيطس ما يجب أن يتحلّى به كلّ رسول وكلّ شيخ.

– **ابن الإيمان:** فكلّ منهما هو أوّلاً "ابنٌ مُخلِص في الإيمان" (١ تم ١: ٢؛ تي ١: ٤). يبقى الإيمان منطلقَ كلِّ شيء، وليس أيّ إيمان، بل ذلك الذي لا رياء فيه (ανυποκριτος، ١ تم ١: ٥؛ ٢ تم ١: ٥). هذه الأصالة الإيمانيّة ضروريّة، لأنّ الأيّام شريرة وقد يحيد البعض عن جادّة الصواب وتنكسر بهم سفينة الإيمان (١ تم ١: ١٩؛ ٤: ١؛ إلخ). تحذيرات كهذه

(٦) رج ١ تم ١: ٣؛ ٤: ١١؛ ٥: ١، ٧، ٢٠؛ ٦: ٢، ١٧؛ ٢ تم ٢: ١٤؛ ٤: ٢؛ تي ١: ٩، ١٣؛ ٢: ١، ١٥؛ ٣: ١.

نجدها في كلّ صفحة من صفحات الرسائل الرعائيّة لتعكس الجوّ العامّ الذي كُتبت فيه. نحن في عصر متأخّر، وقد مرّ زمن على البدايات المفعمة حماسًا. لذلك على مَن يرئس ويرعى أن يكون "متغذّيًا بكلام الإيمان والتعليم الحسن" (١ تم ٤: ٦)، وقدوة للغير "بالكلام والسيرة والمحبّة والإيمان والعفاف" (١ تم ٤: ١٢)، و"يسعى وراء البِرّ والتقوى والإيمان والمحبّة والصبر والوداعة" (١ تم ٦: ١١؛ ٢ تم ٢: ٢٢). وإن لزم الأمر، فهو مدعوّ إلى أن يوبّخ بشدّة لكي يبقى المؤمنون "أصحّاء في الإيمان" (تي ١: ١٣؛ ٢: ٢). بولس نفسه كان مضطرًّا أن يحرم عضوَين من الجماعة، "ويسلّمهما إلى الشيطان كي يتعلّمَا ألاّ يجدّفَا" (١ تم ١: ٢٠؛ رج أيضًا ١ كو ٥: ٥). الإيمان، كما نرى، ليس مفهومًا نظريًّا منفصلاً عن باقي الفضائل، بل هو في لبّها ومرتبط بها أشدّ ارتباط. غالبًا ما نراه مرتبطًا، بـ"المحبّة" (١ تم ١: ٥، ١٤؛ ٢: ١٥؛ ٤: ١٢؛ ٦: ١١؛ إلخ)، و"الضمير الصالح" (١ تم ١: ٥، ١٩؛ ٣: ٩)، "والسيرة" (١ تم ٤: ١٢).

– **خادم المسيح يسوع**: الراعي هو "خادم صالح للمسيح يسوع" (καλο/ φ ε′ση δια′κονος Χριστου/ Ιησου). بولس نفسه أُقيمَ للخدمة، وما خدمته سوى نعمة من الربّ: "أشكر للمسيح يسوع ربّنا الذي قوّاني أنّه عدّني أمينًا فأقامني للخدمة" (١ تم ١: ١٢)، وعلى شاكلته يجب أن يكون تيموثاوس وكلّ مكرّس. خدمة المسيح تمرّ عبر خدمة الإخوة: "وأنتَ إذا ما عرضتَ ذلك للإخوة، كنتَ للمسيح يسوع خادمًا صالحًا" (١ تم ٤: ٦). لا مرتبة في الكنيسة تُقام لأجل ذاتها، بل لأجل بنيان الجسم كلّه. ومن يُعطى الخدمة عليه أن يبلّغها ملئها، وأن يتمّمها أحسن إتمام. هذا ما يوصيه بولس جازمًا لتلميذه: "أمّا أنت... فاعمَل عمل المبشّر وأتمّ (πληροφορε′ω) خدمتك" (٢ تم ٤: ٥).

– **وكيل الله**: وكلقب مشابه للسابق، يُدعى الأسقف "وكيل الله" (οιϖκονομοφ Θεου/ ، تي ١: ٧)، أي أنّ الله أقامه قيّمًا على كنيسته، التي هي "بيت الله" (١ تم ٣: ١٥)، كما هو حال الوكيل في الأمثلة الإنجيليّة (لو ١٢: ٤٢؛ ١٦: ١؛ إلخ). والصفة الأولى للوكيل هي الأمانة: "فليُعدَّنا الناس خدمًا للمسيح ووكلاء أسرار الله، وما يُطلب آخر الأمر من الوكلاء أن يكون كلّ منهم أمينًا" (١ كور ٤: ١–٢). هذا الوكيل سيؤدّي في آخر الأزمان الحساب عن وكالته. هذه حالة بولس (٢ تم ٤: ٦–٨)، وآخرين غيره (٢ تم ٤: ١٤)، لهذا تكثر في الرسائل الرعائيّة عبارتا: "في حضرة الله" (ενωπιον του Θεου ، ١ تم ٥: ٤، ٢١؛ ٦: ١٣؛ ٢ تم ٢: ١٤؛ ٤: ١)، "في ذلك اليوم" (٢ تم ١: ١٢، ١٨؛ ٤: ٨).

– **عبد الربّ**: لقب آخر مشابه، هو "عبد الربّ" (δου/λος. κυριου): "إنّ عبد الربّ يجب عليه ألاّ يكون مشاجرًا، بل لطيفًا بجميع الناس، أهلاً للتعليم، صبورًا، وديعًا في تأديب المخالفين" (٢ تم ٢: ٢٤–٢٥). كلمات تُردِّد صدى كلمات النبيّ أشعيا المشهورة في عبد الربّ: "هوذا عبدي الذي أعضدُه، مختاري الذي رضِيَتْ عنه نفسي، قد جعلتُ روحي عليه، هو يُبدي الحقّ للأمم. لا يصيح ولا يرفعُ صوته، لا يُسمِع صوتَه في الشوارع. القصبةُ المرضوضة لن يَكسرَها، والفتيلةُ المدخِّنة لن يُطفئها. يُبدي الحقَّ بأمانة. لا يَني ولا ينثني إلى أن يُحلَّ الحقَّ في الأرض" (أش ٤٢: ١–٤). العبد إنّما هو الخادم الأمين، نظير بولس "عبد الله ورسول المسيح يسوع" (تي ١: ١).

– **رجل الله**: ومن المفردات التي تتميّز بها الرسائل الرعائيّة، هي ما يطلقه بولس على تيموثاوس: "أمّا أنتَ، يا رجل الله" (ανθρωπος Θεου ، ١ تم ٦: ١١؛ ٢ تم ٣: ١٧). في العهد الجديد، لا تأتي العبارة بصيغة المفرد إلاّ هنا، بينما نجد صيغة الجمع، "أناس الله"، في رسالة بطرس الثانية (٢ بط ١: ٢١). أطلق العهد القديم هذا اللقب على ملاك الربّ (قض ١٣: ٦؛ ١ صم ٢: ٢٧)، وموسى (تث ٣٣: ١)، وصموئيل (١ صم ٩: ٦)، والنبيّ إيليّا (١ مل ١٧: ٢٤)، وأليشاع (٢ مل ٤: ٩)، والنبيّ المرسَل من الربّ (٢ أخ ٢٥: ٧). رجل الله هو مرسَلٌ من الله ليعمل عمل الله. هكذا على تيموثاوس أن يكون "كاملاً مُعَدًّا لكلّ عمل صالح" (٢ تم ٣: ١٧)، يعرف "كيف يتصرّف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحيّ"

(١ تم ٣: ١٥). لا شيء أنفع من الكتب المقدّسة كي تجعل من الرسول رجلاً لله مُعَدًّا لأن يعمل عمل الله. هي وحدها قادرة على أن تجعله حكيمًا بارعًا في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب (٢ تم ٣: ١٥-١٦). من هنا ضرورة الانكباب على قراءتها (١ تم ٤: ١٣).

– جنديّ صالح ليسوع: والراعي أيضًا هو "جنديّ صالح ليسوع المسيح" (٢ تم ٢: ٣، στρατιωτης عند بولس إلاّ هنا)، ذو شكيمة قويّة، مستعدّ لأن "يحارب أحسن محاربة" (مع فعل στρατευμαι، ١ تم ١: ١٨)، لأن يشارك الغير في الآلام والضيقات (٢ تم ١: ٨؛ ٢: ٣؛ ٣: ١١)، لأن يتحمّل المشقّات (٢ تم ٢: ٩؛ ٤: ٥)، وبصبر جزيل وطول أناة (١ تم ١: ١٦؛ ٦: ١١؛ ٢ تم ٢: ١٠، ١٢؛ ٣: ١٠؛ ٤: ٢). هكذا يمثل أمام الله في آخر الزمان رجلاً "مختبَرًا" (δοκιμος، ٢ تم ٢: ١٥). من أين تأتيه هذه الروح العالية؟ من الله نفسه الذي "لم يعطِنا روح الخوف، بل روح القوّة والمحبّة والفطنة" (٢ تم ١: ٧). بنعمة الله يتقوّى الراعي على كلّ الصعاب: "تقوَّ، يا بنيّ، بالنعمة التي في المسيح يسوع" (٢ تم ٢: ١)، تمامًا كما الله قوّى بولس في الخدمة وعلى حمل البشارة (١ تم ١: ١٢؛ ٢ تم ٤: ١٧). كما نرى، عزيزة جدًّا على قلب بولس صورة الجنديّ الذي يجاهد ويحارب من أجل المسيح، الذي "جنّد" (فعل στρατολογε′ω لا يرد إلاّ هنا) لأجله رسلاً يقتحمون المصاعب متّكلين على نعمته (١ كو ٩: ٧؛ ٢ كو ١٠: ٣).

– رياضيّ: بالإضافة إلى لغة العسكر، يستعين بولس بعالم الرياضة ليصف الرسول بمصارع لا يحصل على الإكليل إلاّ إذا صارع صراعًا شرعيًّا (٢ تم ٢: ٥، مع فعل αθλεω الذي لا يرد عند بولس إلا هنا). الفوز بالحياة الأبديّة مطلوب (١ تم ٦: ١٢، مع فعل επιλα.μβανομαι)، والجائزة المنتظرة هي "إكليل البِرّ" (٢ تم ٤: ٨)، تمامًا مثل الرياضيّين. أمّا الذي يتقاعس فلا يُكلَّل (٢ تم ٢: ٥). العالم فاسد، والحياة فيه صراع دائم، بالأخصّ للذين يريدون أن يحيوا بالتقوى في المسيح، فإنّهم يُضطَهدون (٢ تم ٣: ١٢). من هنا، لا بدّ من تمارين روحيّة دائمة، من ترويض على التقوى: "روِّض نفسك على التقوى" (١ تم ٤: ٧، مع الفعل الرياضيّ γυμναζω). والتقوى أنفع بما لا قياس من "الرياضة البدنيّة" (١ تم ٤: ٨، γυμνασια لا ترد إلاّ هنا). تشدّد الرسائل الرعائيّة كثيرًا على فضيلة التقوى؛ فكلمة ευσεβεια ترد فيها ١٠ مرّات من أصل ١٥ مرّة في العهد الجديد كلّه. يدور الكلام على "سرّ التقوى العظيم" (١ تم ٣: ١٦)، التي لها قوّة لا يفهمها كثيرون (٢ تم ٣: ٥).

كلّ هذه الألقاب التي تليق بكلّ راعٍ ورسول، غايتها إنّما أن تجعل من كلّ مَن مُنح نعمة وضع اليد "قدوةً للمؤمنين" (١ تم ٤: ١٢)، "قدوةً في الأعمال الصالحة" (تي ٢: ٧)، تمامًا كما جعل الله من بولس "مثالاً" لكلّ الذين سيؤمنون (١ تم ١: ١٦، τυπος، بكلّ ما للكلمة من معنى). بكلام آخر، كلّ راعٍ مدعوّ ليكون "شاهدًا" أصيلاً للربّ، لا يستحي بأن يؤدّي شهادةً عن الملكوت أمام الجميع (١ تم ٦: ١٢؛ ٢ تم ١: ٨)، على مثال "المسيح يسوع الذي شهد شهادة حسنة أمام بنطيوس بيلاطس" (١ تم ٦: ١٣).

خاتمة

بعد أن مخرنا بحر الرسائل الرعائيّة، نتلمّس فيها ملامحَ رسول المسيح وأسقفه وشيخه، محاولين بذلك أن نرسم معالم لاهوت كهنوتيّ، من خلال ما كتبه رسول الأمم إلى اثنين من تلاميذه، كانَا الأقرب إلى قلبه، يبقى السؤال: مَن هو الكاهن؟ هو، أوّلاً، مَن تُحاكُ قصّة دعوته فوق، عند الله "الذي دعانا دعوة مقدّسة، لا بالنظر إلى أعمالنا، بل وفقًا لسابق تدبيره والنعمة التي وُهبَت لنا في المسيح يسوع منذ الأزل" (٢ تم ١: ٩)؛ هو، ثانيًا، مَن "يتمّ شوطه" (٢ تم ٤: ٧) متّكلاً على قوّة نعمة الله، وساعيًا أن "يخلّص نفسه والذين يستمعون إليه" (١ تم ٤: ١٦)؛ وهو، ثالثًا، مَن يجرؤ على أن يقول، مع بولس، في نهاية مطافه على هذه الأرض: "إنّي أعرف بمن آمنت" (٢ تم ١: ١٢)، ليس إلاّ لأنّ له ملء الثقة بأنّ "الربّ يعرف الذين له" (٢ تم ٢: ١٩).

صورة الكاهن في رسالة القدّيس يعقوب

الخوري جورج عنتابي
دبلوم دراسات معمّقة في اللاهوت ودكتور في الفلسفة

مقدّمـــة

يَصلح فـي رسالـة القدّيس يعقوب لقـب "العظة"؛ فهي، فـي الواقع، عظة طويلـة كُتبت إلى "الإخـوة" في الربّ، وإلـى هـؤلاء الإخـوة يوجّـه الرسـول باقـة مـن التوجيهـات، الإيمانيّـة منها والأخلاقيّة. وبفضل طابعها التوجيهيّ هـذا، هـي تصلـح للجميـع، للرسول والشيـخ والمعلّـم ولأيّ مؤمن عاديّ. لمـاذا هـذا التعميـم؟ لأن لا أحـد في الكنيسة معفـى من هـذه التوجيهات. يعترف يعقوب في مكان ما بأنّ الجميع تحـت حُكـم الزلّة ومعرَّضـون للخطأ (يـع ٣: ٢)، فالجميع إذًا يحتاجون إلى التعليـم والتذكير. من هنـا، نستطيع أن نقول إنّ ما يُقال في الرسالة كلّها يصلح لأن يتوجّـه إلـى الجماعـة المسيحيّـة بأسرها وبمختلف مواهبها.

لأجل ذلك إذا أردنا أن نستخرج من الرسالـة صورةً عـن الكاهن وعن دوره في رسالة يعقوب، فلا بدّ لنا من أن نلقي نظرة على الرسالة من بابها الواسع، غير متغافليـن، بالطبع، عن المـرّة الوحيدة التي ترد فيهـا كلمة "شيـخ" (باليونانيّة "بريسبيتروس") في ٥: ١٤.

سنقسم موضوعنا إلى محورَين:

١) الكاهـن، أوّلاً، هـو مَـن يؤمـن ويعمـل: في هـذا المحـور نتأمّل في علاقـة الكاهن بالكلمـة سماعًا وعمـلاً؛ ومـن ناحية أخـرى، في الكاهن في وجهه العلائقيّ: أي في علاقتـه بالفقراء والأغنيـاء، بالأيتام والأرامل، وبالإخوة.

٢) الكاهـن، ثانيًا، هو رجل صلاة: في هـذا المحور نتأمّل في دور الكاهن المصلّي؛ فالصـلاة التي يتلوها هي "صـلاة إيمـان" لهـا قـوّة تخلّص المريض، وتغفر له خطاياه.

١ – الكاهن يؤمن ويعمل

تشكّل معادلةُ إيمان–أعمال محورَ الرسالة الرئيسيّ. يتطرّق إليها يعقوب بشكل مباشر في ٢: ١٤–٢٦، وبشكلٍ غير مباشر في ١: ٢١–٢٥ (سماعٌ الكلمة والعمل بها)، وفي ١: ٢٦–٢٧ (التديُّن هو في لجم اللسان وافتقاد الأيتام والأرامل)، وفي ٢: ١٢–١٣ (مع فعلَي "تكلَّمْ واعمَلْ"). الكلام بالطبع لا يُوجَّه إلى أيّ شيخ بوجه التحديد، بل إلى الجميع، إلى كلّ الإخوة.

أ – الكاهن يعمل بالكلمة

يقول النصّ: "تقبّلوا بوداعةٍ الكلمة المغروسة فيكم والقادرة على خلاص نفوسكم، وكونوا ممّن يعملون بهذه الكلمة، لا ممّن يكتفون بسماعها فيخدعون أنفسهم؛ فمَن يسمع الكلمة ولا يعمل بها يشبه رجلاً ينظر في المرآة صورة وجهه؛ فما إن نظر إلى نفسه ومضى حتّى نسي كيف كان. وأمّا الذي أكبّ على الشريعة الكاملة، شريعة الحرّيّة، ولزمها، لا شأن من يسمع ثمّ ينسى، بل شأن من يعمل، فذاك الذي سيكون سعيدًا في عمله" (يع ١: ٢١–٢٥).

الكاهن هو أوّل مَـن عليه أن يكون أرضًـا طيّبـة تُغرَس فيهـا الكلمة، كلمة الكتاب، أي كلمة الله. يستعمل يعقوب عبارة "الكلمـة المغروسة"، دالاًّ بذلك علـى تجـذّر هـذه الكلمـة فـي نفس المؤمن. الكلمة قريبة من المؤمن، وهي

صلبة، تملك في ذاتها قوّة النموّ (مر ٤: ٢٧)، لذلك هي "قادرة" على أن تخلّص النفس. غير أنّ هذه الكلمة هي قدرةٌ داخليّة بالقوّة، ولا تصير بالفعل إلاّ إذا عمل بها المؤمن: "كُن ممّن يعمل بهذه الكلمة". الكلمة أُعطيَتْ كي يُعمَلَ بها، كي تثمر أعمالاً صالحة، وتتجسّد في سلوك حسن. هذا شرط طالما شدّد عليه الكتاب المقدّس بعهدَيه. من بين النصوص الكثيرة، نكتفي بإيراد هذا النصّ الرائع من سفر تثنية الاشتراع: "وأنتَ [شعب إسرائيل] ترجع وتسمع لصوت الربّ، وتعمل لجميع وصاياه التي أنا آمرك بها اليوم. ويزيدك الربّ إلهك خيرًا في كلّ عمل من أعمال يديك، وفي ثمر بطنك، وثمر بهائمك، وثمر أرضك... إنّ هذه الوصيّة التي أنا آمرك بها اليوم ليست فوق طاقتك ولا بعيدة عنك؛ لا هي في السماء فتقول: من يُصعد لنا إلى السماء فيتناولها لنا، ويُسمعنا إيّاها فنعملَ بها؟ ولا هي عبر البحر فتقول: من يعبرُ لنا البحرَ فيتناولها لنا ويسمعنا إيّاها فنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جدًّا، في فمك وفي قلبك لتعمل بها" (تث ٣٠: ٨-٩، ١١-١٤).

ومَن لا يعمل بالكلمة، "يخدع نفسه" (آ ٢٢)، والفعل اليونانيّ المستعمل (بارالوغيزومي) يدلّ، في جذره، على مجاراة الحقيقة، وليس على إصابتها. يشبه إنسانًا رأى صورته على حقيقتها في مرآة، ثمّ عاد ونسي مَن هو. القصّة إذًا قصّة هويّة. الكاهن هو من يثبت على الكلمة، مَن "ينكبّ على شريعة الحرّيّة ويلزمها" (آ ٢٥)، ولا يدع هموم الحياة تُنسيه إيّاها (مر ٤: ٣-٩).

ب - الكاهن يصون لسانه ويَفتقد الأيتام والأرامل

يوصي يعقوب: "ومَن ظَنَّ أنّه دَيِّن ولم يلجم لسانه، بل خدع قلبه، كان تديّنه باطلاً" (١: ٢٦). من أولى مظاهر العمل بالكلمة هو لجم اللسان. موضوع عزيز على قلب يعقوب، وهو يعود إليه في ٣: ١-١٢. اللسان أداة التواصل الأولى بين الإنسان وأخيه، وإذا انقطع أيّ تواصل بين البشر، فهو أوّلاً بسبب زلاّت اللسان. لأجل ذلك كلُّ تديّن عند المؤمن لا تُقاس أصالته إلاّ بمدى احترامه للسانه، أي لعلاقته مع الآخر. الكاهن، المتواصل دائمًا مع الناس، والمفروز لخدمة الناس، يجب عليه أن ينشّئ أوّلاً لسانه، وإلاّ لكان عمله كلّه "باطلاً" ("ماتيوس")، أي فارغًا لا معنى له. بلسانه يبارك الكاهن الله الآب، ويتلو الصلوات باسم الربّ (يع ٣: ٩). من هنا يجب أن يتنبّه جيّدًا لكي لا يتحوّل لسانه إلى أداة يلعن بها الآخر. يذكّرنا هذا بكلام آخر لبطرس الرسول: "مَن شاء أن يحبّ الحياة ويرى أيّامًا سعيدة، وجب عليه أن يكفّ لسانه عن الشرّ وشفتيه عن كلام الغشّ" (راجع ١بط ٣: ١٠).

بعد الكلام على لجم اللسان، ينتقل يعقوب إلى مظهر إيجابيّ، هذه المرّة، من مظاهر التديّن الأصيل: "إنّ التديّن الطاهر النقيّ عند الله الآب هو افتقاد الأيتام والأرامل في شدّتهم وصيانة الإنسان نفسه من العالم ليكون بلا دنس" (١: ٢٧). الأيتام والأرامل هما الفئتان اللتان تستحوذان على قلب كلّ كاتب ملهم؛ فواجب مساعدتهما والاعتناء بهما فريضة على كلّ مؤمن (تث ١٠: ١٨؛ أش ١: ١٠-١٧...). الكاهن هو آوي الأيتام والأرامل الأوّل، وهذا عمل كنسيّ بامتياز. "الرحمة، يقول يعقوب لاحقًا، تستخفّ بالدينونة" (٢: ١٣). في أكثر من مكان، يستذكر يعقوب الفقراء، ويوصي بضرورة معاملتهم بالحسنى والرِفق. يحذّر، مثلاً، في بداية الفصل الثاني، من خطيئة محاباة الوجوه والتزلُّف البشع الذي تكون نتيجته إكرام الأغنياء وتحقير الفقراء. هذه أعظم الخطايا بنظر يعقوب: "إذا راعيتم الأشخاص ترتكبون خطيئة، وتُثبت الشريعة عليكم أنّكم من المخالفين" (٢: ٩). هذا التحذير يوجّهه يعقوب إلى الجماعة المصلّية: "إذا دخل مجمعكم" (٢: ٢)، وبالأخصّ طبعًا إلى الشيخ الذي يرأسها. على الشيخ أن يعلم أنّ الفقير هو مِن أحبّ الناس إلى قلب الله، وإهانته هي بالتالي إهانة لله نفسه (٢: ٦).

بعد الرحمة، يتجلّى تديُّن الإنسان في "صيانة نفسه من العالم، ليكون

بلا دنس". ترد عبارة "عالم" عند يع ٥ مرّات، هنا وفي ٢: ٥؛ ٣: ٦؛ ٤: ٤ (مرّتين). وللعالم في جميعها معنى سلبيّ كقوّة معادية لله وللمؤمنين به، تمامًا كما هو المعنى عند الإنجيليّ الرابع (مثلاً، يو ١٤–١٧). لا يجزع يعقوب لاحقًا من التحذير قائلاً بوضوح: "أيّها الزناة، ألا تعلمون أنّ صداقة العالم عداوة الله؟ فمن أراد أن يكون صديق العالم أقام نفسه عدوًّا لله" (٤: ٤). الكاهن المكرّس للربّ لا يمكن أن يكون عبدًا للعالم وما فيه؛ فهذا يناقض تمامًا منطق يسوع. هو في العالم، لكن ليس من العالم (يو ١٧).

ج – الكاهن يجسّد إيمانه أعمالاً (٢: ١٤–٢٦)

إنّه النصّ الرئيس في معادلة إيمان–أعمال. يكتب يعقوب هذا النصّ بتعابير بولسيّة، لكن ليس ليوافق بولس بل ليعارضه. هذا ما يبدو على الأقلّ من ظاهر النصّ. ينطلق يعقوب من مبدأ واضح: الإيمان وحده لا يقود إلى الخلاص: "أبوسع الإيمان وحده أن يخلّص؟". وكجواب أوّل، يعطي يعقوب مثلاً مستمَدًّا من حياة الجماعة المسيحيّة: لا يمكنك أن تقول إنّك تؤمن، بينما تترك أخاك عريانًا وجائعًا. إيمان كهذا لا يتجسّد في عمل رحمة، ولا يولي اهتمامًا حتّى لأكثر حاجات الإخوة إلحاحًا، هو إيمان أعمى وفارغ. ما يطلبه الأخ هنا ليس النافل من الثياب، بل ما يكسي به عريه، وليس الفاخر من الطعام، بل "اليوميّ" منه الذي يسدّ به جوعه ويبقيه على قيد الحياة. إذا كان أيّ أخ في الجماعة، أو أيّ أخت، مدعوًّا إلى أن يجسّد إيمانه أعمالاً، فكم بالأحرى الكاهن الذي هو على رأس الجماعة؟ يذكّرنا هذا بالطبع بكلام القدّيس يوحنّا الرائع: "مَن كانت له خيرات هذا العالم، ورأى أخاه في فاقة، فحبس عنه أحشاءه، فكيف تثبت فيه محبّة الله؟ لأجل ذلك، يا بَنيّ، لا تكن محبّتنا بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحقّ" (١ يو ٣: ١٧–١٨).

ثمّ يورد يعقوب مثلاً آخَر: "أنت تؤمن بأنّ الله أحد، فقد أحسنت؛ والشياطين هي أيضًا تؤمن به وترتعد" (آ ١٩). يذكّرنا هذا الكلام بما جاء في الأناجيل، عندما كانت الأرواح النجسة تعترف بأنّ يسوع هو ابن الله، فيأمرها بأن تخرج من الذين تسكنهم (مر ١: ٢٤؛ ٥: ٧). الشيطان يؤمن عن كذب، يدّعي الإيمان، كونه لا يعمل بما يؤمن به. هكذا يكون كلُّ مَن يؤمن ولا يعمل. يقول يعقوب فيه إنّه "أبله"، أي فارغ، وإيمانه عقيم لا ثمر له.

بعد هذين المثلَين، يستنجد يعقوب بأمثلة من الكتاب المقدّس ليدعم أطروحته. أوّل المستدعين هو إبراهيم، الشخصيّة الأحبّ أيضًا على قلب بولس. يستحضر يعقوب هنا طاعة إبراهيم عندما يلمّح إلى تقدمة إسحق (تك ٢٢). إبراهيم أطاع إلى التمام، وبطاعته اكتمل إيمانه. الكاهن يغدو إبراهيمَ آخَرَ إذا أطاع، إذا جرّه إيمانه إلى خبرات قصوى مع الله. أن يختبر الكاهن الله، هذا يعني ألاّ يقف عند حدود إيمانه المعلَن في الكلمة، بل أن يدخل مع الله في شركة حياة تتحوّل صداقة معه، تمامًا كإبراهيم "خليل الله". الكاهن، المتمثّل بإبراهيم، ينجح في الامتحان، إذا امتُحن، فلا يحبس العطيّة له، بل يردّ إلى الربّ ما سبق للربّ أن أعطاه إيّاه. لماذا؟ لأنّه يؤمن بأنّ كلّ ما له، هو في الحقيقة ليس له وليس منه، بل للربّ ومن الربّ. إبراهيم أبدى استعدادًا إلى أن يذهب بإيمانه إلى الغاية، كذلك يكون الكاهن، مثالاً لجماعته في طاعة الإيمان.

الشخصيّة الأخرى المستدعاة هي راحاب، التي لم تُمدَح هنا لإيمانها بإله إسرائيل، بل لمجرّد عملها بمساعدة الرسولَين للإفلات من الكنعانيّين (يش ٢: ٩–١١). ويخلص بعدها يعقوب إلى القول، في معادلة لا تخلو من الغرابة، إنّ العمل هو للإيمان، كالروح للجسد.

خلاصة القول، الكاهن هو إنسان إيمانه، "يعمل" في أعماله، و"يكتمل" بها (آ ٢٢). تمامًا كما قال بولس الرسول الذي نادى بـ"الإيمان العامل بالمحبّة" (غل ٥: ٦). المحبّة تتوّج كلّ شيء، ومن دونها لا قيمة لشيءٍ البتّة.

٢ – الكاهن يصلّي ويمارس الأسرار

نصل هنا إلى مُرادنا، أي إلى المرّة

الوحيدة التي ترد فيها كلمة "شيخ" في رسالة يعقوب. يقول النصّ: "هل فيكم متألّم؟ فليصلِّ. هل فيكم مسرور؟ فليُنشد. هل فيكم مريض؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة، وليصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. إنّ صلاة الإيمان تخلّص المريض، والربّ يعافيه. وإذا كان ارتكب بعض الخطايا غُفرت له. فليعترف بعضكم لبعض بخطاياه، وليصلِّ بعضكم لبعض كي تشفوا، لأنّ صلاة البارّ تعمل بقوّة عظيمة" (٥: ١٣-١٦).

أ – الكاهن/الشيخ يصلّي "صلاة إيمان"

نشير أوّلاً إلى صيغة الجمع لكلمة "شيخ". هم "شيوخ الكنيسة". نحن هنا في مرحلة متأخّرة من تاريخ الجماعة المسيحيّة، حين وعت الجماعة لنفسها أنّها "كنيسة" متميّزة عن المجمع اليهوديّ، وحين أصبح الشيوخ جسمًا كنسيًّا واضح المعالم، يؤلّف مجموعهم "مجلس الشيوخ" (برسبيتيريون)، الوارد ذكره في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (١ تم ٤: ١٤). المؤمنون يستدعون الشيوخ كي يصلّوا على المريض. هناك إذًا ترتيب للأمور، وما يجري هو أكثر من صلاة شخصيّة يقوم بها الفرد وحده. في النصّ نفسه نوعان من الصلاة:

– الصلاة الفرديّة التي يتلوها المريض وحده إذا تألّم: "هل فيكم متألّم؟ فليصلِّ"،

– والصلاة الجماعيّة التي تتمّ باسم الكنيسة وبحضور الشيوخ.

يتلو الشيخ الصلاة "على" المريض، أي بوضع يده عليه. ووضع اليد حركة قديمة العهد تعبّر عن انتقال قوّة الشفاء من الشافي إلى المريض. يسوع نفسه استعملها حركة للشفاء (مر ٥: ٢٣؛ ٦: ٥؛ ٨: ٢٣، ٢٥؛ لو ٤: ٤٠؛ ١٣: ١٣). بعد قيامته، أوصى يسوع تلاميذه بأن يشفوا المرضى بوضع أيديهم عليهم (مر ١٦: ١٨). غالبًا ما تكون هذه الحركة مصحوبة بالدعاء. وهنا يرافقها أيضًا المسح بالزيت. الزيت في العالم القديم مادّة شفائيّة بامتياز، واستعماله كان واسع الانتشار (أش ١: ٦؛ مر ٦: ١٣؛ لو ١٠: ٣٤). نحن هنا أمام حركة أسراريّة تطوّرت في ما بعد لتصبح أساس سرّ المسحة بالزيت المقدّس. هذه المسحة لا يقوم بها إلاّ الشيخ، لأنّها تتمّ "باسم الربّ". مَن يشفي هنا ليس الشيخ بقواه الطبيعيّة، وإلاّ غدا الأمر سحرًا وشعوذة. الشافي الوحيد هو الله، لا الشيخ ولا أيضًا فاعليّة الزيت: "الربّ يقيمه". الشيخ هو الناطق باسم الربّ، وما يقوم به من صلوات وحركات، إنّما يفعلها باسم الربّ. الربّ هو صاحب الموهبة، لا الإنسان. منذ البداية يوضّح يعقوب هذا المبدأ: "إنّ كلّ عطيّة صالحة وكلّ هبة كاملة تنزل من عل من عند أبي الأنوار" (١: ١٧).

ب – الكاهن يمارس الأسرار

ولأنّ الكاهن يعمل هذا كلّه باسم الربّ، فتغدو صلاته "صلاة الإيمان" (آ ١٥). لا ترد هذه العبارة إلاّ هنا، وتكمن فرادتها في أنّها تصدر على لسان يعقوب الذي سبق ومجّد الأعمال على الإيمان. لهذه الصلاة قدرة خلاص. وخلاصها لا يقتصر فقط على الناحية الجسديّة، بل أيضًا لها قوّة على مغفرة الخطايا: "وإذا كان ارتكب بعض الخطايا تُغفَرُ له" (آ ١٥). الذي يغفر هو أيضًا الله؛ فالفعل المستعمل يأتي في صيغة المجهول. نحن إذًا أمام صحّة كاملة، في الجسد والروح. هذا هو بالتحديد عمل الكاهن: حامل خلاص الله للمؤمنين، خلاص النفس وخلاص الجسد.

لا يتكلّم يعقوب هنا على سرّ التوبة بشكل مستقلّ، أو كسرٍّ واضح المعالم، بل هو يربطه بمسحة الزيت. كما أنّه يوصي في آ ١٦ على أن يعترف كلّ واحد للآخر بخطاياه، وأن يتشارك مع أخيه بالصلاة. هل هذا الاعتراف يتمّ أمام الشيخ فقط، كما هو الأمر حاليًّا في سرّ التوبة؟ الأمر مستبعد، لأنّنا ما زلنا هنا في حقبة لم تكن الأسرار فيها قد أخذت بعدُ شكلَها النهائيّ. الاعتراف يتمّ ضمن الجماعة وأمام الجماعة. هو نوع من الشفاء الجماعيّ: "كي تشفوا". وهذا الشفاء يتمّ في جوّ من الصلاة. الشيخ كان مَن يدير الصلاة ويترأّسها، لأنّ النظام واجب عندما تجتمع الجماعة لتصلّي ولا مكانَ للفوضى. هذا ما شدّد عليه كثيرًا القدّيس بولس في رسائله في أكثر من مكان (١ كور ١٢: ٤-١١، ٢٧-٢٨؛ ١٤...).

خاتمة

الشيخ هو "معلّم" في جماعته (يع ٣: ١). هو يعلّم بقوله كما بمثله. الشيخ رجل يصلّي، وصلاته تخرج من فمه "دعاء بارّ" (٥: ١٦). هذه هي منمنمة عن صورة الكاهن عند يعقوب. الكاهن على رأس الجماعة، ويُطلب منه الكثير لأنّه أُعطي الكثير (لو ١٢: ٤٨). من هذا المنطلق، ما قاله يعقوب لجماعته، يقوله بشكل خاصّ إلى مَن يرأس هذه الجماعة. الكاهن في رسالة يعقوب، كيعقوب تمامًا، هو "عبد الله والربّ يسوع المسيح" (١: ١). هذا أوّل تحديد للكاهن. هو خادم أُفرِزَ لخدمة الله ولخدمة الجماعة المؤمنة. هو رجل مُجرَّب كغيره، وهو يستحقّ الطوبى إن خرج من التجربة مزكّى (١: ١٢). هو مجاهد في حقل الربّ، وإن أحسن الخدمة سينال من سيّده الإلهيّ "إكليل الحياة الذي وَعدَ به من يحبّونه" (١: ١٢). الكاهن، عند يعقوب، هو الراعي الصالح الذي يمكث في الحقّ، ولكونه في الحقّ فهو يردّ الخاطئ عن طريق ضلاله، ويخلّصه، ويخلّص نفسه بالذات (٥: ٢٠). هكذا ختم يعقوب رسالته، ليقول لكلّ كاهن: ما تزرعه في نفوس مؤمنيك، تحصده هو نفسه في نفسك أنت!

المراجع

الفغالي بولس، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، المكتبة البولسيّة/جمعيّة الكتاب المقدّس، بيروت ٢٠٠٣ ("شيخ" ص، ٧٣٤–٧٣٥، "شيوخ"، ص ٧٤٠–٧٤١).

Anchor (*The*) *Bible Dictionary,* vol. 3, Doubleday, NY, 1992.

VOUGA François, *L'épître de saint Jacques*, Commentaire du Nouveau Testament XIIIa, Labor et Fides, Genève 1984.

HARTIN Patrick J., *James*, Sacra Pagina Series, Liturgical Press, Minnesota, 2003.

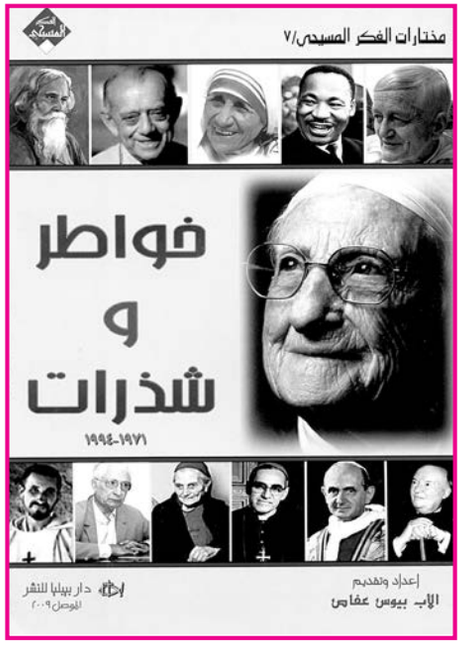

سلسلة ربّي، املأني منك
الأب توما مهنّا

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك
ربّي، املأني منك ١
افتتاح السنة الطقسيّة
قراءة النصوص الإنجيليّة اليوميّة
وشرحها
الأب توما مهنّا
PUSEK
٢٠٠٨

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك
ربّي، املأني منك ٢
زمن الميلاد المجيد
بحسب الطقس الماروني
قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها
الأب توما مهنّا
PUSEK
٢٠٠٨

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك
ربّي، املأني منك ٣
زمن الدنح المجيد
بحسب الطقس الماروني
قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها
الأب توما مهنّا
PUSEK

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك
ربّي، املأني منك ٤
الآحاد الثلاثة للتذكارات وأسابيعها
بحسب الطقس الماروني
قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها
الأب توما مهنّا
PUSEK

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك
ربّي، املأني منك ٥
زمن الصوم الكبير
بحسب الطقس الماروني
قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها
الأب توما مهنّا
PUSEK
٢٠٠٩

(تابع ص ٨٤)

سويريوس الأنطاكيّ والكلام على الخدمة الكهنوتيَّة

الخوري بولس الفغالي

باحث في الكتاب المقدّس

"أيُّ كلام يقدر أن يمتدح النقيّ سويريوس ومآثره؟ من هو كفوء لكي يروي، كما يليق، جهاداته التي جاهدها من أجل الحقّ؟ من أين أتى وظهر على هذا الكرسيّ المقدَّس والرسوليّ حتّى غذّى بأقوال صحيحة، أي بمرعى سماويّ، النعاج الناطقة في رعيَّة المسيح؟ ومع اللسان حرَّك اليد، فحارب بسهام أرسلها بواسطة الحِبر والقلم، فعرَّى وغلب ودمَّر كلَّ الهرطقات. ولمّا اختبأ من مضطهِديه في أماكن غير معروفة، ملأ المسكونة كلَّها بتعاليم مستقيمة بيد كتابات ملهمة (منفحة) من الله..." [١].

تلك هي المغنَّاة [٢] التي أطلقها يوحنّا بر أفتونيا [٣]، رئيس دير قنَّسرين، إكرامًا للقدّيس سويريوس، بطريرك أنطاكية، وفيها يُجمِّل أقواله وأعماله. ومغناة ثانية تُبرز دَينه لآباء سبقوه، ذكرهم في تواضعه:

"حين نكمِّل تذكار القائد والراعي الحكيم البطريرك سويريوس، نعيِّد بشكل خاصّ ذكر كلِّ المعلِّمين اللابسيّ الله [٤]. كلُّهم تكلَّموا روحيًّا (بفم) هذا الملفان، وما حسب نفسه يومًا أنَّ ما يكرز به هو من عنده. لهذا رفض المدائح الكثيرة وأبعد، وقال: "ما ظننت أنّي قلته موافقًا هو تعاليم أتناز وباسيل وغريغوار ومن شابههم. والأعمال العظيمة ومقالات كيرلُّس الحكيم كانت في كلِّ وقت موضوع دراساتي وتأمُّلاتي في شبابي" [٥].

من هاتين المغنّاتين ننطلق لكي نتحدَّث عن الخدمة الكهنوتيَّة، كما عاشها ورآها وكتب عنها سويريوس بطريرك أنطاكية. الاستعداد أوَّلاً، ثمَّ التدبير. ونتوقَّف بشكل خاصّ عند التعليم الذي جعل هذا البطريرك في خطِّ بولس الرسول، الذي قال عن نفسه: "ما أُرسلت للتعميد بل للتبشير" (١ كو ١: ١٧).

١. الاستعداد للخدمة

استعدَّ سويريوس استعدادًا بشريًّا كبيرًا لعمل الخدمة "لبناء جسد

(١) *Patrologia Orientalis* (= *PO*), t. II, fasc 1, n. 6, Paris, 1903, puis Brepols, 1980, p. 328-329.

(٢) في السريانيَّة: .

(٣) وُلد سنة ٤٧٥–٤٨٠. مات والده، فدُعي باسم أمِّه. رج:
Dict. Enc. du Christianisme Ancien (= *DECA*), p. 1203-1204; F. NAU, "Histoire de Jean bar Aphtonia", *Revue de l'Orient Chrétien* (= *ROC*), 7 (1902) 97-135.

(٤) . وُجد لفظ آخر: الآباء، (الآباء المعلِّمون).

(٥) حاشية ١، ص ٣٢٩–٣٣٠.

المسيح" [٦]. مضى إلى الإسكندريَّة مع أخويه الأكبر منه لكي يدرس الغراماطيق (الصرف والنحو)، ثمَّ البلاغة اليونانيَّة واللاتينيَّة [٧]. وما اكتفى بهذه الدراسة، بل مضى أيضًا إلى بيروت. هنا نقرأ ما قاله يوحنّا، رئيس دير بيت أفتونيا، الذي كتب **حياة سويريوس**[٨]:

"حين رفعته النعمة الإلهيَّة، وقادته وأتت به إلى سنِّ المراهقة، جعله يدرس العلوم الدنيويَّة، التي في طبعها تلفت نظر الذين يفتخرون بها وحدها؛ فهي سلاح خلاص للذين يستعملونها حسنًا، وسبب هلاك للذين يستعملونه شرًّا. هي مثل سيف، الذي ليس سيِّئًا في حدِّ ذاته، ولكنَّه يتوافق مع الذي يأخذه (بيده). فبعد أن شارك فيها سويريوس بما فيه الكفاية، أُرسل إلى بيروت ليدرس فيها الشرائع الرومانيَّة. وهناك حسده جميعُ رفاقه بسبب طبعه الهادئ، الثابت، ودقَّة فكره التي جعلته يتفوَّق بالتعليم عليهم كلِّهم. وما يدهش هو أنَّه جعل من عرين الفجور مدرسة فلسفة...".

علوم بشريَّة سوف يحتاج إليها في المستقبل، ولا سيَّما في الردِّ على الخصوم الذين يهدِّدون الجماعة الذين يقيم بينهم كما يهدِّدون فكره. وما اكتفى بذلك، بل راح في الإسكندريَّة يتبع دراسات السبت الأسبوعيَّة في شرح الكتب المقدَّسة وممارسة الليتورجيّا. وما يلفت النظر في عظاته معرفته بالتفسير الكتابيّ، حيث لم يتبع نهج المدرسة الإسكندرانيَّة، بل استعمل الشرح من أجل اللاهوت؛ فترك هو هدفه الأساسيّ، وسوف يكون كذلك في خضمِّ الصراع بين أصحاب الطبيعتين وأصحاب الطبيعة الواحدة، حيث نكون أمام حزبين لا أمام فكرين لاهوتيّين؛ فالفكر اللاهوتيّ واحد بالنسبة إلى شخص يسوع الإله والإنسان، ولكنّ معنى التعابير يختلف، ولا سيَّما إذا انتقلنا من اللغة اليونانيَّة إلى اللغة السريانيَّة، والعكس بالعكس.

عرف سويريوس الكتب المقدَّسة، وجاءت بعض عظاته شرحًا لهذه الآية أو تلك [٩]، لتفسير مشهد من المشاهد الإنجيليَّة [١٠]. ونلاحظ، مثلاً، شرحه لمشهد العلّيقة المحترقة: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"؛ هذا يعني الثالوث. ثمَّ: "أنا أرسلك"؛ هذا

(٦) أف ٤: ١٢. رج ما قاله سويريوس في خطبة (عظة) ١٠٨ من **خطب المنابر**. **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٢٥، ص ٧٠١–٧٠٧ حول اتِّحاد المسيح بالكنيسة. وفي خطبة ١١٢ وعنوانها: "تدشين الكنيسة الكبرى **ܚܘܕܬܐ**" (εγκαινια)؛ **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٢٥، ص ٧٩٥ي: "إذًا، أكمِّل اليوم بالأحرى تجديد (**ܚܘܕܬܐ**) الكنيسة المؤسَّسة (**ܡܫܬܐܣܬܐ**) على صخرة الإيمان العقليّ (λογος، نسبة إلى λογος): الكلمة، يسوع المسيح" (ص ٧٩٩).

(٧) ZACHARIE LE RHÉTEUR, *Vie de Sévère*, *PO*, t. 2, p. 7-115, ici p. 11.
نتذكَّر أنَّ زكريّا البليغ ولد في مايوما قرب غزَّة، وعاش في القرن ٥–٦، ورافق سويريوس في الإسكندريَّة كما في بيروت، ورافقه إلى جرن العماد في طرابلس، حين كان عرَّابه أوغريس البنطيّ (*DECA*, p. 2565-2566).

(٨) JEAN, *Vie de Sévère*, *PO*, t. II, fasc. 3, n. 8, Paris, 1904, Brepols, 1981, p. 207-264, ici p. 212-213.

(٩) الخطبة ١٠٨ (**الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٢٥، ص ٧٠٠ي). تشرح نشيد الأناشيد في اتِّصال مع أف ٥: ٢٥، ٣١–٣٢ مع ٢ كو ١١: ٢ (خطبة رجل). وينتهي: "العروس، أي النفس التي تسهر وتصنع الوصايا وتلعب دور الكنيسة..." (ص ٧٠٥). ويردُّ سويريوس على السؤال الثاني عن "نوم العروس". وينهي الجواب: "عرضت هذا وشرحت فقط الطلب (προθεσις) لمن سأل، وما تفحَّصت بدقَّة كلَّ عبارة (**ܡܠܬܐ**، λεξις) في آيات نشيد الأناشيد" (ص ٧١٧). ويواصل: "والسؤال الثالث هو هذا: رؤساء قوى الحرب لدى داود، يُذكَر البيشاي...)؛ وفي ص ٧١٩ كان السؤال الرابع الذي به أنهى العظة (**ܐܬܠܛܡ. ܠܡܢܐ**): لماذا لعن إرميا يومًا وُلد فيه (إر ٢٠: ١٤–١٥).

(١٠) العظة ٣٣ مع الأعمى منذ مولده (يو ٩: ١ي). العظة ٨٩ تقرأ مَثَل السامريّ الصالح (لو ١٠: ٣٠ي). العظة ١١٣ تشرح التطويبات كما في إنجيل لوقا (٦: ٢٠ي). العظة ١١٨ تشرح مشهد الخاطئة كما في لو ٧: ٣٠ي. العظة ١١٩ تقرأ عرس قانا الجليل.

يعنـي الإلـه الواحد. أمّـا رسائل بولس فملأت **خطـب المنابـر** والرسائـل التي أرسلهـا إلى هنا أو هناك. مثلاً، في عظة ٥٥ قال: "كما أنَّه بإنسان واحد دخلت الخطيئة..." (رو ٥: ١٢).

ونورد هنـا طريقته في شرح مشهد الكنعانيَّة في العظة ١٠٧:

"وهـذا الـذي أقـول: إذ وصـل لإيمان اليهود إلـى الحدود الأخيرة، أراد أن يرمـي جـذور إيمـان الكنيسة التـي مـن الشعـوب (ܥܡܡܐ) تلك التـي أتت إليه بمـلء إرادتها وبحرارة كثيـرة، فقال بولس: "نُبدِّل فتُمرّ مادّيَّة (حرفيًّـا: الشحـم) تلـك التـي كانت من قبل زيتونـة صالحة (رو ١١: ١٧)؛ فبيَّـن بنمـوذج المـرأة الكنعانيَّة تلك التـي بيَّنـت مسبقًـا بالرمـز ورسمت الكنيسـة. فقـال طوعًـا: "لـم أُرسَل إلاّ إلـى النعـاج التي ضلَّـت من بيت إسرائيـل"(مـت ١٥: ٢٤).

... حيـن حـرَّك إيمـان هـذه (الكنعانيَّـة) الذي ألهبَـه، والذي جعله جليًّـا وواضحًا جـدًّا – لأنَّها سجدت له وقالت: يـا ربّ أغثني (مت ١٥: ١١) – وكلُّ هـذا وكأنَّـه يكلِّم المـرأة التي تمثِّل شخص (ܦܪܨܘܦܐ، πρoσωπov) الكنيسـة التـي آمنت، والتـي أتت من الشعـوب الذيـن لا إلـه لهـم. قشَّرها أيضًـا وحكَّها بوفرة كثيـرة، وقال هذه (الكلمـة): لا يحسـن أن نأخـذ خبـز البنين ونرميه للكلاب" (مت ١٥: ٢٦).

وانظر هذه المرأة التي جاعت حقًّا مثل كلب، فاختطفت الكلمة واغتذت منهـا في الحـال، بعـد أن قبلَـتْ على نفسها تسمية محقَّرة...

إنَّ الخبـز أشركهـا فـي كلِّ الطعام بفيضٍ وافـر حيـن جعـل مـن رغبتها كَيْلَ موهبة. قـال: "عظيم إيمانك أيَّتها المـرأة، ليكن لـك كمـا أردت" (مت ١٥: ٢٨). تاقـت الكلبـة إلـى الفتات، أفـلا تطلـب أيضًـا أن تستحـقَّ الخبز كلَّه؟ استحقَّته بطرق عديدة، أمّا اليهود فتنكَّروا له" [(١١)].

ومـع الكتـاب المقدَّس، آبـاء الكنيسـة، الذيـن تعود إليهـم الكنيسة اليوم في الشـرق والغرب ولدى جميع الطوائـف. سُحـر سويريوس حين كان في الإسكندريَّة:

كان هنـاك، كمـا قلـت، رفيـقٌ من رفاقـه، محبّ الله، وهب لـه كتابًا كبيرًا (للقدّيـس) باسيل، أسقـف قيصريَّة في الكبـادوك أو، بالأحرى، منـارة كلِّ ما تحت السماء. في هذا الكتاب ردَّ باسيل علـى كتابـات ليبانيوس السفسطائـيّ الأنطاكـيّ. بعد أن قـرأه سويريوس تألَّم في نفسه لأنَّه تعلَّـم منه أين هي الفلسفة الحقيقيَّـة وأيـن هي الدجّالـة (ܕܓܠܐ ܡܡܠܐ، ψευδovoμoς). منـذ ذلـك الوقت، أهمل (سويريوس) الثانية (أي: الدجّالـة) وأخذ بالأولى، فعرف التعليم السيِّـئ وشـرَّ كلِّ الهرطقـات؛ فالحـقُّ يجتـذب إليه جميـع الذيـن يستحقّونه أكثر ممّا يجتـذب المغناطيس الحديد. بعـد ذلـك، اهتدى إلـى قـراءة مواعظ الكاتدرائيَّة (επιθρovoι، ܐܦܝܬܪܘܢܐ) لباسيل وغريغوار. وقـرأ أيضًا تلك التي وعظاهـا علـى المعموديَّة. مـن جهة، سمـع باسيـل أولئك الذين لـم يعتمدوا ويقـول: "تُرجـئ، تتـردَّدُ، تتأخَّر؟ منذ طفولتك تعلَّمت الكلمـة (المسيحيَّة)، وحتّـى الآن لم تسلِّم نفسك إلى الحقّ؟ تتعـرَّف فـي كلِّ وقت، وحتّـى الآن لم تصـل إلى المعرفة؟ تعيش مثل شخص يختبر، وتجسّ الأمور حتّى الشيخوخة. متى تُولَد مسيحيًّا؟ متى تُعرف أنَّك منّا؟ في السنة الماضية انتظرت هذا الوقت، واليوم تبقـى في ذلك الآتـي. أنظر لئلاّ تُوجَد (مفاجأ)، فتصنع مواعيد أطول من الحياة. أنت لا تعرف ماذا يلد لك الغد. لا تعـدْ ما ليس لك. ندعوك إلى الحياة، أيُّها الإنسان، لمـاذا تهربُ من الدعوة؟ ندعوك إلى المشاركة في الحياة، فلماذا تعبر بجانب الموهبة؟" [(١٢)].

فـي بدايـة كلِّ سنـة كان يعـظ عن باسيـل وغريغـوار، وذلـك على مدى ستِّ سنـوات بطريركيَّته فـي أنطاكية. فـي الأوَّل من كانـون الثاني سنة ٥١٥ ذكر معهما أغناطيوس الأنطاكيّ (العظة

(١١) الباترولوجيّا الشرقيَّة، ٢٥، ص ٦٨٨–٦٩٠.

(١٢) حاشية ٨، ص ٢١٥–٢١٧.

٦٥). وفي العظة ٢٩، أورد مقطعًا كبيرًا لغريغوار في مديح أتناز [١٣] :

وقال عنهم: هؤلاء الذين طلب منهم أن يوقّعوا على الكفر وكأنَّ من شيء آخر ضروريّ... في الحقيقة شطَّ الرعاة (إر ١٠: ٢١)، حسب الكتاب المقدَّس: أخجلوا الجزء المرغوب (إر ١٢: ١٠)، أي الكنيسة التي اجتمعت بعد أن (دفعت) العرق الكثير والذبائح، قبل المسيح وبعد المسيح، (ودفعت) عذابات كبيرة احتملها الله من أجلنا...".

وكما تعرَّف سويريوس إلى باسيل وغريغوار، تعرَّف أيضًا إلى أتناز، أسقف الإسكندريَّة، الذي دعاه "المعترف بالإيمان"، وإلى سمعان العموديّ وإلى أنطونيوس الكبير (عظة ٣٠). هؤلاء كانوا المثُل التي يقتدي بها. عنهم أخذ روح التقشُّف والغيرة الرسوليَّة، بل تمنّى أن يموت شهيدًا في خطِّ الشهداء الذين سبقوه، مثل تقلا (عظة ٩٧)، ودميط (عظة ٥١)، وبابيلاس (عظة ١١)، وغيرهم وغيرهم.

نتذكَّر الخطبة ٣٧ حول باسيل وغريغوار؛ بدأها كما يلي:

"قرَّرتُ، لا بإرادتي، أن أمرَّ بصمت على هذا العيد الأثيل بسبب انشغالي واهتمامي بأمور كثيرة، بحيث لم يُترك لي روح لكي أتنفَّس... ولكن، إذ كان الأمر هكذا يومَ البارحة، وإذ بدأ المساء يقترب، أتت كلمة إرميا إلى لقائي: "وكان في قلبي مثل نار متَّقدة تلتهب وتمسك عظامي، وانحللتُ في كلِّ جهة" (إر ٢٠: ٩).

وحين رأيتُ هذا اليوم المحبوب (يوم) ذكر باسيل وغريغوار، لم أستطع بعدُ أن أتحمَّل الصمت، فقلت في نفسي مثل أليهو: "أتكلَّم لكي أستريح" (أي ٣٢: ٢٠)، وفي الحال، وبدون تأخُّر، وكما كان ظلُّ الرسول بطرس يهب الشفاء للذين يسكن عليهم (أع ٥: ١٥)، هكذا أنا، لأنَّ التفكُّر بهذين الرجلين لابسَي الله سقط عليَّ مثل شعاع ساعةَ ما كنت مهيَّأ. نورٌ ملأني ودفعني لكي أتكلَّم. وما كنت مختلفًا في شيء عن حزقيّال الذي أكل الكتاب الإلهيّ وقال: "كان لي في فمي مثل عسل حلو" (حز ٣: ٣) [١٤].

وتذكَّر سويريوس نفسه ذاك الشابّ المندفع الذي يسمع هذه الكلمات من أشخاص ألهمهم الله، ذاك التاجر الباحث عن الدرَّة الثمينة، فيبيع كلَّ شيء لكي يشتريها، فشابه بولس الرسول حين قال: "حسبت هذا الربح الذي لي خسرانًا من أجل المسيح، بل أحسب كلَّ هذه الأشياء خسرانًا من أجل عظمة معرفة ربّي يسوع المسيح" (فل ٣: ٧-٨). تعليم هذين المعلِّمين نهر، فمن لا يشرب منه؛ فالتعليم نور، وهو ينتشر، فمن يستطيع أن يوقفه؟

وأنهى سويريوس كلامه عن هذين البطلين اللذين لم يكتفيَا بالكلام، بل الجرأة والعمل، واستعدَّ باسيل، مثلاً، على الاستشهاد حين وقف في وجه الإمبراطور فالنس، ومثله غريغوار في وجه الهرطقة". وهكذا ظهرَا شهيدَين في الرغبة، لأنَّهما ما كانَا متعلِّقَين بكرسيّهما، ولا أسيرَين لملذّات هذا العالم، فغارَا غيرة أغناطيوس، اللابس الله وقالاَ: "ما أجمل أن نغرب عن العالم ونُشرق في المسيح" [١٥].

٢. مهمَّة التدبير في الكنيسة

منذ القديم يعرف الكاهن رسالته في ثلاث محطّات: التدبير، التقديس، التعليم. ونتحدَّث هنا عن هذا الأسقف، عن هذا الكاهن، في الرعيَّة، في الأبرشيَّة. بمثل هذه الاستعدادات انطلق في عمله، ومثاله موسى ويوحنّا المعمدان وصموئيل وأشخاص الكتاب المقدَّس، وأوَّلهم الرسولان بطرس وبولس. هنا نقرأ عظتَين من مواعظ سويريوس، فنكتشف وجه الكاهن في مثل هذه الحياة القلقة المضطربة.

(١٣) GRÉGOIRE LE THÉOLOGIEN, "Oratio 21 in laudem Athanasii, XXII", *PG*, XXXV, 1106C, 1107.

(١٤) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٣٦، ص ٤٧٤-٤٧٧.

(١٥) **المرجع السابق**، ص ٤٨٤-٤٨٥. وكلام أغناطيوس مأخوذ من رسالته إلى الرومانيّين ٢: ٢.

العـظـة الأولـى هـــي الثـالــثـة والخمسون (١٦)، وهذه بدايتها:

"لا يظـنُّ أحد أنَّ الكهنـة أو الذين كُلِّفـوا تدبير الشعب يستطيعون، بدون خطر، أن يصمتوا، ولا يحسبونها نعمةً للسامعيـن حيـن يقفـون فـي وسطهم فيتكلَّمـون ويعلِّمـون؛ هـو واجـب يقومـون به حيـن يفعلون هكـذا. وإن هم لا يتكلَّمون يأتي عليهم عذاب كبير حين لا يتكلَّمون. قـال النبيّ عاموس: "أيُّها الكهنة، إسمعـوا واشهدوا لبيت يعقـوب، يقـول الـربُّ الإلـه الضابط الـكلّ" (عـا ٣: ٣). وأشعيا يوصينا على مثاله: "عزُّوا، عـزُّوا شعبي، يقول الله. أيُّها الكهنة، كلِّموا قلب أورشليم" (إش ٤٠: ١-٢). إذًا، يجـب علـى الكاهـن أوَّلاً أن يكـون له بواسطـة التنقية سمعًا دقيقًـا جـدًّا لكـي يستطيـع بسرعة أن يـدرك الـرؤى التـي تأتي مـن الله، أو التهديـدات، أو الوصايـا. ثانيًـا عليـه أن يشهـد للشعـب ويتكلَّـم، لا وهـو يرتجف، بل بدالَّـة شرعيَّة (ܢܡܘܣܝܬܐ) وحكيمـة، لا (كلامًا) سطحيًّا، بل "في قلب أورشليم" بحيـث تلامسُ الكلمة هؤلاء السامعين، ولا تبهج فقط السمع، بل تعبر وتدخل إلى الداخل وترسل إلى النفس فائدة الشروح (ص ٢٣-٢٤).

الكاهـن يسمـع أوَّلاً. تكـون لـه الخبـرة الروحيَّة لكـي يكتشف ما يُريه الله لشعبه. لا يكـون مثل الكاهن عالي الذي احتاج ثلاث مـرّات لكي يعرف أنَّ الـذي يكلِّـم صموئيـل هـو الله، لا صـوتٌ بشـريّ. ثمَّ يتكلَّـم، لا الكلام السطحـيّ، المبتذل، بـل الكلام الذي يدخل إلـى القلـوب. كلام جريء، لا كلام مـن يخـاف على نفسـه ومركزه وكأنَّـه يريـد أن يرضي الناس. هو ينبِّه ساعة ينبغـي التنبيه، ويهدِّد ساعة يجب التهديد. وأخيرًا، لا يحسب أنَّه "يُنعم" على الشعب حين يكلِّمه؛ فهذا واجب عليـه، وإن عرف عمـق رسالتـه، تألَّم فـي أعماقه إن هو تهـرَّب عن مثل هذا الواجـب. وانطلـق سويريوس من نصِّ بولـس الرسـول ليميِّـز بيـن كلام يعلِّم وكلام ينطلـق فقط مـن اللسـان، كما تذكَّر حزقيّال قبل أن يعود إلى بولس:

من أجل كلمة مثل هذه، كتب بولس للكورنثيّين: "ولكن، في الكنيسة، أريد أن أقـول خمس كلمـات بعقلي (ܗܘܢܐ) لكـي أنصـح (ܐܠܦ) الآخريـن، لا ربوة كلمات بلساني" (١ كو ١٤: ١٩).

فهذه (الكلمات) التي قيلت للنبيّ حزقيال من لدن الله، أتت بخوف كبير على هؤلاء القائمين على رأس الشعب، وعلى هؤلاء الذين يدلّون على لاإدراكهم: صنعتْ رعبًا وبيَّنت بوضوح أين هو خطر الصمت، خصوصًا لمن أُوكلت إليه رئاسةُ الكهنوت، هذا يُسمّى "رقيب" (١٧). أو لأنَّه يعمل (ܣܟܪ) ويسهر (ܫܗܪ) على الشعب الذي يبحث (ܒܨܐ) عنه بعناية. وهو كلّ عين (ܥܝܢܐ) متفحِّصة (ܒܨܐ)، متبحِّرة (ܚܙܐ)، حين يقوم (ܩܐܡ) في وقته وفي غير وقته (٢ تم ٤: ٢) حسب الشريعة الرسوليَّة على الرعيَّة الخاضعة لرئاسته، أو لأنَّه وُضع قدَّامنا على أنَّه مثل (ܛܘܦܣܐ) راية (١٨) لاستقامة الحياة (أو: حياة مستقيمة). ونستطيع القول أيضًا علامة (ܣܝܡܝܘܢ) أو مرمى (ܐܠܐ) يرسل عليه الرماةُ سهامهم؛ فالهدف (σκοπος) يُدعى هكذا لأنَّ الذين يشترون القوس يكون نظرُهم كلُّه مثبَّتًا نحو الهدف أو العلامة يريدون أن يرسلوا عليه سهمًا حين يحكمون أنَّهم يصيبون حسنًا. هكذا الشعب أيضًا، يكونون ناظرين نحو الكاهن كما نحو هدف أو علامة، ويكونون موجِّهين جميع أعمالهم نحو سلوكه (ܕܘܒܪܐ) وحول كلامه. هكذا بولس أيضًا الذي ما كانت تميل عين وجدانه ولا تضلّ، بل كان ينظر فقط إلى الأمور السماويَّة، قال (فل ٣: ١٣-١٤): "أنسى ما ورائي وأتمدَّد إلى قدّامي. وأنظر إلى الهدف (ܣܘܟܐ) أو العلامة (ܢܝܫܐ). أسعى نحو

(١٦) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد الرابع، الكرّاسة الأولى، باريس ١٩٠٦، ص ٢٣ي. ونحن نذكر الصفحات "بين قوسين".

(١٧) **ܣܘܟܐ**. في اليونانيَّة σκοπος. من هنا تأتي كلمة "أسقف": "يراقب من فوق"، σκοπος – επι.

(١٨) **ܪܘܫܡܐ ܩܕܡܝܐ**: "سمة"، "علامة مسبقة".

إكليل دعوة الله العلويَّة" (ص ٢٤-٢٦).

نودُّ أن نتوقَّف عند الكلمات التي ترسم وجه الكاهن (**ܟܗܢܐ**). هو أوَّلاً الرقيب (**ܕܘܩܐ**). هو من ينظر، يُشرف، يتطلَّع من بعيد. يرصد قدوم العدوّ. هذا يعود بنا إلى حزقيّال النبيّ الذي هو الرقيب، "الذي يرى جيش العدوِّ مقبلاً على البلاد، فينفخ في البوق وينذر الشعب" (حز ٣٣: ٣)؛ اللفظ السريانيّ هو **ܕܘܩܐ**. ماذا يفعل الرقيب؟ هنا تأتي الأفعال: **ܣܥܪ**، "عمل"، "زار"، "افتقد"، "اعتنى"، "اهتمَّ". هو برنامج. وقبل ذلك، "يرى"، "ينظر"، "يتطلَّع" (**ܚܙܐ**). ويأتي فعل **ܒܩܐ** الذي يعني: "سأل"، "استخبر"، "بحث"، "فتَّش"، "نقَّب"؛ ومثله **ܒܚܢ**: "لاحظ"، "امتحن"، وأخيرًا **ܒܨܐ**: "فحص"، "بحث"، "تبحَّر"، وكأنَّه ينزل إلى الأعماق، كما الغاطس في قعر البحر.

وصف رائع: هو "كلُّه عين" (**ܟܠܗ ܥܝܢܐ**). ويبقى "واقفًا" (**ܩܐܡ**)، لا يجلس ولا ينام. هكذا يكون الراعي الصالح. لا تميل عينه يمنة ولا يسرة، ولا تتيه وكأنَّها لا ترى شيئًا. وفي أيِّ حال، هو في خدمة الخراف التي كُلِّف برعايتها، بل هو يسير في المقدِّمة، وهي تسير وراءه. فهو "الراية" الذي يتبعه الجيش. هنا جاءت ثلاثة ألفاظ مع **ܕܘܩܐ** الذي ذكرنا: الأوَّل، **ܢܝܫܐ**: "العلامة" و"العلم"، أو "حامل العلم"؛ يُرى من بُعْد. الثاني، **ܐܬܐ**: "آية"، "علامة"، "دلالة"، أو "نُصُب" ينصب في الطريق فيوجِّه مسيرة المؤمنين في الصحراء، على ما كان للعبرانيّين بقيادة موسى؛ فالكاهن، في نظر سويريوس، هو موسى جديد. والثالث، كلمة يونانيَّة σημειον: "العلامة"، "العلامة المميَّزة"، ما به يُعرَف شخص أو شيء.

الكاهن هدف، وكلُّ العيون مصوَّبة عليه مثل مرمى السهام: سلوكه، كلامه؛ أمّا السلوك فيدلُّ على الطريقة التي بها يتدبَّر، ممّا يذكِّرنا ببولس الرسول في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس عن الأسقف "الذي يُحسن تدبير بيته" (١ تم ٣: ٥). هو الفعل **ܕܒܪ**، كما عند سويريوس. ونواصل قراءة الخطبة ٥٣ حول الكاهن: هو الرقيب، هو المدبِّر، هو الشاهد:

يدعو الكاهنُ خصوصًا الرقيبَ حسب هذه الفكرة، لأنَّ العادة سرَتْ بأن يُسمَّى الرقيب ذاك الذي يقف على السور أو على مكان آخر عالٍ، الذي يحدِّق ويدقِّق بانتباه من بعيد، الذي يسبق ويعرِّف بهجوم العدوّ ومجيئه أو بشيء آخر غير معروف من هؤلاء سوف يأتي بعد قليل. نستطيع أن نجد هذا (اللفظ) في كتاب الملوك حيث تُروى هكذا بجلاء: "وصعد الفتى الرقيب، ورفع عينيه، فرأى وها شعب (جيش) كثير يأتي في طريق حورانيم من جانب الجبل". فأتى الرقيب وعرَّف الملك فقال: "رأيتُ رؤيةً، رجالاً على طريق سورايم من جانب الجبل" [(١٩)]. وفي موضع آخر أيضًا: "مضى الرقيب على سطح الأبواب على السور، ورفع عينيه، فرأى رجلاً يركض وحده مقابله، فصرخ الرقيب وعرَّف الملك" (٢ صم ١٨: ٢٤). وأيضًا في موضع آخر من جديد: "وقف الرقيب على برج يزرعيل، فرأى غبار (رمل) جيش ياهو آتيًا، فقال: أرى جيشًا" (٢ مل ٩: ١٧).

يحدث الواعظ عن موضع نقرأ فيه لفظ "رقيب" (**ܕܘܩܐ**، σκοπος): ذاك الذي يرى من بعيد، وينبِّه من يجب أن ينبِّه. وهكذا يصل إلى المدبِّر (**ܡܕܒܪܢܐ**).

هكذا أيضًا يجب على مدبِّر الشعب الذي يقف على برج الفضائل كما على موضع عالٍ، فيرفع عمليًّا ونظريًّا، ولهذا هو يجلس على مقعد، فيُرى فوق الآخرين كلِّهم. يقتني العين العقليَّة، النحيفة والدقيقة، والمستنيرة من فوق، وتكون أوَّل من يرى من بعيد التهديدات الآتية، أو هجمات الشياطين مثل المقاتلين، أو الكمائن الخفيَّة أو فخاخ الشرّير (إبليس) المطمورة، فيعرِّف قبل الوقت ويُعدّ قبل

(١٩) ٢ مل حسب السبعينيَّة، ولكن في نسخاتنا ٢ صم ١٣: ٣٤. والمكان هو "حورانيم"، مع حرف "ح" لا "سورايم" (**ܣܘܪܝܡ**)، مع حرف "س" وغياب "ن".

الوقت ويهـدي (ܗܕܝ) وينصح (ܙܗܪ) بالنسبة إلى التي ستكون، بالإضافة إلى الشـرور المزمعة أن تأتـي عليهم. لهذا يُسمّيه الكتـابُ المقدَّس بشكل خاصّ "رقيبًـا"، كمـا قلتُ. الكاهـن رقيب؛ واجبـه أن "يدبِّر" الشعـب، لهذا يقف في موضـع عـالٍ، أو بالأحرى يجلس فـي الكنيسة علـى كرسـي يعلو جميع الحاضرين. وتأتي الصورة: ليس البرج علـى سـور المدينة، بل هو بـرج تُرى عليـه الفضائـل، على ما فـي الإنجيل: السراج يوضع فوق المكيال لكي يرى الداخلـون نوره؛ نقرأ فـي إنجيل متّى: "يكون السراج على مكان مرتفع حتّى يضيء لجميع الذين في البيت" (مت ٥: ١٥). هكذا تظهـر فضائل الكاهن. هو يُـرى ولكنَّه يرى أيضًـا، فيحتاج لا إلى عين بشريَّة فقط، بـل عين عقليَّة (ܥܝܢܐ ܕܗܘܢܐ). وهـذه العين لهـا صفاتها: نقيَّة (ܕܟܝܐ) لا يشوبها عيـب، حادَّة، نافـذة (ܚܪܝܦܐ). وهـي لا تستنير بأنوار البشر، بل بنور آتٍ من فوق (ܠܥܠ)، من لـدن "أبـي الأنـوار" (يـع ١: ١٧). بمثـل هـذه العيـن يـرى قبـل الجميع الأخطـاء الآتيـة علـى القطيـع. ونقرأ أربعة أفعـال: الأوَّل، "عرَّف" (ܐܘܕܥ)، جعلهـم يعرفون، لا يلبثـون في الجهل والعمـى. "أعدَّ"، "هيَّـأ" (ܥܬܕ). كمن يهيِّـئ الجيشـ للقتال بحيـث لا يؤخذ علـى غفلـة. والفعل الثالـث: "هدى" (ܗܕܝ)؛ يقود المؤمنيـن بحيث يصلون إلى حيث يكونون في مأمن من الذئاب الخاطفـة. وأخيـرًا "نصـح" (ܙܗܪ)، "أقنـع" (ܐܙܗܪ). هكذا يكون الكاهن "رقيبًـا". وهو أخيرًا يكـون "الشاهد" (ܣܗܕܐ).

بعـد ذلـك، يطلـب (الكتـاب المقدَّسـ) منه (من الكاهن) الذي يرى قبـل الآخرين، أن يشهـد أيضًا للشعب بجـرأة وجـلاء وبشكل منيـر أكثر من البوق الجميل النغمة والقويّ الصوت، لكي يلامس السمع الثقيل و"المسكَّر" بالشـرِّ العالمـيّ. فيحسن بـه أن يسمع أيضًـا كلمة حزقيّـال، ويعرف الخوف والعقـاب المحفـوظ للكهنـة الذين لا يعظون مثل هذه (الأقوال).

الكاهـن هـو الشاهـد ولا يخاف. يكلِّـم المؤمنيـن كمـا الأب أولاده، ويوضح لهـم الأمور. أُعطـي نعمة أن يـرى قبل الآخرين، فلمـاذا لا يستعمل هـذه العطيَّـة؟ بل الويـل له إن لـم يَقُم بواجبه. ويورد سويريوس مقطعًا واسعًا مـن حزقيّـال النبـيّ (٣٣: ١-٧) حول واجـب الرقيب؛ والويل لـه إن لم ينفخ بالبـوق فـي الوقت المناسـب. ويطبِّق الواعظ الكلام على نفسه وعلى الكهنة:

"بالنسبـة إلـى هـذه التهديدات، حيـث الـربُّ يطلب مـن يـد الرقيب "الدم الـذي سفك، لأنَّـه صمت وما نبَّـه ولا أعلم، فهلكـت نفس واحدة، مـاذا نفعـل نحـن؟ أو بالأحـرى بأيِّ ألـم نحسُّ نحن الذيـن رُتِّبنا على رأس الشعـب؟..."(ص٢٤-٢٨).

أوردنـا هـذا المقطـع الطويـل مـع الصفـات المطلوبـة مـن الكاهن والواجبـات الموضوعـة عليـه. هـو العيـن الساهرة. هو الرقيب الذي يشعر بالخطـر الآتي وينبِّه. هـو الراعي الذي يراقـب كلَّ نعجـة: القويَّـة، الضعيفة، المريضة، المتعبة، المرضع... وهكذا بالنسبـة إلى المؤمنين فـي رعيَّته أو في أبرشيَّته. ويدعـو سويريوس الكهنة إلى إصـلاح الـذات، والنظر إلـى النفس، ولا نقـل إنَّنـا تأخَّرنا (ص ٣٧). كما يدعوهم إلـى الصلاة والتوسُّل مع كهنة العهد القديم الذين يقدِّمون البخور على مثال هارون، ومـع كهنة العهد الجديد الذيـن يرفعـون الذبيحـة (ܕܒܚܬܐ؛ ص ٤١). وينهـي العظـة ٥٣: "نشارك بلا انقطاع في الذبيحة اللادمويَّة، (ذبيحة) جسـد ودم المسيح التـي ترفع وحدها خطيئة العالم، شرط أن لا نقلب النعمة" (ص ٤٣). وهكـذا "نستحقُّ ملكوت السماوات بيسـوع المسيح ربِّنا الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والوقـار والسلطان إلى دهـر الدهور. آمين" (ص ٤٤).

بعـد نظرة الراعي إلى رعيَّته، ها هو سفر مع الأسقف، أو مع الكاهن لزيارة الرعيَّـة. هـذا مـا يقولـه سويريوس في العظة ٥٥ (حاشية ١٦):

"إذ نهتـمُّ بـأن نتبـع الشريعـة التي انحـدرت إلينا مـن الآبـاء، نستعدُّ غدًا لزيـارة الكنائسـ المقدَّسة فـي القرى وفـي المـدن وفـي الأديـار الكهنوتيَّة

لهؤلاء الذين اعتنقوا سلوك التوحُّد؛ فالله يوجِّه خطانا حسب كلمته التي رتَّلها داود (في المزامير) (مز ٤٠: ٣)، لأنَّ الشريعة تريد من الذي يتسلَّم هذا الكرسي الرسوليّ، في أيِّ وقت كان، أن يترك المدينة (أنطاكية)، ويزور الرعيَّة التي هي في المكان. وأظنُّ أنَّ هذه الشريعة حسنة؛ فكيف لا تكون حسنة وهي قديمة وموقَّرة معًا؟ وهي لا تستند فقط إلى قرارات الآباء، بل أيضًا إلى كلمات الكتاب الذي ألهمه (نفحه) الله. نكتب أنَّ النبيّ صموئيل كان له في الرامة خلوة ومسكن كما في محبسة، وراحة المذبح والخدمة الكهنوتيَّة. وحين كان يقدِّم الذبائح من أجل الشعب كان يدور في الأماكن الشهيرة والمقدَّسة ويزورها ويقضي في إسرائيل. هذا ما يقول الكتاب المقدَّس: "كان صموئيل قاضيًا في إسرائيل كلَّ أيّام حياته، ويمضي على الدوام سنة بعد سنة، فيدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة، ويقضي في إسرائيل في جميع هذه الأماكن المقدَّسة، وكانت عودتُه إلى الرامة، وهناك كان بيته، فيقضي هناك لإسرائيل، وبنى هناك مذبحًا للربّ" (١ صم ٧: ١٥-١٧).

هذه العادة بالزيارة أو الدوران التي تليق بمن اؤتمنوا على قيادة الشعب، لم تكن منسيَّة لدى الرسل؛ فكُتِب في كتاب الإبركسيس (أو أعمال الرسل): "بعد أيّام قليلة، قال بولس لبرنابا: "نعود إذًا ونزور الإخوة في كلِّ المدن التي فيها بشَّرنا بكلمة الربِّ لنرى كيف هي حالهم" (أع ١٥: ٣٦). بيَّنتُ من قبل أنَّ هذا السفر هو شرعيّ (حسب الشريعة) وضروريّ، لا نافل ولا باطل. وأنتم، في أيِّ حال تظنّون أنّي أكون حين أتوقَّف قليلاً عن الاختلاط معكم، يا أحبّاء الله؟ أو أيّ كلمات أستعمل إن أطلتُ غيابي قليلاً، وحُرمت من نظرتي الكهنوتيَّة إليكم؟ (ص ٦٦-٦٨).

نلاحظ هذه العاطفة الأبويَّة لدى الراعي الذي يعرف واجبه بأن يزور الرعيَّة، ويتفقَّد أحوال كلِّ واحد من الخراف. لا شكَّ في أنَّ هذا يتطلَّب جهدًا، كما يفرض على الراعي أن يترك كرسيَّه العاجيّ، وينتقل من بيت إلى بيت. ويذكر سويريوس كلام الرسول إلى أهل تسالونيكيّ: "أمّا نحن، يا إخوتنا، فصرنا يتامى منكم وقتًا قليلاً، بالوجه لا بالقلب، واهتممنا بشكل خاصّ، برغبة كبيرة، أن نرى وجهكم" (١ تس ٢: ١٧). لاحظ الواعظ قول الرسول. ما قال فقط: "ابتعدنا عنكم"، بل "صرنا يتامى". هو الحبُّ البنويّ والأبويّ. فكيف يحبُّ الراعي أبناءه إذا هو لا يزورهم إلاَّ في أوقات معيَّنة، لا من أجل فائدتهم، بل من أجل فائدته؟ كم هو بعيد عن الرسول الذي قال لأهل كورنتوس: "أنا أريدكم أنتم، ولا أطلب ما لكم". وإن غابت الرعيَّة بعض الوقت عن نظر الراعي، فهي تبقى في قلبه. لهذا تحدَّث الرسول عن همِّ الكنائس فقال: "فمن يضعف وأنا لا أضعفُ معه؟ ومن يقع في الخطيئة وأنا لا أحترق من الحزن عليه؟" (٢ كو ١١: ٢٩).

٣. رسالة التعليم

والآن أيضًا يكرز يوحنّا المعمدان فيقول: "أنا صوتٌ صارخٌ في البرِّيَّة: أعدُّوا طريق الربِّ، واجعلوا سبله قويمة" (لو ٣: ٤). وإذ هو يرفع الصوت، هل نبقى نحن بلا صوت ونسكت؟ ألا نتحمَّل صدى يتجاوب مع الكلمة؟...

نحن أيضًا نعطي كلمة واعدة، محبَّبة لله ومفيدة للسامعين. ونكون مثل قيثارة... تنقر صوتًا كاملاً ونشيدًا وسط أناشيد صهيون، لا في أرض غريبة، بل في أروقة الربِّ وسط أورشليم [٢٠].

تلك كانت بداية العظة ٣٣ حول يوحنّا المعمدان. غار سويريوس من ذاك الصوت، فلماذا لا يقتدي به؟ صَمْتُ الكاهن ممنوع، وهو من يرى مذهلات الله وعجائبه. يا ليت الواعظ قيثارة، فمهما كانت قيمتها، يتحسَّن صوتها حين تلامسها يد الروح. وفي بداية العظة ٧٤ ومجيء بطرس ويوحنّا

(٢٠) الباترولوجيّا الشرقيَّة، المجلَّد ٣٦، الكرّاسة ٣، عدد ١٦٩، ص ٣٩٦-٣٩٧.

إلى الهيكل حيث يُشفى المخلَّع:

بعد أن صعدنا إلى الهيكل مع بطرس ويوحنّا لصلاة (الساعة) التاسعة، قال لي: هل نسكت؟ وكيف لا يلوم صمتنا وعدم كلامنا ذاك المخلَّع الذي يقفز مع الكلمة ويسبِّح الله؟ [(٢١)]

وذات يوم "تململ" المؤمنون: المناسبة هي هي. الواعظ لا يتبدَّل، ويكون الجواب: صوت الله "يطنّ" في الآذان، يحرِّك اللسان، فكيف يقدر الكاهن أن لا يردِّد ما سمعه في أذنيه؟

لا يحسب أحد، ودورة السنة تدور دورتها، فتأتي بنا إلى اليوم ذاته مع الموضوع ܦܪܘܬܣܝܣ، προθεσις ذاته، ساعة يكون الواعظ هو نفسه، مرّات عديدة، لا يحسب أحد أنَّ هذه العظة الحاضرة نافلة، على أنَّ التعليم مزمعٌ أن يقول الشيء عينه، فيدور ويدور في الفراغ بالكلمات ذاتها في ما هو معروف من قبل؛ فمن كانت له مثل هذه (الأفكار) ينسى هذا النوع من الخطبة التي تكشفها تسميتها فقط وتعرِّف بها؛ فهي تسمّى "إرشاد" أو تأديب (ܡܪܬܝܢܘܬܐ) أو هدير (ܡܗܓܝܢܘܬܐ)، ودنين (ܡܕܢܢܘܬܐ). لن أتوقَّف عن قول الشيء عينه مرَّتين وعشر مرّات، بل مرّات عديدة، لأنَّه يدنُّ أو يطنُّ في مسامع الذين لم ينالوا التنشئة (العماد، التثبيت، والإفخارستيّا)، وربَّما في آذان الذين نالوا التنشئة لكي يأخذوا ممّا يقال الكثير أو بالأحرى قليلاً من (الإرشاد) كلِّه [(٢٢)].

اللفظ الأوَّل ܡܪܬܝܢܘܬܐ، "نصح"، "وعظ"، "أرشد"، "نبَّه"؛ ثمَّ ܡܗܓܝܢܘܬܐ، مع الفعل ܗܓܐ: "زعق"، "هتف"، "صاح"، "ضجَّ"، "هدر". ألاَّ تتحرَّك آذان السامعين؟ واللفظ الثالث ܡܕܢܢܘܬܐ، والفعل ܕܢܢ: "طنين"، مثل طنين الذباب الذي لا يهدأ. الجميع مدعوّون إلى السماء، سواء نالوا الأسرار الثلاثة: أسرار التنشئة (العماد، التثبيت، والإفخارستيّا)، أم لبثوا في طريق الاستعداد. كلُّ واحد يأخذ كثيرًا أو قليلاً؛ فإن لم يعطهم الكاهن "الإرشاد"، فماذا يأخذون؟

لا شكَّ في أنَّ سويريوس لبث ستَّ سنوات يعظ عددًا من المواضيع التي تتكرَّر: عيد الميلاد، ليلة الفصح، يوم الصعود، العنصرة. تلك هي الدورة الطقسيَّة. وبالنسبة إلى القدّيسين، اعتاد أن يبدأ السنة مع باسيل وغريغوار، كما سبق وقلنا. ولكنّ محطّات جديدة كانت تبرز كلّ سنة، أقلّه شروح الكتاب المقدَّس. وقد يكون التكرار حين "يهاجم" الواعظ الخصوم الذين يعتبرهم "هراطقة"، فيردُّون له الكيل كيلين مع النعوت المعروفة. ويكون أيضًا في الإعلانات ذاتها حول لاهوت المسيح وناسوته، ممّا يخلق تململاً لدى الشعب. وهذا ليس فقط في خطب المنابر، بل في الرسائل أيضًا التي عُدَّت بضعة آلاف. نقرأ مثلاً رسالة إلى "إيقومونيوس"، ذلك الإنسان الوجيه في المملكة: "أتعجَّب كيف أنَّ عظمة محبَّتك لله التقطت منذ البدء معارضة الكلمة التي صمتت. إذ نعترف بطبيعتين في عمّانوئيل، يفترض بعض الناس أنَّنا نتكلَّم عن أقانيم كثيرة؛ فهذا أمرٌ ممقوت، ويثبِّت الهجوم الكاذب علينا من قبل الأشرار..."[(٢٣)].

ولكن كلُّ هذا هل يوقف التعليم؟ كلاّ؛ فكلُّ واعظ يحسُّ بضعفه، ولكنَّه يعرف واجبه بأن يعلِّم شعبه. لهذا يواصل سويريوس:

"ولا نكون خارج الموضوع حين نقول إنَّ هذا التعليم (ܡܠܦܢܘܬܐ) الموضوع قدّامنا (مثل طعام على المائدة) يُدعى فقاهة[(٢٤)] أو إرشاد، ܡܪܬܝܢܘܬܐ، أي هدير الصوت في الآذان؛

(٢١) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ١٢، الكرّاسة الأوّلى، عدد ٥٧، ص ٣٧٩.

(٢٢) **المرجع السابق**، ص ٢٨٧–٢٨٨.

(٢٣) هي الرسالة الثانية، **المرجع السابق**، ص ١٨٦–١٨٧.

(٢٤) كلمة مستنبطة من فعل "فقه" الذي يقابل اليونانيَّة κατηχεω. جاءت الكلمة السريانيَّة مثل اليونانيَّة ܩܛܝܟܣܝܣ، κατηχησις.

فكأنَّـه آت من السماء ومـن العلاء. هو طنين أو صوت تيولوجيّ[٢٥] ينحدر إلى السامعين بحسب إدراكهم؛ فمن العلاء يهـدر أو يطنّ أو يصيح (ܩܥܐ) للذين هم "تحت" والآتين على الأرض".

عـادت الألفـاظ تتكـرَّر: "هدير"، "طنيـن"؛ وأضيـف: "صيـاح". ومع التعليـم (ܡܠܦܢܘܬܐ)، أخـذت الكلمة اليونانيَّة كما هي: يفقه المؤمن، يتعلَّم، يفهـم. كلُّ هـذا يكـون علـى مستوى اللاهـوت، أي الكلام عـن الله. ويعود الواعظ إلى نفسه:

"ونحـن أيضًـا الذيـن اؤتمنّـا منذ الآن علـى خدمـة التعليـم، تأثَّرنـا في قلبنـا بالطنيـن، أو بالصـوت الآتـي مـن هنـاك: إن كان فارغًـا ومنقًّى من الحسابات المادّيَّة، على مثال الصوت الذي يخرج فـي البراري وفي الأماكن الخربـة، "نطـنّ" نحن مع "طنيـن" أو صوت هذه (الأمور) الأخيرة"[٢٦].

إذًا، مـن يجسـر أن يقـول: شبعتُ وما عدتُ بحاجة إلى الماء الحيّ؟ مثل هذا الإنسان ينقصه العقل والتفكير. من يشبع من نـور الشمس؟ فكما الشمس تنير، كذلك كلمـة الله. ويتذكَّر الواعظ مز ٤٢: "كما يشتاق الأيِّل إلى مجاري المياه... عطشت نفسي إلى الله". وبعد ذلـك يدخـل سويريوس فـي موضوع العظـة السبعين التي قيلـت كالعادة يوم الأربعاء مـن أسبـوع الحواريّين أو في أسبوع الآلام؟

وهكذا أواصل: "بما أنَّ العيد يقوم بأن نتذكَّـر الله...، لنعتـرف أنَّنا نؤمن بإلـه واحـد، الآب الضابط الـكلّ...، وربَّما نقول: "كيـف ترميني بأن أومن بإله واحـد ساعة تستعدّ حالاً لتقول لي بأن أومـن أيضًا بابنه الوحيد؟" – ماذا؟ أمـا سمعت، بعد أن قلت "بإله واحد"، لا فـي كلمة فارغـة، بـل بالفعل؟ ومع ذلك يبقى إلهًا واحدًا بما أنَّه آب؛ فليس هنـاك آب آخـر معـه لأنَّ لا شيء آخر؛ فهو كان ما كان أزليًّا دون أن يولَد. كما أنَّ الابن يمتلك كلَّ صفة الابن لأنَّه من الآب بالولادة، ولكنَّه موجود هو أيضًا أزليًّا وخارج الزمن.

وكيـف يمكـن أن نتصـوَّر ابنًـا لا يكـون متأخِّرًا فـي الزمن وبعـد أبيه؟" كيف؟ حين تبعد مـن فكرك الولادات الجسدانيَّـة التي تقوم فـي الزمن والتي تأخـذ مـن مسيـرة الزمن عبورهـا إلى الوجـود؛ فنحن نصبح آبـاء في الزمن، ومسيـرة الزمـن تسبـق ولادة أبنائنـا. وبعـد أن نصبـح آبـاء، نصبـح بدورنا لأناس آخريـن. ولكن، حين نسمع في الكتـب المقدَّسـة أنَّ الله الآب يُكرَز به أنَّه الكلمة والبهـاء، لتكن هذه الأسماء لـك تنبيهًـا، ومنهـا ارتفعْ وطِـرْ نحو ولادة لا ألـم فيها، لا جسم فيها، ولادة أزليَّة..."[٢٧]

تعليـم سويريوس تعليمـان: الأوَّل عقائديّ فـي أساس الإيمـان؛ الثالوث الأقدس الابـن فـي طبيعتيـه البشريَّـة والإلهيَّـة؛ ما هـي العلاقة بيـن الأقانيم الإلهيَّـة؟ كيف تكـون ولادة الابن من الآب؟ والتجسُّـد، وعلاقـة الطبيعـة بالأقنـوم. والتعليم الثانـي هو الردُّ على الخصـوم. أمّا هنـا، فردٌّ علـى أريوس الذي أنكـر ألوهيَّـة المسيـح، فحكم عليـه فـي مجمـع نيقيـة سنـة ٣٢٥. ولا نتوقَّف عنـد الـردود العديدة على أثـر مجمـع خلقيدونية، التـي قسمت المسيحيَّـة الشرقيَّة فئتيـن: خلقيدونيَّة ولاخلقيدونيَّـة. ولكن ما نأخذ في هذا المجـال هو أنَّ هذا "الكاهن الأسقف" لا يتهرَّب مـن الدفاع عن الإيمان، لئلاَّ يصبـح كالأجيـر الذي يتـرك الخراف عرضـة للذئاب. كان ذلـك الوضعَ في القـرن الخامس، ولا يـزال حاضرًا في القرن الحادي والعشرين.

علَّم سويريوس بعظاته في أنطاكية كما فـي كنائـس "الأبرشيَّـة"؛ فالعظة ٢٨ قيلت فـي سلوقية، مرفـأ أنطاكية، وكان موضوعهـا القدّيـس توما: "أيُّها

(٢٥) أو لاهوتيّ. ܬܐܘܠܘܓܝܐ، θεολογια.

(٢٦) **المرجع السابق**، ص ٢٨٩.

(٢٧) هي العظة ٧٠، **المرجع السابق**، ص ٢٩٢–٢٩٤.

الأصدقاء والإخوة، أنتم تظنُّون بالنسبة إليَّ أنّي أهديتكم هديَّة حين نزلت إلى هذه المدينة...، بل أنا من أتى لكي يشكر، لأنّي أتيتُ لكي أرضي (لديَّ) رغبة روحيَّة" (٢٨). وتحدَّثت العظة ٦٦ عن مجيء سويريوس إلى قنَّسرين وكيف استقبلته المدينة، حيث طلب منه المؤمنون أن يلبث عندهم من أجل عيد الشهيدين سركيس وباخوس (العظة ٦٧). في العظة ٦٨ كان في مدينة قورش، فكان كلامه على التدبير الإلهيّ ومجيء المسيح إلهنا في (جسم) بشريّ. وكانت عظة أخرى في ردٍّ على تيودوريه، أسقف قورش. وفي هذه المدينة توسَّل المؤمنون إلى سويريوس لكي يلبث عندهم، فيُسمعهم تعليمًا آخر (العظة ٧٠).

نورد هنا بعض العظة ٦٧ حول مريم والدة الإله والدائمة البتوليَّة:

"حين أريد أن أتطلَّع إلى والدة الإله، البتول، وألامس الأفكار التي تعنيها، يبدو لي في أوَّل خطوة من خطواتي أنَّ صوتًا يأتي كما من الله ليقول لي، "ويزعق" بقوَّة في أذنيّ: "لا تقترب إلى هنا. إخلع نعليك من رجليك، فالمكان الذي أنت قائمٌ فيه أرضٌ مقدَّسة" (خر ٣: ٥). في الحقيقة، يليق أن يتخلّص فكرنا من كلِّ تصوُّر (ܦܐܢܛܐܣܝܐ، φαντασια) مائت وبشريّ، ومن تعال، ويسعى إلى أن يرتفع إلى مشاهدة (ܬܐܘܪܝܐ، θεωρια) الأمور الإلهيَّة؛ فأيَّة مشاهدة تكون أفضل أكثر إلهيَّة من والدة الإله، وما الذي يكون أسمى منها؟ الاقترابُ منها اقتراب من أرض مقدّسة، والبلوغ إلى السماء؛ فهي من الأرض، وهي إنسانة بطبيعتها، ومساوية لنا في الجوهر (ܐܘܣܝܐ، ουσια)، ومع أنَّها نقيَّة من كلِّ وصمة ومن كلِّ دنس، أثمرت من أحشائها الخاصَّة (ܟܝܢܐ)، كما من سماء، الإله الذي صار بشرًا، لأنَّها حبلت وولدت بشكل يليق بالله (٢٩). هذا لا يعني أنَّها منحت ذاك الذي وُلد وجوده كإله، لأنَّ له (الطبيعة الإلهيَّة) من البدء وقبل جميع العوالم، بل وهبت له أن يكون إنسانًا بشكل لامتبدِّل، من ذاتها، ومن مجيء الروح القدس، السرّيِّ، وبشكل لايوصَف (٣٠).

مريم هي والدة الله. أعطته طبيعته البشريَّة، لا طبيعة إلهيَّة. ويواصل الواعظ كلامه عن "ختم البتوليَّة" (٣١) الذي لم يمسّ (ܠܐ ܡܬܚܒܠ). هو سرٌّ خفيٌّ يفوق الوصف.

وعلم سويريوس بالكتابة على مثال بولس الرسول الذي "مُنع" بسبب أو لآخر من المجيء إلى كنيسة من الكنائس. أمّا سويريوس الذي طُرد من أنطاكية حين تبدَّل الحكم، فتوفِّي الإمبراطور أناستاز في تمّوز سنة ٥١٨. ولمّا حلَّ محلَّه الإمبراطور يوستين (٥١٨–٥٢٣)، ساند حزب الأرثوذكسيَّة، واضطهد بلا هوادة الذين يرفضون حزب خلقيدونية؛ فهرب البطريرك مع خمسين أسقفًا خوفًا من قطع هذا اللسان الذي تكلَّم عليه في إحدى عظاته. وهكذا مضى سويريوس إلى مصر في ٢٩ أيلول سنة ٥١٨، وعاش عيشة خفيَّة (٣٢) حتّى وفاته سنة ٥٣٨. لهذا، حلَّت الرسائل محلّ الوعظ والإرشاد.

يبدو أنَّ الرسائل وصلت إلى أربعة آلاف رسالة. أُرسلت إلى كلِّ فئات المجتمع، بعضها حُفظ في السلسلات أو في أعمال المجامع التي "حرمت" سويريوس. ونُقل منها إلى السريانيَّة ١٢٣ بيد أثناز النصيبينيّ (٣٣) حوالى سنة ٦٦٩، فجاءت في ستَّة كتب (مختارات، εκλογαι). أمّا في الأصل اليونانيّ، فهي تقع في ثلاثة وعشرين

(٢٨) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٢٦، الكرّاسة ٤، عدد ١٧٠، ص ٥٧٤–٥٧٥.

(٢٩) θεοπρεπως، ܐܠܗܐܝܬ ܐܝܟ ܕܘܠܐ.

(٣٠) العظة ٦٧، **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٨، الكرّاسة ٢، عدد ٣٧، ص ٣٤٩–٣٥٠.

(٣١) ܚܬܡܐ ܕܒܬܘܠܘܬܐ.

(٣٢) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ٢٩، ص ٥١٣.

كتابًا، منها أربعة كتبت قبل الأسقفيَّة، وعشرة خلال الأسقفيَّة، وتسعة خلال المنفى. ووُجدت أيضًا رسائل خارج هذه الكتب الثلاثة والعشرين [٣٤]. نورد مثلاً رسالةً كُتبت إلى أهل حمص:

"إلى القسس الأنقياء، والخدّام الأرثوذكسيّين، وإلى سائر الذين يؤلِّفون طغمة الإكليروس، وإلى العظماء محبّي المسيح رؤساء المدينة، وإلى كلِّ الذين ليسوا حكماء في عقلهم، وإلى آخرين بدون فهم. وينقصهم التنبيه الحقيقيّ، يهب الكتاب المقدَّس الترتيب والمكان اللائق لكي يتحوَّل فراغ فهمهم ونقص تنبيههم إلى حكمة؛ فهو يوصي أولئك الذين مثل هؤلاء عليهم أن يتعلَّموا ويسألوا أو أن يصمتوا كليًّا، لأنَّ الكتاب المقدَّس في سفر الأمثال يقول: "الجاهل الذي يسأل تُحسَب له حكمة، ولكن حين يجعل الإنسان نفسه صامتًا، يُظَنّ أنَّه حكيم" (أم ١٧: ٢٨) [٣٥].

ويتواصل الكلام اللاهوتيّ حول تجسُّد الابن، ويقابل البطريرك حواره مع الذين قالوا بأنَّ الله تألَّم. لا مجال لذكر ما كتب لإكليروس مدينة أفامية، أو طرطوس، تلك المنطقة المقابلة لجزيرة أرواد، بل نكتفي بذكر رسالة قصيرة أُرسلت إلى الأسقف فيلوكسين حول التعليم الصحيح:

"الكلام يتطلَّع إلى التعليم، ومن المعلوم أنَّه من هذه الكلمات السابقة قال: "بحسب نعمة الله التي وُهبَتْ لي، مثل بنّاء حكيم وضعتُ الأساس" (١ كو ٣: ١٠). ولكن ما هو الأساس الذي وضعه بولس في نفوس المؤمنين إلاَّ الكرازة الإنجيليَّة؟

إذًا، ما قاله هو هذا: إن شرح إنسان تعليم الإنجيل الدقيق للذين يصغون، مثل ذهب أو فضَّة أو حجارة كريمة، ذاك هو صنع الإنسان، أي تعليمه الذي بيد الاختبار في النار الأخيرة، وبدينونة لا محاباة للوجوه فيها، يتبيَّن بأنَّه مختبَر، ويثبت بالضرورة ولا يُفسَد (أو: يدمَّر). ولكن إن استعمل إنسان ما يقوله معلِّمون يسمّون دجّالين في تعاليم دنسة وغير مختبرة مثل الخشب والقصب والحشيش، فتعليم هذا (الإنسان) لا يحتمل النار، بل ما إن يُقرَّب من اللهيب، فهو يُحرَق ويُرمَّد. أمّا مفسِّر هذا التعليم ومعلِّمه، فلا يُفسَد ولا يأتي إلى الزوال، بل ينجو ويواصل وجوده الغريب في العذاب وفي التعب، تحرقه النار ولا يحترق. ذاك ما قال أشعيا النبيّ: "دودهم لا يموت، ونارهم لا تنطفئ" (أش ٦٦: ٢٤).

انطلق سويريوس من كلام الرسول إلى أهل كورنتوس (١ كو ٣: ١٢–١٣)، وميَّز بين تعليم وتعليم. تعليم صادق هو الذهب والفضَّة والحجارة الكريمة، تعليم كاذب هو الخشب والقصب والحشيش.

الخاتمة

اعتدنا في كنائس تأثَّرت بالأرثوذكسيَّة الملكيَّة أو بالعالم الغربيّ، أن نرفض ما يقدِّمه سويريوس، بطريرك أنطاكية ستّ سنوات فقط، قبل أن يمضي إلى المنفى المصريّ. والعالم اليونانيّ أتلف تقريبًا كلَّ ما كتبه هذا الجبّار الذي كانت مسيرته هامَّة في العالم السريانيّ، لأنَّ آثاره نُقلت إلى هذه اللغة بعد أن حرَّمها قرار الإمبراطور يوستنيان سنة ٥٣١، وحكم بقطع اليد لكلِّ من تسوِّله نفسه أن يصنع منها نسخات عديدة كما قيلت في أنطاكية. أمّا نحن ففرحنا لأنَّ عظات سويريوس وكتبه والكثير من رسائله نُقل إلى السريانيَّة، وها نحن نكتشفه شيئًا فشيئًا بعد أن نُشر نشرة علميَّة مع ترجمة في إحدى اللغات الغربيَّة. واكتشفنا الآن نظرته إلى الكهنوت: كيف نستعدّ بالدروس والأبحاث والدخول في تقليد الكتاب المقدَّس والكنيسة؟ وقدَّم الطريقة التي بها يدبِّر الراعي رعيَّته. كما قدَّم

(٣٣) **أدب اللغة الآراميَّة**، ص ٢٢٠–٢٢١.

(٣٤) **الباترولوجيّا الشرقيَّة**، المجلَّد ١٢، ١٦٥–١٦٧. وجاءت اللائحة المنشورة ص ١٦٧–١٧٠ دون أخذ التوقيت بعين الاعتبار.

(٣٥) **المرجع السابق**، ص ٢٢٢–٢٢٣.

الصفات التي يتحلّى بها الكاهن. وشدَّد أخيرًا على أهمِّيَّة التعليم، سواء في عرض حقائق الإيمان أو في الدفاع عن الأرثوذكسيَّة. وهكذا يكون لنا هذا الذي تعيِّده الكنيسة السريانيَّة منارة مع آباء سريان، مثل أفرام ويعقوب السروجيّ وفيلوكسين المنبجيّ، الذين فتحوا لنا الطريق ودعونا إلى اتِّباعهم.

المراجع

Dict. Enc. du Christianisme Ancien (= *DECA*), p. 1203-1204.

GRÉGOIRE LE THÉOLOGIEN, “Oratio 21 in laudem Athanasii, XXII”, *PG*, XXXV, 1106C, 1107A.

JEAN, *Vie de Sévère*, *PO*, t. II, fasc. 3, n. 8, Paris, 1904, Brepols, 1981, p. 207-264.

NAU F., “Histoire de Jean bar Aphtonia”, *Revue de l’Orient Chrétien* (= *ROC*) 7 (1902) 97-135.

Patrologia Orientalis (= *PO*), t. II, fasc 1, n. 6, Paris, 1903, puis Brepols, 1980.

ZACHARIE LE RHÉTEUR, *Vie de Sévère*, *PO*, t. 2, p. 7-115.

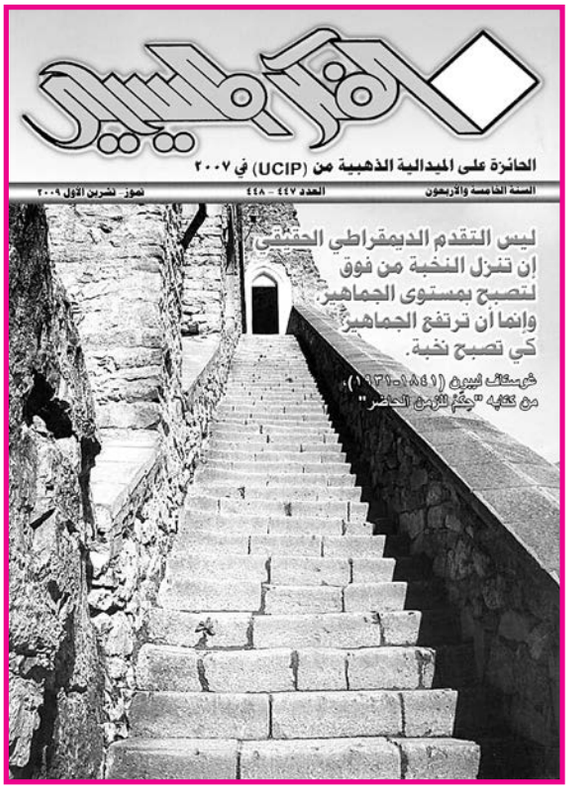

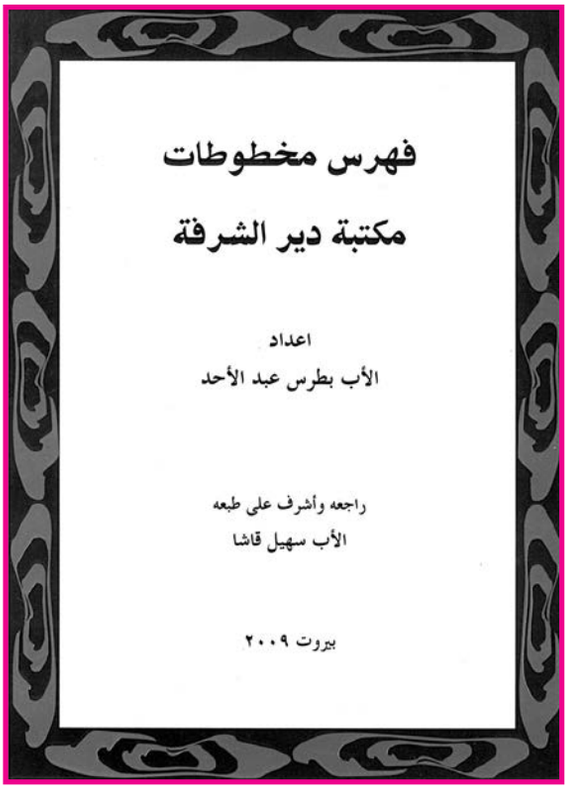

سلسلة ربّي، املأني منك

الأب توما مهنّا

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ٦

أحد الشعانين وأسبوع الآلام
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الأب توما مهنّا

PUSEK
٢٠٠٩

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ٧

زمن القيامة المجيدة
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الأب توما مهنّا

PUSEK
٢٠٠٩

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ٨

زمن العنصرة المجيدة
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الجزء الأوّل
حدث إعطاء الروح القدس للرّسل والكنيسة

الأب توما مهنّا

PUSEK

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ٩

زمن العنصرة المجيدة
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الجزء الثاني
حضور الرّوح القدس في رسالة الرّسل والكنيسة

الأب توما مهنّا

PUSEK

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ١٠

زمن العنصرة المجيدة
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الجزء الثالث
حضور الرّوح القدس في قلب كلّ مؤمن معمّد في الكنيسة

الأب توما مهنّا

PUSEK

منشورات جامعة الروح القدس - الكسليك

ربّي، املأني منك ١١

زمن الصليب المجيد
بحسب الطقس الماروني

قراءة نصوص الإنجيل اليوميّة
وشرحها

الأب توما مهنّا

PUSEK

رتبة وضع اليد
بهدف الرسالة والتنظيم الكنسيّ

الأب نجم شهوان

دكتور في العلوم الليتورجيّة

مقدِّمة

تشكِّل كتب العهد القديم انطلاقةً لاستخلاص المفهوم المبدئيّ لرتبة وضع اليد، وتتعدَّد المعاني نظرًا للإطارات المرافقة لهذه الحركة الجسديَّة. عطفًا على ما سيرد من نصوص–شواهد على هذه الحقائق الأولى، نستمدُّ المعاني الآيلة إلى تعزيز مفهوم وضع اليد بحسب تعاليم الرسل والكنيسة في ما بعد. إنَّ ما توحي به النصوص، من كلا العهدَين، القديم والجديد، لا زال مادَّة أساسيَّة في كلِّ الكنائس اليوم، لمنح درجة الكهنوت للمعمَّدين في كنيسة المسيح يسوع.

لا بُدَّ لنا من أن نلِجَ إلى حقل الكتاب المقدَّس لنستعيد بعض المعطيات اللاهوتيَّة المركزيَّة التي تعطي الضوء الأخضر للتعمُّق في معرفة المعنى الأوَّل للسلطة، ومَن الذي يمنحها، ومَن الذي ينالها، وكَيف، ليتسنَّى لنا الحكَم على مفاعيلها القانونيَّة، وما تمليه علينا هذه الأُسس في تثبيت نظام الجماعة. يفترض وضع اليد عملاً جماعيًّا، يُعبَّر عنه بعمل شخص واحد يقوم بمنح هذه البركة التكريسيَّة، ليس من ذاته، بل من الربّ، وباسم الجماعة؛ فهذا الطابع الجماعيّ لوضع اليد ليس عملاً بشريًّا فقط وحسب، بل هو اتّصال بالله المانح القوَّة والسلطة بواسطة الأسقف للشخص المنتخَب، ولهذا يُسمَّى سرًّا مقدَّسًا، إذ يجمع بين عمل الله والكنيسة معًا.

تشهد نصوص كتب العهد الجديد، وخصوصًا كتاب أعمال الرسل ورسائل بولس الرسول الرعائيَّة، على هذه الحقائق الجوهريَّة، اللاهوتيَّة منها والليتورجيَّة، لأنَّ ما تحفظه الكنائس من وديعة إيمان، هو بفضل أساسٍ رسوليّ، بَنَتْ عليه منذ البدايات؛ والكنيسة الرسوليَّة، التي تنتمي إليها الكنائس كلُّها اليوم، بحسب قانون الإيمان المشترك، هو تعبير حيّ، وواقع ملموس، لأنَّ الانتماء إلى الرسل يجعل الأحداث الأولى لنشوء الكنيسة مرجعًا قانونيًّا للمتابعة، واتّقاءً من الادّعاءات الخارجة عن منطق هذه المدرسة.

بعبور المؤمنين نحو هذه المدرسة للتتلمذ على الأصول الجامعة، تصبح رتبة وضع اليد قبلة أنظار الجميع، لأنَّ تنظيم الجماعة يبدأ من الرأس؛ فإذا كان الرأس سليمًا سلمت الجماعة، وإلاَّ لما وُجِّهت الإرشادات والاستدراكات إلى هؤلاء المدعوِّين إلى استلام مهامّ الجماعة. يكفي الاطّلاع على رسائل بولس الرسول لمعرفة مدى قلقه على تسليم هذه الأمانة إلى مَنْ ليسوا جديرين بها. إنَّ مقاييس اختيار الراعي الصالح هي على ضمير المسؤولين، مثل تيموتاوس وتيطس؛ ولذلك يصحُّ قول الرسول اليوم أيضًا في الذين سيحملون همَّ الرعاية والتدبير والتقديس. تسهر الكنيسة وتصلِّي ليكون وضع اليد على الأشخاص المدعوِّين إلى الكهنوت بحسب روح الله، لئلاَّ تكون رتبتهم وسيلة لأمورٍ دنيويَّة وشخصيَّة، بل بالحريّ لتكون لبناء جسد المسيح يسوع، الذي جاء ليخدُم لا ليُخدَم، ويبذل نفسه فداءً عن الآخرين (مت ٢٠: ٢٨).

١. المعطيات الأولى لكلمة "يد"

تُعتبر اليد عضوًا من الجسم البشريّ ذات الأهمّيّة الأولى، لأنّ كلمة "إنسان" تعني العاقل والعامل، فتأتي اليد لتترجم هذه الحقيقة اللامنظورة عبر العمل المحسوس؛ فالحركة التي تقوم بها اليد بأمر من العقل تعبِّر عن الطاقة التي يتمتَّع بها الجسم، كما تعبِّر عن المعاني التي يُطلقها العقل. وردت هذه الكلمة في مشتقَّاتها المتعدِّدة، وفي لغات المتوسِّط في العصور القديمة ولا زالت حتَّى اليوم. فالفعل العربيّ "آد، يئيدُ، أيدًا، وآدًا" يعني اشتدَّ وقوي وصلُب؛ وفعل "أيَّد تأييدًا، وآيَد مُؤايدةً"، فهو "مؤيِّد ومؤيد"؛ وذاك "مؤيَّد ومؤيَد"، أي قـوَّاه وأثبته؛ وفعل "تأيَّد" يعني تقوَّى؛ فـ"الآد" و"الأيد" هما القوَّة؛ و"الأيِّد" هو القويّ؛ و"الإياد" هو السِتْر والكنف[١]. وأمَّـا كلمة "يد"، في مجمل معانيها هي الكفّ أو من أطراف الأصابع إلى الكتف، بالإضافة إلى ما حملته من معانٍ استعاريَّة متشعِّبة. و"اليديّ" هو الشخص الحاذق[٢].

فكرامـة اليد وأهميّتها تُترجمان في فعلهـا لتعبِّر بالمطلق عـن القوَّة الفاعلة التـي تُنتج في المجالات كافّـة، أسلبيَّة كانـت أم إيجابيَّة. وقـد استُعملت هذه الكلمة فـي العديد من اللغات القديمة؛ ففي اليونانيَّة لدينـا الكلمات التالية مع معانيهـا العربيَّـة: χειροτονία (بسط اليـد)، χειροβολέω (رمـي بواسطـة اليـد)، χειρόγραφον (الكـتـابــة بـــاليـــد)،χειροήθης (يـــدويّ)؛ وفـي اللاتينيَّـة *manualis* (يـدويّ)، *manubiæ* (المـال المسلـوب باليد)، *manufactus* (المصنـوع باليـد)، *manicatus* (ذات الأكمـام الطويلة)، *manumitto* (حرَّر عبدًا وأعتقه)؛ وفي الفرنسيَّـة: *maintenir* (أيَّـد، سنـد)، *maintien* (صيانة، حفظ)، *maimise* (وضع اليـد، إستيـلاء)، *levée main* (رفع اليد، شطب، فكّ)[٣].

إنّ عبارة ܣܝܡ ܐܝܕܐ السريانيّة مؤلّفة من كلمتين: ܣܝܡ وܐܝܕܐ؛ فالجزء الأوّل من هذه العبارة، أي ܣܝܡ، قد اشتقّت من فعل ܣܡ الذي يعني وضع، ثبّت، أسّس، نصّب، قدّم، دفن[٤]. وكلمة ܐܝܕܐ تعني اليد. يجد هذا الفعل ܣܝܡ – ܣܡ، ذات الجذر السريانيّ، مرادفًا له في اللغات الساميّة كالعبريّة: שִׂים-שׂוּם، والعربيّة سام، رقّى، وهي تحمل معنى ألقى، وضع، سكن، رتّب.

فلدى المصريِّين واليونانيِّين تُعتبر اليد اليمنى بشير خير، بينما اليد اليسرى استُعملت للَّعنة، وكذلك الأمر بالنسبة إلـى الـرومـان، وخاصَّة على صعيد الطقوسيَّات[٥]. كما احتلَّت عبارة "اليد اليمنى" العديد من النصوص في حقل الكتاب المقدَّس بعهدَيه، ولو تفاوتت المعاني المقصودة فيها؛ فهي تدلّ على العضد (أش ٤١: ١٣)، وعلى القوَّة المساندة (أش ٤٥: ١)، وعلى الحَلَف (دا ١٢: ٧)، وعلى الشفاء (أع ٣: ٧)، وعلى السلطان (رؤ ٥: ٧)، وعلى القَسَم (رؤ ١٠: ٥)، وعلى الملكيَّة والحقّ (١٣: ١٦). نستخلص أنَّ وضع اليد يحمل العديد من المعاني كالبركة، والتكرُّس لله، والتقديس، والسيامة، ونقل القوَّة، ومنح مواهب الروح القدس، الذي يشفي، يحلّ من الخطايا؛ وربَّما يعني وضع اليد اللعنة وطرد الأرواح.

بالعودة إلـى الكتاب المقدّس مجدَّدًا، نجد أيضًا هذه العبارة، ولو لم تحمل معنى السيامة المُراد معالجتها في النهاية: ܣܝܡ ܐܝܕܟ ܬܚܝܬ ܚܨܝ، "ضع يدك تحت فَخِذي" (تك ٢: ٢٤)، كما ستعني حتمًا السيامة الكهنوتيّة بواسطة وضع اليد[٦] (χειροθετει).

(١) **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة الثامنة والثلاثون، طبعة جديدة منقّحة ومزيد عليها، دار المشرق، بيروت – لبنان ٢٠٠٠، ص ٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٩٢٤.
(٣) Fernand CABROL, Imposition des mains, *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie (DACL)*, t. 7, Librairie Letouzey et Ané, Paris 1926, col. 392.
(٤) L. COSTAZ, *Dictionnaire Syriaque – Français*, p. 223.
(٥) Fernand CABROL, *Imposition des mains*, *DACL*, t. 7, Librairie Letouzey et Ané, Paris 1926, col. 392-393.
(٦) R. PAYNE-SMITH, *Thesaurus Syriacus*, t. II, col. 2556.

يقول Payne-Smith بأنّ وضع اليد هو ضمنًا في عبارة ܣܝܡ ܐܝܕܐ، التي أصبحت *Chirotonia* و*Ordinatio* في اللغة اللاتينيّة، كما نقرأها في اللغة اليونانيّة في عبارة: επίθεσις χειρων، أي "وضع الأيدي"، كما وردت في نصّ مار بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموتاوس: ܡܛܠ ܗܢܐ ܡܥܗܕ ܐܢܐ ܠܟ: ܕܬܥܝܪ ܡܘܗܒܬܐ ܕܐܠܗܐ: ܗܝ ܕܐܝܬ ܒܟ ܒܣܝܡ ܐܝܕܝ، "لذلك أذكِّرُك أن تحييَ وتذكّي موهبةَ الله التي فيك بوضعِ يديّ" (١: ٦؛ رج عب ٦: ٢؛ ١ تيم ٤: ١٤).

يقول Kilmartin بأنّ الكنيسة السريانيّة استعملت المرادف للّغة العبريّة، أي שים، وتعني "لمس"، مع كلمة יד أي "اليد"، لتعبّر عن وضع الأيدي في خلال السيامة، وهذا الجذر المشترك للكلمة، الذي نجده في النصوص السريانيّة العائدة إلى القرن الثالث، ربّما يعكس استعمالاً آراميًّا قديمًا جدًّا. لأجل ذلك، ومن دون أدنى شكّ، في بعض الأمكنة، في خلال القرن الثالث، كانت العلاقة وثيقةً بين وضع اليد والروح القدس، كما يظهره كتاب **التقليد الرسوليّ** [٧].

ارتبطت اليد بفكرة القوّة والعزّة والجبروت في اللغات الساميّة، كما يبيّنه تكرارًا الكتاب المقدّس؛ وما نطالعه في حقل النصوص لَكافٍ للاطّلاع على هذه المعطيات: "يد الله"، "إصبع الله"، للتعبير عن قدرة الله، والكثير غيرها من التعابير التي تفي بهذا المعنى (١ صم ٥: ١١؛ ٢ أخ ٣٠: ١٢؛ حك ٣: ١؛ قض ١٢: ٣؛ أي ١٢: ٩؛ ١٣: ١٤؛ ١٩: ٢١؛ مز ١١٨: ١٠٩؛ جا ٢: ٢٤؛ ٩: ١).

٢. معاني وضع اليد في الكتاب المقدّس

يُطلعنا الكتاب المقدَّس على محاور وضع اليد، مع أشخاص مرجعيّين، كالآباء مع أبنائهم، والرؤساء مع مرؤوسيهم، والأساتذة مع تلامذتهم؛ فوضع اليد، أو الأيدي، هو عمل رمزيّ، يتضمَّن وضع يَدَي الرجل على شخص أو حيوان ليمنحه القوّة، وينقل إليه قوّة وبركة، أو ربَّما لعنة. في الذبيحة السنويَّة للكفَّارات، يضع المقرِّبُ يديه على رأس الكبش الحيّ معترفًا بتجاوزات بني إسرائيل، فيضع عليه بالتالي خطايا الشعب. وعندما يُثقَّل بأخطاء إسرائيل، ينقل الكبشُ الحيُّ إلى الصحراء (لا ١٦: ٢٠-٢٢)؛ ويُسمَّى هذا العمل رتبة النقل. كرَّس موسى يشوعَ كخليفة له بواسطة وضع اليد. نقل إليه هكذا كرامته وسلطانه (عد ٢٧: ١٨-٢٣؛ دا ٣٤: ٩)، كما يمكن نقل اللعنات أيضًا (لا ٢٤: ١٤). يبارك الأبُ أولادَه بوضع يديه عليهم (تك ٤٨: ١٤).

في العهد الجديد، وَضْعُ اليد يعني البركة والشفاء والتكريس. اجترح يسوع هكذا شفاءات كثيرة (مت ٩: ١٨؛ مر ٥: ٢٣؛ ٦: ٥؛ ٨: ٢٣؛ ٢٥)؛ وهكذا فعل حنانيا (أع ٩: ١٢، ١٧)؛ وبولس الرسول (أع ٢٨: ٨). استُعملت هذه الحركة في مباركة الأطفال (مر ١٠: ١٦)؛ ومباركة الرسل (لو ٢٤: ٥٠). وتُذكَر هذه الحركة أيضًا في علاقة مع بعض الشفاءات في كتاب أعمال الرسل (٩: ١٢، ١٧؛ ٢٨: ٨). أحيانًا، بواسطة وضع الأيدي تُمنح عطيَّة الروح القدس، كما حصل مع بطرس ويوحنّا للمعموديَّة (أع ٨: ١٧؛ ١٩: ٦). في كنيسة أورشليم، كرَّس الرسلُ الشمامسة المعاونين لهم بواسطة وضع الأيدي (أع ٦: ٦)؛ وبولس مع برنابا، ثمّ تيموتاوس، كُلِّفُوا بمهمَّتهم بواسطة هذه الرتبة (أع ١٣: ٣؛ ١ تم ٤: ١٤؛ ٢ تم ١: ٦). يجب الاحتراس، بحسب بولس الرسول، من منح وضع اليد للكهنوت لإنسانٍ ما بتسرُّع (١ تم ٥: ٢٢)، أي قبل الفحص للتأكّد؛ وتعرض لنا الرسالة إلى العبرانيّين رتبة وضع الأيدي، ضمن قائمة أسرار التوبة، والمعموديَّة والقيامة، دون تحديد هدفها المباشر (٦: ١-٢)؛ مع احتمال أن يكون المقصود وضع الأيدي للمعموديَّة، وليس بهدف الكهنوت.

(٧) E.-J. KILMARTIN, *Ministère et ordination*, LMD 138 (1979) 68.

هـذه المعطيات البيبليَّة، التي اكتسبت العديد من المعاني، بحسب الظروف المرافقة لها، لا تتساوى قيمةً وجوهرًا، إنَّما شكلاً، ومن هنا يصبح وضع اليد بهدف تكريس أشخاص للكهنوت هوالطاغي في أيّامنا هذه، لأنَّ وضع اليد يُعتبر المادَّة الأساسيَّة والأولى لقيام سرّ الدرجة الكهنوتيَّة بكلِّ فئاتها الكبرى، الفعليَّة والفخريَّة.

٣. المختار بوضع اليد هو رسول يسوع المسيح

حمل الأنبياء صفة المُرسَل أو الرسول قبل المسيح، نظرًا لاختيار الله لهم ليقوموا بدور المنبِّه، والمكرِّس، والمشجِّع باسم الـربّ، وتميَّز هذا الدور النبويّ بتأسيس شعبٍ يحمل اسم الله ويحضنه، فيكون علَّة بركة، لأنَّ الله هو الذي اختاره باسمه وأرسله إلى شعبه. وأمَّا الرسل الاثنا عشر، الذين اختارهم الربُّ يسوع (مت ١٠: ١-٤)، فهم، رمـزيًّا، حاملو ذخائر أسباط إسرائيل الاثني عشر، ولكنَّهم سلالة الأنبياء والمُرسَلين، لأنَّهم حاملو مشعل الكلمة الأزليّ (يو ١: ١)، ليبشِّروا أقطار الدنيا (مت ٢٨: ١٩)، ويهدوا الشعوب إلى الحقّ.

ففي هذا السياق، حصل حوار بين القدِّيس يوستينوس وتريفون اليهوديّ، وهو يغني القارئين حول دور الرسل، حيث يقول فيهم: "كذلك الاثنا عشر جرسًا التي كانت تُعلَّق تقليديًّا على ثوب رئيس الكهنة الطويل، كانت ترمز إلى الاثني عشر رسولاً المنتمين إلى قدرة المسيح الكاهن الأبـديّ، والذين كان صوتهم قد ملأ الأرض كلّها من مجد ونعمة الله ومسيحه. لذلك يقول داود: "لقد ذهب صوتهم في الأرض كلّها، وأقوالهم في أقاصي المعمور" (مز ١٨: ٥؛ رو ١٠: ١٨). ويتكلَّم أشعيا كذلك باسم الرسل عندما كانوا يقولون للمسيح إنَّه ليس "برنين كلامهم يؤمن الناس"، بل بقدرة "ذاك الذي أرسلهم". ولذلك يقول: "يا ربّ، مَنْ آمن بما سمع منَّا، ولِمَن أُعلِنتْ ذراعُ الربّ"[٨].

يعود حقُّ وضع اليد على رأس الشخص المختار من الجماعة إلى الأسقف، خليفة الرسل، علمًا أنَّ هناك الكهنة، كما الكنيسة الملتئمة، التي تملك، ولو شكليًّا أو نظريًّا، هذه الطاقة أو الإمكانيَّة، المعروفة بالسلطان؛ فإنَّ وضع اليد، أو الأيدي بواسطة الجماعة كلِّها، يبدو أنَّه مؤكَّد في إطار إرسال بولس وبرنابا إلى الرسالة (أع ١٣: ٣[٩]؛ وانطلاقًا من وضع أيدي الرسل على الشمامسة السبعة المختارين من الجماعة، نلاحظ التجانس بين حركة وضع اليد وبين الصلاة (أع ٦: ٦)، وهذا ما يكوِّن ما يُعرف برتبة السيامة. وهذه النصوص الكتابيَّة تُعدُّ من المراجع التأسيسيَّة لرتبة وضع اليد.

إنَّ الاختيار أو الانتخاب برفع اليد، كما تعنيه كلمة شرطونيَّة ذات الأصل اليوناني χειροτονία، بشهادة ٢ كور ٨: ١٩، القائلة عن تيطس: "قد عيَّنَتْه الكنائسُ بوضع الأيـدي رفيقًا لنا في السفر، من أجل النعمة التي نخدمها لمجد الربّ نفسه، وتلبيةً لرغبتنا" (رج أيضًا أع ١٤: ٢٣)، كان دائمًا بهدف تكملة رسالة المسيح. ولدى مطالعتنا للآباء الرسوليِّين (**الديداخيه** [١٠] ١٥: ١)، ولرسائل إغناطيوس الأنطاكيّ، نستشفُّ هذه الحقيقة المتكاملة بين الاختيار والرسالة؛ ففي رسالته إلى **بوليكربّوس** نقرأ: "يحسنُ بك، أيُّها المغبوط بوليكربّوس، أن تدعو إلى اجتماع يرضي الله، وتختار رجلاً محبوبًا ونشيطًا، يمكن أن تسمُّوه ساعي الله، توفدونه إلى سوريا، ليشهد على محبَّتكم التي لا تتعب لمجد الله" [١١].

(٨) القدّيس يوستينوس، **الدفاع عن المسيحيِّين، الحوار مع تريفون**، أقدم النصوص المسيحيَّة، سلسلة النصوص الليتورجيَّة ٧، تعريب الأب جورج نصُّور، الكسليك – لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٨٨-١٨٩.

(٩) Jean MAGNE, *Tradition Apostolique sur les charismes et Diataxeis des saints Apôtres. Identification des documents et analyse du rituel des ordinations*, Origines Chrétiennes I, Paris 1975, p. 190.

(١٠) أواخر القرن المسيحي الأوَّل.

(١١) IGNACE d'Antioche, POLYCARPE de Smyrne, *Lettres, Martyre de Polycarpe*, A Polycarpe VII.2: Envoyer un délégué à Antioche, des messagers aux Églises; Sources Chrétiennes 10 bis, Texte grec, introduction, traduction et notes par Pierre Thomas CAMELOT, 2e réimpression de la 4e édition revue et corrigée, Cerf, Paris 2007, p. 153.

وفي رسالته إلى **أهل فيلادلفيا** يقول: "بلغني أنَّه، بفضل صلاتكم والرحمة التي لكم في المسيح يسوع، أنَّ كنيسة أنطاكيا في سوريا هي في سلام؛ فيليق إذن، بصفتكم كنيسة الله، أن تختاروا شمَّاسًا، ليذهب كمرسَل من قِبَل الله، ليفرح مع أولئك الذين يجتمعون، ويعظِّمون الاسم"(١٢). وأخيرًا في رسالته إلى **أهل سميرنا** (إزمير)، التي تشبه بموضوعها الرسالة إلى **أهل فيلادلفيا**، يقول: "لكيما إذًا يكون عملكم كاملاً على الأرض وفي السماء، يليق بكنيستكم، إكرامًا لله، أن تختار مُوفدًا لله ترسله إلى سوريا، ويهنِّئهم بحصولهم على السلام، ورجوعهم إلى مقامهم الأوَّل، وقيام جسد كنيستهم"(١٣).

يَردُ هذا النمطُ التعليميُّ أيضًا من خلال نصّ **الديداخيه**، حيث يقول: "وهكذا انتخبوا لكم أساقفة وشمامسة، رجالاً مختبَرين جديرين بالربّ ودعاء، سالكين في نزاهة واستقامة، لأنّهم يؤدّون لكم خدمة الأنبياء والمعلّمين؛ فلا تحتقروهم لأنّهم رجال موقّرون شأنهم شأن الأنبياء والمعلّمين" (١٤). ربّما استقى هذا النصُّ هذه المقاييس من نصّ رسالة بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس (٣: ١-١٣)، وبه تأثّر أيضًا كتاب **عهد الربّ** (عدد ٣٣) (١٥).

من الملاحَظ أنَّ الكنيسة الملتئمة باسم الربِّ يسوع (مت ١٨: ٢٠)، هي التي تختار، لأنَّه إليها يعود هذا الحقُّ الذي بُني على الرسل، ولهذا هي كنيسة رسوليَّة، لتكمل مسيرتهم. وقد أُنيط هذا العمل بالكنيسة، جماعةً وأسقفًا، بحيث يتكامل بين الاختيار والتكريس. والأسقف يبقى الضمانة عمل كنسيّ كهذا، لأنَّه المؤتمن على وحدة الكنيسة، فيسهر على تنظيمها. لأجل هذا تُقيم الكنيسة كهنةً وشمامسة وأساقفة، بهدف التنظيم والترتيب، في إدارة شؤون الرعايا والأبرشيَّات. هكذا، يُعتبر الأسقف المكلَّف الأوَّل للحفاظ على خيور الكنيسة، أي خيور الشراكة (κοινωνία)، وهي إحدى شروط نجاح الجماعة المسيحيَّة الأولى (أع ٢: ٤٢)، بصفته الراعي، المختار برفع اليد، ثمّ بوضع اليد المرافَقَة بالصلاة، لأجل حلول الروح القدس، الذي يهيمن عليه (١٦)، ليرعى قطيع المسيح: "فاهتمُّوا بأنفسكم، وبكلِّ القطيع الذي أقامكم الروحُ القدسُ عليه أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدم ابنه يسوع" (أع ٢٠: ٢٨).

تفترض هذه الصفات المنوطة بشخص الأسقف، ومعه الكهنة والشمامسة، السهر على الإيمان الكنسيّ، لئلاَّ تطاله البِدَعُ والهرطقات، ولهذا يشهد عليه أسقفان في خلال سيامته، كما يعلن إيمانه الرسولي، تحاشيًا لأيِّ هرطقة تحصل منه، بل يكون راعيًا يعلم قوانين الكنيسة، وتعاليم المجامع، ويعيشها بأمانةٍ وسخاء؛ يختصرها غريغوريوس ابن العبريّ (١٢٢٦-١٢٨٦) ذاكرًا المراحل الثمانية التي ترافق تأسيس رئيس الكهنة، بحسب ما جاء في كتابه **منارة الأقداس**، كالتالي: "**١**- الأمولوغيّة(١٧)، يقرأها معلنًا إيمانه السالم؛ **٢**- حضور أسقفين، أو ثلاثة (مت ١٨: ٢٠)؛ **٣**- تقديم نفسه لتدبير رعيّة المسيح؛ **٤**- قراءة الإنجيل عليه، للخدمة وللاعتراف بالمسيح (مت ١٦: ١٦)؛ **٥**- قراءة إنجيل الراعي الصالح من قِبَله (يو ١٠: ١١+)؛ **٦**- فتح الإنجيل فوق رأسه، علامة بسط يدي يسوع عليه، كما في يوم الصعود (لو ٢٤: ٥٠)؛

(١٢) Ib., *Aux Philadelphiens* X. 1: Recommandations et prières, p. 131.

(١٣) Ib., *Aux Smyrniotes*, XI. 2: Salutation finale, p. 141-143.

(١٤) **الديداخيه** ١٥: ١، تعريب الأبوين جورج نصّور ويوحنّا تابت، أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيَّة، ١، الكسليك ١٩٧٥، ص ٢٥.

(١٥) المرجع السابق، **عهد الربّ**، ص ١٥٧.

(١٦) Esprit hégémonique.

(١٧) كلمة مأخوذة عن الأصل اليونانيّ ομολογία، وهي تعني شرح، أو تفسير؛ واستُعملت في السريانية تحت كلمة ܬܘܪܓܡܐ، وتعني النصّ التوجيهيّ الذي يتلوه الأسقف على مسامع المُنتَخَبِينَ إلى الدرجة الشمّاسيّة أو الكهنوتيّة، قبل رتبة الاحتفال بساعات أو ليلة السيامة، بحيث يذكرهم بتعاليم الآباء في المجامع المسكونيَّة، و**العقيدة الواحدة**، ويطلب منه الطاعة للمسؤولين القائمين ولخلفائهم من بعدهم.

٧- يأخذ العكّاز إشارة إلى سلطانه؛ ٨- التطواف به من قِبَل الأساقفة، مع ترداد العبارة "إنّه مستحقّ"، ثلاث مرّات [١٨].

٤. الهرميَّة الكنسيَّة الأولى

إنطلاقًا من كتب العهد الجديد، يمكننا أن نجد الأصول الأولى للدرجات الكهنوتيَّة الفعليَّة التي منها انطلقت الدرجات الصغرى الفعليَّة، والكبرى الفخريَّة. نجد لدى بولس الرسول المراجع الأقدم في ما بينها، كما نجد الباقي في الرسائل الرعائيَّة في كتاب أعمال الرسل، وفي كتاب الرؤيا؛ ففي رسالته إلى أهل فيلبّي يذكر بولس الرسول الشمامسة والأساقفة (١: ١)، وهذه التعابير هي خاصّة بكتب العهد الجديد، بحيث لم تكن هذه المؤسَّسة موجودة قبل المسيح؛ وفي رسالته الرعائيَّة إلى تلميذه تيموتاوس يذكر بولس هاتَين الفئتَين (١ تيم ٣: ١-١٣)، واضعًا المقاييس الأدبيَّة والقانونيَّة والروحيَّة لاختيار الشمامسة والأساقفة لخدمة كنيسة الله، وهذه المقاييس سوف تفرض نفسها في الكثير من المجامع المحليَّة في الكنيسة الجامعة. ويذكر بولس أيضًا الأساقفة في رسالته الرعائيَّة إلى تلميذه تيطس (١: ٧)، ليعرف كيف يختار بتروٍّ أولئك الذين سيرعون شعب الله.

يذكر كتاب أعمال الرسل كبير الكهنة أو رئيس الكهنة اليهوديّ ١٢ مرّة، أو الكهنة عمومًا مع رؤساء الكهنة أيضًا ١٣ مرّة، ولكنَّ هذا لا علاقة له بالكهنة المسيحيِّين؛ فالرسل والتلاميذ كانوا يلعبون دور الكهنة والأساقفة، ولو تحت أسماء مختلفة.

على صعيد الكهنة نجد تعابير متنوّعة لهذا الاسم الفاعل؛ فتارة يُذكر باسم "شيخ" (١ بط ٥: ١)، أو "قهرمان"، أي "وكيل" (مت ٢٠: ٨؛ لو ١٢: ٤٢؛ ١٦: ٣، ٨)، وقد سمَّاه بولس "وكيل الله" (تي ١: ٧)؛ ومن صفات الوكيل الأمانة والحكمة (مت ٢٤: ٤٥؛ لو ١٢: ٤٢)، وهو "الكاهن" (يع ٥: ١٤)، أو "الخادم" (٢ تيم ٢: ٢٤)، أو "العبد الأمين" (مت ٢٤: ٤٥)، أو "الراعي" (أع ٢٠: ٢٨؛ ١ بط ٥: ٢-٣). كلُّ هذه الألفاظ القانونيَّة منها أو التشبيهيَّة، الروحيَّة أو الرعائيَّة، تُعطى للكاهن المدبِّر لكنيسة الله. عدا أنَّ لم تكن كلمتَا "كاهن" و"أسقف" واضحتَين في الأساس، بسبب انبثاق شخص الكاهن من شخص الأسقف، وإن كانت كلمة "أسقف" اليوم تُستعمل فقط للمسؤول عن الكهنة وإدارة الأبرشيَّة؛ ففي السابق، الأسقف هو الكاهن. إنَّ فصل الأدوار اليوم هو واضح، ولكنَّ الأسرار التي يمارسها الكاهن اليوم كانت محصورة بشخص الأسقف، ولكنَّ الأسرار المنوطة بشخص الأسقف وحده اليوم هو منح الدرجات الكهنوتيَّة؛ فهذا دليل على أنَّ الكاهن كان الأسقف، والأسقف هو الكاهن، أي الخادم للرعيَّة.

إن التعابير المرتبطة مباشرة بالكهنوت نجدها في رسالة يعقوب الرسول حيث نقرأ: "هل فيكم أحدٌ مريض؟ فليدعُ كهنة الكنيسة، وليصلُّوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الربّ" (٥: ١٤). وقد اعتبرت الكنيسة هذا النصّ شاهدًا على تقليد كنسيّ قديم، ومرجعًا تأسيسيًّا لسرّ مسحة المرضى. ويكتب بطرس الرسول قائلاً: "أناشدُ الكهنة بينكم، أنا الكاهن رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، والشريك أيضًا في المجد المزمع أن يُعلن: إرعَوا قطيع الله الموكول إليكم، واسهروا عليه، لا كُرْهًا بل طوعًا، وفق مشيئة الله، ولا سعيًا إلى ربحٍ خسيس، بل بكلّ نشاط. ولا تتصرَّفوا كأسيادٍ على مَنْ وضعهم الله أمانةً بين أيديكم، بل كونوا مثالاً للقطيع. ومتى ظهر راعي الرعاة، تُحرِزون إكليل المجد الذي لا يذبُل" (١ بط ٥: ١-٤).

يتوقَّف يوحنَّا الرسول على ذكر الهرميَّة لدى سرده الآباء والأبناء، والشبَّان (١ يو ٢: ١٢-١٤)، وهذه دعوة إلى المحبَّة التي تجمع بين أبناء

(١٨) مار غريغوريوس أبي الفرج ابن العبريّ، مفريان المشرق، **منارة الأقداس**، الفصل الأوّل، في الخدمة التي بواسطة الشرطونيّات وفيه ستّة مقاصد، المقصد الأوّل، في رسامة رئيس الكهنة، عرّبه عن السريانيّة مار ديونيسيوس بهنام ججاوي، أعدّه وقدّم له مار غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، دار ماردين للنشر، حلب، سوريا ١٩٩٦، ص ٤٣٧-٤٣٨.

الكنيسة، كهنة ومؤمنين بكلّ فئاتهم، لتكون الكنسية كعائلة تسود فيها المحبّة، لأنَّ الله محبَّة (١ يو ٤: ٨).

هناك فقط في الرسالة إلى العبرانيِّين لا أقلّ من ٣١ مرّة ذكر للكاهن أو الكهنة. يهتمّ الكاتب في رسالته بعنصر المقارنة بهدف المفاضلة، جاعلاً من يسوع الكاهن الجديد على شبه ملكيصادق، الكاهن البديل عن كهنوت اللاويِّين، الذي كان بالوراثة، ليكمِّل بذبيحة نفسه على الصليب كهنوت العهد القديم، ويجعل من كهنوته عهدًا يدوم إلى الأبد.

يُسمِّي القدِّيسُ يوحنَّا الرسول، كاتبُ الرؤيا، نفسَه "الخادم" (رؤ ١: ١؛ ١٩: ١٠؛ ٢٢: ٩)، على مثال الربّ يسوع الذي كان ما بين رسله كالخادم (لو ٢٢: ٢٧)، علمًا أنَّه كان يمارس مهامّ الكهنوت كباقي الرسل. وإذا ما قمنا بجولة في مستهلّ رسائل القدِّيس بولس نرى أنَّه يعرِّف عن نفسه **بالخادم** أو **العبد** (رو ١: ١؛ غل ١: ١٠؛ فل ١: ١؛ تي ١: ١)، **والأسير** (فلم ١: ١)، والرسول (رو ١: ١؛ ١ كور ١: ١؛ ٢ كور ١: ١؛ غل ١: ١؛ أف ١: ١؛ كول ١: ١؛ ١ تيم ١: ١؛ ٢ تيم ١: ١). هذه العناوين هي دليل ارتباطه بقضيَّة كرَّس لها حياته، عبر خدمة الكلمة بالتبشير والوعظ والتوجيه، بكلّ أمانة وجرأة حتَّى تاريخ استشهاده سنة ٦٧ تحت حكم نيرون.

لأجل سيامة الشمّاس، مثلاً، يذكر هيبّوليتس الرومانيّ (٢١٨) بعض التحديدات التي لا زالت متّبعة في الكنيسة جمعاء، ولو بشكل عامّ، وهي "أنّ الأسقف وحده الذي يجب أن يضع الأيدي على المدعوّ ليصبح شمّاسًا، لأنّه لا يُرفَع إلى درجة الكهنوت، ولكنّه يبقى تابعًا للأسقف وقائمًا على خدمته ومهتمًّا بأموره. إنّه لا يشترك في مجلس مشورة الإكليروس، ويحصر عمله في تصريف الأمور العاديّة، وإحاطة الأسقف بما نشأ من قضايا ضروريّة. هذا وإنّه لا يتلقّى الروح الذي يهيمن على مجمع الكهنة في شركتهم بالروح، بل يقوم بما يُعهَدُ إليه تحت سلطة الأسقف"[١٩].

خاتمة

إنَّ الكنيسة، "الأمّ والمعلِّمة" [٢٠]، تبقى أبدًا المدرسة التي تنشِّئ أبناءَها على الأصول التعليميَّة، خاصَّة في اختيار رجالٍ يقومون بمهمَّة التقديس والتدبير والتعليم، بما يتماشى مع تقليد الرسل، وما جرت عليه كنائس الله شرقًا وغربًا؛ فالمجامع الكنسيَّة، محليَّة كانت أم مسكونيَّة، تبقى الضمانة لممارسة العمل الكهنوتيّ القانونيّ الصحيح، بهدف التنظيم الداخليّ، وصيانة إيمان المعمَّدين، لأنَّه إنَّما اختير من الجماعة لأجل أن يقوم بدور الراعي، الذي يجمع مع المسيح، ولا يبدِّد (مت ١٢: ٣٠). انطلاقًا من هذه المعطيات الأولى، أصبح الأسقف، والشمَّاس، والكاهن، المدافعين عن حظيرة المسيح، بما أوتوا من قوَّة الروح القدس؛ لأنَّهم بانتخابهم برفع اليد، وتكريسهم بوضع اليد، أصبحوا سليليّ الرسل، وتلاميذ الربّ يسوع.

هناك الكثير من الكلام حول هويّة الأساقفة والكهنة، ولكنَّ ما يقومون به هو خير ترجمة لرسالة يسوع المسيح، رسول الآب، الذي جاء لينير الشعوب بتعليمه، ومحبَّته، ولهذا، "هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨)، والهرميَّة الكنسيَّة تلتزم بهذه المقاييس لتكمل رسالته عبر الأجيال كافَّة.

(١٩) **هيبّوليتس الرّوماني**، أقدم النّصوص المسيحيّة، ص ٣٨–٣٩.

(٢٠) البابا يوحنّا الثّالث والعشرون، **تعليم الكنيسة الاجتماعي: أمّ ومعلّمة** (١٩٦١)، منشورات حركة عدالة ومحبّة، ٢٠٠٠.

دِراسات بيبليّة
-٣٩-

الكِتابُ المقدّسُ والليتورجيّا

بُحوثٌ مُهداة
إلى الأبِ الحَبيس يُوحنّا الخُوند

النّاشِر
الأبُ أيّوب شهوان

الرابطة الكتابيّة
٢٠٠٨

الفهرس

الأب أيوب شهوان ــــ كلمة الافتتاح ــــ ٥
السيدّة ماري عطالله خليفة ــ الأب الحبيس يوحنّا الخوند، معلّم الكتاب المقدّس ومُنشده ــــ ٧
الخوري جوزف نفّاع ــــ قصّة الخلق الأولى، قراءة ليتورجيّة ــــ ٢٩
د. نقولا أبو مراد ــــ الخروج كحدث ليتورجيّ ــــ ٧٣
الخوري نعمةالله الخوري ــــ ليتورجيّا الغفران في يوم كيبّور (لا ١٦: ١-٣٤) ــــ ٨١
الأب أيوب شهوان ــــ قداسة الكهنوت بحسب لا ٢١ ــــ ٩٧
الأب جوزف بو رعد ــــ تث ٣٢: قراءات في نشيد موسى ــــ ١٣٣
القسّ هادي غنطوس ــــ نشيد فقصّة فنشيد... في قلب الكتاب: الحركة الكتابيّة-الليتورجيّة في قض ٤-٥ ومز ٦٨ ــــ ١٤٣
الخوري بولس الفغالي ــــ العهد في شكيم والجماعة الليتورجيّة يش ٢٤: ١-٢٥ ــــ ١٧٩
الأب أنطوان عوكر ــــ دا ٣: بين ليتورجيّة الآلهة وليتورجيّة إله العهد ــــ ١٩٩
الأب هادي محفوظ ــــ مز ١١٨: ٢٥ب-٢٦أ، بين العهدَين القديم والجديد ــــ ٢٠٩
الأخت باسمة الخوري ــــ مديح الحكمة، مديح الكتاب... مديح الكلمة ــــ ٢١٩
الخوري جان عزام ــــ الصلاة اليهوديّة ــــ ٢٣٩
الأب البروفسور عادل-تيودور خوري خلاص غير المسيحيّين في الكتاب المقدّس ٢٨٥
د. دانيال عيّوش ــــ النشيد «تعظّم نفسي الربّ» (لو ١: ٤٦-٥٥) وسفر المزامير ــــ ٢٩٥
الأب ريمون الهاشم ــــ ظهور يسوع على التلميذين المتوجّهَين إلى قرية عمّاوس ــــ ٣٠٥
الأخت كليمنص حلو ــــ أورشليم السماويّة: «الروح والعروس يقولان: تعال!» (رؤ ٢٢: ١٧) ــــ ٣١٧
الأب ميلاد جاويش ــــ حركات «ليتورجيّة» ليسوع ــــ ٣٣٧
الأرشمندريت جاك خليل ــ تفسير كتابيّ نقديّ للجواب الليتورجيّ «رحمة سلام، ذبيحة تسبيح» ــــ ٣٨٥
الأخت روز أبي عاد ــــ دور المرأة الليتورجيّ في الكتاب المقدس ــــ ٤٠٣
د. جورج صبرا ــــ الأفخارستيّا وكلمة الله في الليتورجيّا الكلفينيّة ــــ ٤٢١
الأب سهيل قاشا ــــ الكتاب المقدّس في الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة ــــ ٤٣١
الخوري بولس الفغالي ــــ بشارة مار لوقا البشير بحسب المطران يوسف الدبس ــــ ٤٥٩